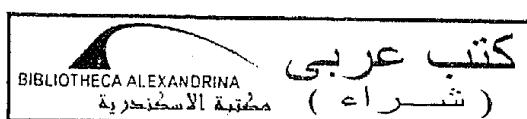


تاریخ و حضارة مصر القديمة

دكتور

سمير أديب

مدرس الآثار والحضارة المصرية القديمة



رقم التسجيل ٦٤٧٩٧

١٩٩٧

BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

مقدمة

مصر ، اسم قدسته الأديان ، وكرمه كتب السماء ، أنه سجل مفاحير الأنسان ، مرآه أمجاد البشر ، وصرح الحضارة بأسماى معانها ، أنه التاريخ نفسه بجميع حقائقه ، ومن ثم فقد كان اسم مصر متلازما مع المصريين منذ عصور التاريخ القديم ، له أساس تاريخي ، وجغرافي ، ودينى ونفسى ، وليس إسما نشاً مجرد ظروف سياسية يمكن تغييره فى ظروف سياسية أخرى ، فهو أقدم إسم يحمله بلد فى الدنيا ، إسم حملته مصر الفرعونية ومصر القبطية ومصر الإسلامية ومصر الحديثة ، على مدى عدة آلاف من السنين .

مصر ، ذلك البلد العظيم الذى نعيش على أرضه ونستظل بسمائه ، ونشرب من ماء نيله ، أعطاها الله العديد من الميزات ، وحبتها الطبيعة بالفريد من الصفات ومن هنا فليس عجبا ان كانت « أول أمة » فى التاريخ نمت فيها عناصر الأمة بمعناها الكامل الصحيح ، وبعدها كانت « أول دولة » بالمعنى السياسي المنظم ، نجحت فى أن تنظم « أول ملكية » عرفتها البشرية ، وفي أن تحافظ على وحدتها القومية عبر التاريخ ، وما أن يمضى حين من الدهر حتى تصبح أعظم قوة سياسية عرفها التاريخ القديم .

مصر ، لم تسبق العالم كدولة سياسية فحسب ، وإنما هي أطول دولة حافظت على وحدتها القومية عبر التاريخ ، فلم يحدث خلال ستة آلاف عام من الحكم المنظم ، أن انفطر عقد وحدتها وتدهورت إنجصاليات إقليمية ، إلا في حالات نادرة شاذة ، أغلبها مفروض من قوى أجنبية دخلة ، كغزو الهكسوس حين إنفردوا بالدلتا ، وظل الصعيد معقل الدولة الوطنية المستقلة ، كما كان في البدء قاعدة التوحيد .

وهكذا بقيت مصر - وستبقى - شامخة تحتدي المع狄ين ، ومتتص الحضارات وتضيف إليها ، كما متتص مطامع الغزاه وتلين من ضراوتها ، حتى تبددها آخر الأمر بالصبر والعزم ، بالكفاح والمقاومة ، وبشئ آخر غير منظور وإن كان محسوسا ، عراقة التاريخ الرابض في الصخور وعلى ضفاف النيل في الأهرامات والمعابد والهياكت والتماثيل ، والذى كان - وسيظل - دليلا على عظمة هذا الشعب الذي آمن بربه وبوطنه ، إيمانا لا نعرف أنه اتفق لكتير من غيره من شعوب الدنيا ، ثم أحب هذا الوطن حبا مصدره اليقين ، وليس الهوى ، بحيث أصبحى لدى أصحابه من قواعد الآيام .

ومن ثم فقد يستحق أن يتصدر تاريخ الدنيا في عصره ، وأن يمثل صفحة الذهب من هذا الوجود ، وحسبنا أن تاريخ مصر قد أصبحى نغما حلوا في فم الدهر ، يعنيه فيطرب له الكون وسيظل يطرب ما بقيت مصر ، ويقى في الدنيا ما يقدر تاريخ مصر ، وهو أمر يجمع العالم كله عليه ، وعلى حد تعبير

مورخ اوروبي كيبر « لا تكاد اليوم توجد جامعة في العالم تحترم نفسها ليس فيها كرسى للدراسات المصرية القديمة » ، وإن كان الأمر عندنا في مصر والعالم العربي يختلف عن ذلك كثيرا .

وبعد ، فهذه الدراسة إنما تقدم لمحات خاطفة من أمجاد مصر ، وهي أمجاد تكاد لا تُحصى ، وكلها تثبت دونما ريب أن المصريين القدماء إنما قد قاموا - منذ نشأة حضارتهم على ضفاف النيل - بدور هام في تاريخ الإنسانية وحضارتها ، فقد ابتكروا الكثير من المنجزات التي ساعدت على تقدم المدينة ، وقاموا بنشر حضارتهم بين جيرانهم من الشعوب .

كانوا هداه وعلماء ومرشدین ، يوم كانت الدنيا طفلا يحبون في جهاله القرون ، نقشوا على الحجر ، وكتبوا على الورق ، واهتدوا إلى معرفة الآله الواحد الأحد ، يوم كانت الشعوب الأخرى تضطرب جهلا بين العديد من الآلهة ، ينسبون إليهم ما يعجزوهم من ظواهر وأحداث ، عرفوا العدل والحق والحرية وأمنوا بالقيم المثلى ، وانتظمت في بلادهم الإدارة ، ونمّت لديهم مقومات الأمة ، يوم كانت الشعوب الأخرى تعيش فرقاً متباينة وقبائل متاحرة ، قانونها الحق للأقوى ، وملائكة تصرفاتها غريزه غشوم هوجاء .

غير أن المباحثات بالتاريخ المجيد العريق لا ينبغي أن تكون مجرد مباحثات بتذكر أمجاده ، وإنما كذلك بالعمل من أجل رفعة الوطن ، بالاستذادة من العلم والتع摸ق فيه ، بالتمسك بالخلق والقيم والفضائل ، بالإيمان بالله ، بحب مصر والعمل من أجلها ، حتى تكون أكفاء للمسجد العريق ، جديرين

بالأنسب إلى هؤلاء الذين صاغوا يوما تاريخ العالم ، حينما كان يعيش فيما قبل التاريخ .

لقد أثبت المصريون في كل زمان أنهم يدركون قدر أنفسهم ويدركون التبعات التي ألقاها على كاهلهم مركزهم الجغرافي في هذا الجزء من العالم ، وسيرى قارئ هذا الكتاب قصة تاريخ هذا الشعب منذ أقدم عصوره وسيدرك من تلقاء نفسه أن مصر لم تخضع يوما من الأيام لغزو أو إستعمار أجنبي وترتسيه ، وإن غلبت على أمرها يوما من الأيام فلا تلبث إلا حينا حتى تجد الزعيم الوطني المخلص الذي يدعوه إلى العمل ويتقدّم الصفوف فتليّ دعوته وتبدأ عهدا من عهودها الظاهرة .

وقد فضلت في عرض قصة حضارة مصر في هذا الكتاب أن أوجز في بعض تفاصيله للسheim منها ، وأن أتحاشي البعض الآخر ، تخفيفا على القاريء ، ومن يريد المزيد من المعرفة والبحث والاطلاع زودته في كل نقطة قدر الامكان والتخفيف بالمراجعة المتخصصة في كل موضوع .

إن مصر مهما تقلبت عليها الأحداث ، و تعرضت لخلو الأيام ومرها ، فقد ظلت دائمها سليمها العنصر ، وبقى شعبها حيا ، لأنّه جدير بالحياة .

حقا أن الأمم المتحضرة تقهقر قاهرتها ، يقهرونها بسلاح الحرب ، وتقهرهم بأصلة الحضارة .

والله ولِي التوفيق

د. سمير أديب

الباب الاول

مـصـر

في العصور الفرعونية

الفصل الاول

عصور ما قبل التاريخ

الفصل الأول

عصور ما قبل التاريخ

وهي عصور طويلة للغاية وتشمل الفترة التي لم يستطع فيها انسان هذا العصر من التعبير عن نفسه كتابة ، ليسجل ما يعنيه من أمور وأحداث ، فالتدوين في مصر أى الآثار المكتوبه التي تميز بعلاماتها الهيروغليفية بدأت تظهر في مصر في نهاية الألف الرابع أو الألف الثالث قبل الميلاد . وعلى ذلك فيمكن تعريف عصور ما قبل التاريخ بأنها العصور التي لم يتعارف فيها هذا الإنسان على علامات كتابية مكتبه من التعبير عن نفسه كتابه ليسجل ما يهمه من أمور ويترجم بها مالديه من أفكار ، فالكتاب في الواقع تعتبر الحد الفاصل بين عصور ما قبل التاريخ ، وبين العصر التاريخي .

ودراسة عصور ما قبل التاريخ تعتمد على ما خلفه لنا الإنسان من أدوات ، وأسلحة وأواني مختلفة ، وما أبقاءه لنا الزمن من أطلال منازل وبقايا مقابر وما شابه .

وتنقسم عصور ما قبل التاريخ إلى ثلاثة عصور هامة تتسب إلى كلمة من أصل أفريقي هي الكلمة Lithic بمعنى حجري ، وذلك إشارة إلى تغلب الأدوات الحجرية فيها⁽¹⁾ .

(1) Hune, Geology Of Egypt, 2 Vols, Cairo, 1925 - 1935.

Baungaertei, The Cultures of Prehistoric Egypt, Oxford, 1947.

-
- ١- العصر الحجري القديم Palaeolithic من ٦٠٠,٠٠٠ إلى ١٠,٠٠٠ ق.م
 - ٢- العصر الحجري الوسيط Mesolithic من ١٠,٠٠٠ إلى ٥,٠٠٠ ق.م
 - ٣- العصر الحجري الحديث Neolithic من ٥,٠٠٠ إلى ٣١٠٠ ق.م

ونبدأ الأن بالحديث عن :

العصر الحجري القديم:

ويرمز هذا العصر لأطول وأقسى مرحلة عرفها الإنسان ، فقد كان عليه من البداية أن يستخدم عقله ليقاوم ضراوه الحيوانات الكاسره التي كانت غالباً ما تشاركه نفس البيئة بل وتنافسه في الصيد ، فاضطر إلى صنع أسلحته البدائية لكي يدافع عن نفسه . إذن فالصيد كان حرفته الأولى ونتيجة لصيد هذه الحيوانات فكر في استغلال جلودها وفراءها كملابس يقيه قسوة الطبيعة ، ثم بعد ذلك إنطلق من حرفه الصيد إلى الرعي ومنها إلى الزراعة التي علمته الاستقرار والملكية وتكوين الأسرة ، فالجماعة ، فالقبيلة . وكان للشعور الغريزي بالخوف من المجهول أكبر الأثر في دفع إنسان هذا العصر إلى المعتقدات المختلفة التي إصطلاح على تسميتها بالدين .

وقد ظهر الإنسان الأول في الزمن الرابع من تاريخ القشرة الأرضية وهو زمن له عصرين ، الأول يعرف باسم البلاستوسين Pleistocene وهو عصر طويل للغاية اختلف العلماء على توقيته ، فمنهم من يقدره بعشرات الآلاف من السنين ومنهم من يقدرها بعشرات الآلاف من السنين . وعصر البلاستوسين يمثل العصر الحجري القديم بأقسامه : الأسفل والأوسط والأعلى .

والعصر الحجري القديم يتميز بالآلات الحجرية الخشنة التي لم تتشذب بعد ، ومن الناحية الاقتصادية إنتمى إنسان هذا العصر على الصيد والجمع ، أي كان جامعاً للقوت الذي تقدمه له الطبيعة وليس متسبجاً له ، بمعنى أنه كان يسلك جمع كل ما يستطيع جمعه من الطبيعة المحيطة به ولكنه لم يتوصل بعد لانتاجه .

وأدوات العصر الحجري القديم تعتبر وليدة لاحتياجات الإنسان الأول بمعنى أنه شكلها لهدف معين ورغبة مخلصه في الدفاع عن نفسه وصيد ما أمكنه من الحيوانات وإقتلاع ما يطيب له من الجذور النباتية . وكانت الفأس اليدوية Hand Axe وهي الأداة الرئيسية التي نتجت من هذا الهدف وحققت له هذه الرغبة ، وهي عبارة عن قطعة من الحجر الذي يتوفّر في البيئة ذات قاعدة مستديرة ونهاية مدبلبة .

أما إنسان العصر الحجري القديم الذي يستعمل هذه الأداة في وادي النيل فقد عثر على عظام له في منطقة حوض كوم إمبو وهي ترجع إلى العصر القديم الأعلى وهي تشبه في تكوينها عناصر إنسان بداية المعادن . وقد تميّز إنسان هذا العصر بالوجه وقوه الفك وبروز عظام الحاجب واعتدال القامة .

العصر الحجري الوسيط :

وهو يعتبر فترة إنتقال بين العصرتين الحجرين القديم والحديث ، اهتم فيه الإنسان بتحسين حالته ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، كما حاول فيه أن يحسن بعض أدواته الحجرية .

العصر الحجري الحديث :

وينقسم إلى مراحلتين :

- الأولى : بقيت فيها الأدوات الحجرية هي الأدوات الرئيسية دون استخدام المعادن وهذه المرحلة تسمى العصر الحجري الحديث الصرف .
- الثانية : بدأ فيها الإنسان يستخدم المعادن وعلى وجه الخصوص النحاس ، ولذلك تسمى العصر النحاسي الحجري ، أو عصر بداية المعادن .

(١) العصر الحجري الحديث الصرف :

ومراكزه الرئيسية التي اكتشفت حتى الآن هي مرمرة بنى سلامه في غرب الدلتا ، والعمري عند رأس الدلتا (شمال حلوان) ، والفيوم «أ» . والثلاثة يمثلون حضارة الشمال . أما الجنوب فتمثله دير تاسا (مركز البدارى في أسيوط) . . وتميز حضارات العصر الحجري الحديث بخصائص عامة أهمها :

- ١- إستئناس الحيوان .
- ٢- الاهتمام إلى الزراعة ، وترتبط عليها الحياة المستقرة .
- ٣- صقل الأدوات الحجرية وتعدد أنواعها .
- ٤- معرفة صناعة الفخار وجدل السلال ونسج الكتان .

وسنأخذ الأن مرمرة بنى سلامه كمثل لحضارات الشمال ، ودير تاسا كمثل لحضارات الجنوب .

مرمرة بنى سلامه :

تقع على نحو ٥١ كم شمال غرب القاهرة ، وهي قرية نيوليthic حجمها ما

يقرب من 600×400 متر . شيد أهلها اكواخهم المبنية بالطين على جانبي طريق رئيسي مستقيم وربما أن هذا أقدم تخطيط للقرية ، ودليل على وجود سلطة شرعية شرعت التنظيم وأمرت بتنفيذها .

ووجدت بالمنطقة آثار نوعين من المساكن نوع بنى بالطين ويعتمد أساسا للمبني وخاصة في ليالي الشتاء ، وهي مساكن يضاوئه الشكل تبنى في حفرة متسعة بحيث يكون جزء من المسكن تحت سطح الأرض لحمايته ، ويتراوح مساحتها بين $1 \times 1,5$ متر ، وبين $2 \times 3,20$ متر ، مما يحتمل معه أن الصغرى ربما كانت مساكن فردية والكبرى مساكن جماعية⁽¹⁾ .

أما النوع الثاني من المساكن فتدل عليه فجوات ضيقه في الأرض وجدت في بعضها أجزاء من البوص ، وتكون كل مجموعة منها شكلًا شبه يضاوئي مما أدى إلى الاعتقاد أنها كانت فجوات لاوتاد من البوص تكون كل مجموعة منها كونخا أو خصا ليحمي فيه صاحبه من الشمس والريح ، ولبيت فيه في شهور الصيف .

وقد عرف أهل مرمرة الزراعة وكانوا متعاونين فيما بينهم ويخزنون غلالهم ، وكانت لديهم قطعان من الماشية والخنازير والماعز والخراف . وإستعمل السكان مناجل من الظران ليقطعوا بها أعواد القمح كما كانت لديهم سكاكيين من الظران وفؤوس للقتال واستعملوا أيضا السهام ودبابيس القتال .

(1) Junker, vorbericht die Grabungen auf des Neolithichem Siedlung Von Merimde-Benisalame, Wien, 1929, 1930, 1932, 1934.

أما فخار أهل مردمه فهو أسود خشن بسيط في أشكاله يتناسب مع مطالب الحياة ، ويتميز بوجود الآنية لحمله منها وتحليتها ، أو ثقوبًا في جوانبها لتعليقها منها . كما إهتم سكان مردمه بالكماليات بدليل استخدام نسائهم عقوداً من المعارض وأسنان الخنزير البري وحلقان من العاج .

وكان أهل مردمه يغزلون الكتان ويصنعون منه ملابسهم ، ويدفنون موتاهم بين مساكنهم وليس في جبانه مستقله ، وكان القبر عبارة عن حفرة بسيطة يضاوئه يوضع فيها الميت في وضع القرفصاء غالباً ما يكون راقداً على جانبه الأيمن ومتوجه بوجهه نحو الشرق .

دير تاسا :

وتقع على الجانب الشرقي للنيل على مقربه من البدارى بمحافظة أسيوط ، والمقدمة التاسية عبارة عن حفرة يضاوئه صغيرة أركانها مستديرة وعمقها يبلغ المتر أو أكثر قليلاً ، غالباً ما يوجد في جدارها الغربي فجوة صغيرة بها آتية ، وكان الميت يوضع في هيئة القرفصاء بحيث تكون رأسه للجنوب ووجهه يتوجه نحو الغرب . وهذا الوضع يخالف وضع الميت في مردمه بني سلامه ويتفق فيما أصبح عليه الحال في أغلب عصور مصر الفرعونية . كما نلاحظ أيضاً في مقابر دير تاسا وجود وسائل يوضع عليها رأس المتوفى غالباً من القماش أو الجلد وكان يلف الجسد بالحصير أو الجلد أو الكتان ، وذلك طبقاً لثراء المتوفى .

أما فخار دير تاسا فمن مميزاته أنه فخار أحمر ذو حافة سوداء ، وفخار

أسود مصقول . وأهتم النساء بمستلزمات الزينة فقد عثر على لوحات صغيرة لصحن الألوان بها أثار اللونين الأحمر والأخضر ، وأساور ومجموعة من الخلوي صنعت من العظم أو العاج والحجر أو الودع .

(ب) العصر الحجري النحاسي . او عصر بداية المعادن :

ومراكزه الرئيسية التي تم الكشف عنها حتى الآن هي البدارى بمحافظة أسيوط وتمثل البداية ، ثم نقاده الأولى وتمثل التقدم ، ونقاده الثانية وتمثل النضج وهما بمديرية قنا ، ثم أخيراً المعادى وتمثل حضارة الدلتا . . . على أن أغلب الباحثين يفضل أن يطلق على الحضارات الثلاث الأخيرة إصطلاح عصر ما قبل الأسرات .

حضارة البدارى :

تقع بمحافظة أسيوط ، وتميز تلك الحضارة بأن أهلها عرفوا النحاس وصنعوا منه حبات صغيرة يستخدموها في حلبيهم مع حبات الفيروز والعقيق كانت تسلك في خيط من الكتان على هيئة قلائد أو أساور . وأهتموا أيضاً بمستلزمات الزينة وعرفوا الملابس الكتانية والجلدية ، واستخدموها المعاقل التي تشبه لحد ما ما نستخدمه منها اليوم ، وثقوبوا الأبر التي كانت تصنع من العاج أو العظام أو النحاس⁽¹⁾ .

وإهتم أهل البدارى بالأرتقاء بصناعة الفخار والعنابة برقة جدرانه

(1) Brunton-Thompson, The Badarian Civilization and Predynastic Remains near Badari, London, 1928.

وزخرفته ، واستعملوا عصى للرمادة معقوفة هي « البوميرانج » لصيد الطيور المائية . ومن مميزات حضارة البدارى أيضاً تماثيل النساء الصغيرة من الفخار والصلصال أو العاج والمقدمة في البدارى كانت عبارة عن حفرة بيضاوية أو مستديرة ليس بها فجوه جانبية ، ويؤسدها المتوفى على جانبه الأيسر على ما يشبه الأريكة ورأسه إلى الجنوب ومتوجه بوجهه نحو الغرب .

(ج) عصر ما قبل الأسرات :

ويشمل حضارات نقاده الأولى والثانية وتمثل حضارات الصعيد ، والمعادى وتمثل حضارة الدلتا .

حضارة نقاده الأولى :

تقع بحافظة قنا ، وقد قام بالتنقيب هناك العالم « فلندرز بترى » ، ولغرابه ما عثر عليه هناك من آثار تختلف عما كان معروفاً من قبل فضل إلا يسميها جميعها باسم مكان واحد ورأى أن يرتب هذه الآثار طبقاً لأنواع الفخار المختلفة وأنواعها الوفيرة التي تم الكشف عليها بداخل المقابر التي وصلت إلى ١٥٠٠ مقبرة ، وهذا تفكيره إلى أن يتبع تطور الفخار ومراحله المختلفة ، وقسم هذه المرحلة إلى خمسين مرحلة أطلق عليها « التوقيت المتابع » أو « التوقيت الزمني » ، وقسم هذه المراحل إلى مجموعتين كبيرتين أطلق على أقدمها حضارة نقاده الأولى ، وأحدثها حضارة نقاده الثانية .

وتوصل إلى تسميه المراحل بين ٣٠ - ٣٨ باسم حضارة العمره (جنوب جرجا) وهي الفترة الممثلة لبداية ما قبل الأسرات ، وأطلق على المراحل ما

بين ٣٨ - ٦٠ حضارة جروه (عند مدخل الفيوم) وهي الفترة الممثلة لأوسط ما قبل الأسرات ، وأطلق على ما بين ٦١ - ٧٨ إسم حضارة سماينه (غرب قنا) وهي الفترة الممثلة لنهاية ما قبل الأسرات ، وبعدها تبدأ الأسرة الأولى الفرعونية مباشرة ، وقد أصاب التوفيق « بترى » عندما ترك المراحل الثلاثين الأولى خاليه لما يستجد من نتائج الاكتشافات ، فعندما كشف حضارة البدارى خصصت لها المراحل من ٢٩ - ٢٠ ، أما ما قبل العشرين فقد ترك حضارات العصر الحجرى الحديث الصرف^(١) .

وتتميز حضارة نقاده الأولى بالفخار الأحمر المصقول والفخار الأحمر ذى الحافة السوداء ، ونوع ثالث يطلق عليه الفخار ذو الرسوم البيضاء المقاطعة ، ويتميز الفخار بتنوع أشكاله فهناك الطواجن والأطباق والأكواب والأواني ، أما رسوم هذا الفخار سواء التى رسمت على جدرانه الداخلية أو الخارجية فمنها ما يمثل زخارف هندسية ، ومنها ما يمثل مناظر طبيعية . ومن أدوات الاستعمال اليومى وجدت إبر وأمشاط وألواح من العاج بجانب بعض التماثيل للنساء . أما مقابر نقاده فهى عبارة عن حفره يضاويفه وجد فيها المتوفى فى وضع القرفصاء على جانبه الأيسر والرأس نحو الجنوب والوجه ناحية الغرب ، وقد لفت الجثه بجلد الماعز أو الخصير . كما وجدت مقابر جماعية ، ويرى العالم الألمانى Otto أن هذه المقابر الجماعية ربما كانت عائلية أو ربما كانوا أتباعا للمتوفى قتلوا لخدمه سيدهم فى العالم الآخر ، كما وجدت بعض مقابر أخرى دفن فيها الإنسان بجانب الحيوان وخاصة الكلاب والغزلان ، وقد يدل على منزله هذا الحيوانات لدى المتوفى .

(1) Hazayyin, The Place of Egyptian Prehistory. Cairo 1941.

حضارة نقادة الثانية :

إنتشرت هذه الحضارة إلى منطقة النوبة السفلى جنوباً ، وإلى جزءه وأبواصير الملق والمعادى شمالاً ، على أنه للآن لم يتم الكشف على أى آثار ترجع لحضارة نقادة الثانية في الدلتا .

وتتميز هذه الحضارة بنوع من الفخار ذي زخارف أو رسوم حمراء ، وهي رسوم تندر فيها الأشكال الهندسية ، وتكثر فيها الصور الحيوانية والأنسانية والطيور المائية بجانب صور لمراكب ونباتات ، كما تميزت أيضاً بنوع آخر من الفخار وهو فخار ذي مقابض متموجة ، هذا بجانب الأواني الحجرية والصليات التي اتخذت أشكالاً مختلفة منها ما هو مربع ومنها ما هو مستطيل ومنها ما يأخذ شكل الطير أو سمكة ، والمقابر عبارة عن حفرة مربعة أو مستطيل حاول المصري فيها تحديد جوانب المقبرة الداخلية وذلك بكسائتها بالطمى ثم البوص أو بألواح خشبية ، وقد اتخذ المتوفى وضع القرفصاء ، وكفن بالكتان وتؤسد حصير من البوص ، أما وضع الرأس فكان نحو الجنوب والوجه ناحية الغرب .

حضارة المعادى :

وللمعادى أهميتها إذ أنها تمثل آخر الفترة الني يوليثية أى فترة عصر بداية المعادن في الدلتا وهي تقع في مكان يصل الدلتا بالصعيد . وكان هناك ثلاثة أنواع من المساكن منها ما هو شبه بيضاوى وله فتحة في الجنوب ، والنوع الثاني يقع جزء منه تحت سطح الأرض وينزل إليها بسلم وتنفذ شكل بيضاوى

أيضا ، والنوع الثالث هي مساكن مستطيلة تتكون من جدران من جذور الأشجار والبوص ، تحدد أركان المترهل ثم تليس بالطين .

أما الفخار فكان من النوعين الأحمر الأملس والأسود المصقول ، بجانب أواني ذات مقابض وأخرى ذات قواعد ، كما تميزت بأواني حجرية صنعت من أحجار مختلفة من البازلت والحجر الجيري .

أما المقابر فقد وجدت في جبانة خاصة بعيدة عن المساكن تقع في الجهة الجنوبية ، وكانت المقبرة عبارة عن حفرة بسيطة يتراوح عمقها بين ٢٠ ، ٩ سم وذلك حسب حجم الشخص وسنّه ، وكان المتوفى يوضع على هيئة القرفصاء ، وإن وجدت إستثناءات قليلة إذن فيها المتوفى الوضع المد ، وليس هناك إتجاه ثابت للرأس غير أن أغلبها إتجاه نحو الجنوب ، أما الوجه فأحيانا نحو الشرق وأحيانا نحو الغرب ، وفي حالات أخرى قليلة إتجاه نحو الجنوب أو الشمال^(١) .



(1) Menghin-Amer, The Excavations of the Egyptian University in the Neolithic Site at Maadi, 2 vols, Cairo, 1932, 1936.

الفصل الثاني
أقسام التاريخ المصري
القديم ومصادره

الفصل الثاني

أقسام التاريخ المصري القديم ومصادره

أولاً: أقسام التاريخ المصري:

قسم الكاهن المصري « مانيتون » الذي عاش في عهد الملك بطليموس الثاني (القرن الثالث قبل الميلاد) تاريخ مصر الفرعونية إلى ثلاثين أسرة ، وهو التقسيم المصطلح عليه الآن بين العلماء والمتخصصين مع بعض الاختلافات البسيطة ، وينقسم التاريخ المصري إلى :

١- عصور ما قبل التاريخ : من ٥٠٠٠ إلى ٣١٠٠ ق. م

٢- عصر الأسرات المبكر . أو العصر العتيق . العصر الثيني
من ٣١٠٠ إلى ٢٦٨٦ ق. م

ويشتمل الأسرة الأولى :

ويشتمل حكم الفراعنة :

نعرمر (= مينا) حور عحا - جر - جت - دن - عج اب - سمرخت - قاعا .

والأسرة الثانية :

حتب سخموى - رع نب - نى نتر - بر اب سن (= سخمو اب) سنج -
نتركا - نفر كارع خع سخم - خع سخموى .

٣- الدولة القديمة : وتشتمل الأسرات من الثالثة إلى السادسة .

من ٢٦٨٦ إلى ٢٦١٣ ق. م - الأسرة الثالثة :

نب كاسانخت - جسر نترخت - سخم خت - خمع با - حونى .

من ٢٦١٣ إلى ٢٤٩٨ ق. م - الأسرة الرابعة :

سنفرو - خوفو - جدف رع - خفرع - من كاورع - شبسكاف .

من ٢٤٩٨ إلى ٢٣٤٥ ق. م - الأسرة الخامسة :

وسركاف - ساحورع - نفر إيركارع كاكاي - شبسكارع نفر رع - نى وسررع - من كاوحور - جدكارع إسسى - ونيس (أوناس) .

من ٢٣٤٥ إلى ٢١٨١ ق. م - الأسرة السادسة :

تيتى - وسركاف - بيبي الأول - مرنع الأول - بيبي الثاني - الملكة من كاورع نيت إقرت .

٤- عصر الفترة الأولى، أو الأضحم لحال الأول ، أو عصر اللامركزية الأول . أو العصر المتوسط الأول ، أو عصر الثورة الاجتماعية (ويشتمل الأسرات من ٧ - ١٠)

٢١٨١ - ٢٠٤٠ ق. م

من ٢١٨١ إلى ٢١٧٣ ق. م - الأسرة السابعة : (المنفيتان)

من ٢١٧٣ إلى ٢١٦٠ ق. م - والأسرة الثامنة : (نسبة إلى منف)

من ٢١٦٠ إلى ٢١٣٠ ق. م - الأسرة التاسعة : (الأهناسيتان)

- والأسرة العاشرة : (نسبة إلى إهناسيا العاصمة)

من ٢١٣٠ إلى ٢٠٤٠ ق. م

٥- الدولة الوسطى :

وتشمل الأسرتين الحادية عشرة والثانية عشرة الطيبيتين نسبة إلى مدينة طيبة العاصمة من ٢١٣٣ إلى ١٧٨٦ ق. م

- الأسرة الحادية عشرة : من ٢١٣٣ - ١٩٩١ ق. م

أنتف الأول والثاني والثالث - متتوحتب الثاني نب حبت رع - متتوحتب الثالث سانخت - متتوحتب الرابع نب تاوى رع .

- الأسرة الثانية عشرة : من ١٩٩١ - ١٧٨٦ ق. م

أمنمحات الأول - سنوسرت الأول - أمنمحات الثاني - سنوسرت الثاني - سنوسرت الثالث - أمنمحات الرابع - الملكة سبك نفرو .

٦- عصر الفترة الثانية أو الاضمحلال الثاني أو عصر اللامركزية أو العصر المتوسط الثاني :

وتشمل الأسرات من ١٧٨٦ - ١٥٧٦ ق. م

- الأسرة الثالثة عشر الطيبية (نسبة إلى طيبة العاصمة) من ١٧٨٦ - ١٦٣٣ ق. م

- الأسرة الرابعة عشر السخاوية (نسبة إلى العاصمة سخا) من ١٧٨٦ - ١٦٠٣ ق. م

- وفترة حكم الهكسوس التي تشمل الأسرتين ١٥ - ١٦ ومركزهما في شرق الدلتا (أواريس)

ومن أهم ملوكها :

سقنترع تاعا الأول (الأكبر) - سقنترع تاعا الثاني (الشجاع) - كامس .

٧- عصر الدولة الحديثة أو عصر الامبراطورية : من ١٥٦٧ - ١٠٨٥ ق. م

ويشمل الأسرات من ١٨ - ٢٠ ، ويطلق على الأسرات ١٩ ، ٢٠ عصر
الرعامية (نسبة إلى رعمسيس)

من ١٥٦٧ - ١٣٢٠ ق. م - الأسرة الثامنة عشرة :

أحمس - أمنحتب الأول - تحتمس الأول - تحتمس الثاني - حتشبسوت -
تحتمس الثالث - أمنحتب الثاني - تحتمس الرابع - أمنحوتب الثالث -
أمنحوتب الرابع (أخناتون) - سمنخ كارع - توت عنخ آمون - آى - حور
محب .

من ١٣٢٠ إلى ١٢٠٠ ق. م - الأسرة التاسعة عشرة :

رمسيس الأول - سيتي الأول - رمسيس الثاني - مرنبتاح - سيتي الثاني -
سيبتاح - تاوسرت .

من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق. م - الأسرة العشرون :

ست نخت - رمسيس من الثالث إلى الحادى عشر .

٨- العصر المتأخر :

ويشتمل الأسرات من ١٠٨٥ - ٣٣٢ ق. م ٣٠ - ٢١ .

- الأسرة الحادية والعشرون الثانيسيه (نسبة إلى تانيس العاصمة)

من ١٠٨٥ - ٩٤٥ ق. م وتمثل حكم الكهنة

- الأسرة الثانية والعشرون الليبية : من ٩٤٥ - ٨١٨ ق. م
- الأسرة الثالثة والعشرون البوباستية (نسبة إلى بوباسطه)
 - من ٧١٥ - ٨١٨ ق. م
- الأسرة الرابعة والعشرون الصاوية الأولى (نسبة إلى صا الحجر أو تانيس في غرب الدلتا)
 - من ٧٢٧ - ٦٦٤ ق. م
- الأسرة الخامسة والعشرون الأثيوبية أو الكوشية
 - من ٦٥٦ - ٧٨٠ ق. م
- الأسرة السادسة والعشرون الصاوية الثانية من ٦٦٤ - ٥٢٥ ق. م
- الأسرة السابعة والعشرون الفارسية من ٥٢٥ - ٤٠٤ ق. م
- الأسرة الثامنة والعشرون الصاوية الثالثة من ٤٠٤ - ٣٩٩ ق. م
- الأسرة التاسعة والعشرون المنديسيه (نسبة إلى منديس شمال سمنود)
 - من ٣٩٩ - ٣٨٠ ق. م
 - الأسرة الثلاثون السمنودية من ٣٨٠ - ٣٤١ ق. م
 - وأخيرا الغزو الفارسي الثاني ويعتبره بعض العلماء الأسرة ٣١
 - من ٣٤١ - ٣٣٢ ق. م
 - عام ٣٣٢ ق. م
 - من ٣٣٢ - ٣٠ ميلادي
 - من ٣٠ ميلادي - ٢٩٥ ميلادي
 - من ٣٣٧ - ٦٤١ ميلادي
 - عام ٦٤١ ميلادي
- ٩- غزو الاسكندر الاكبر لمصر
- ١٠- العصر البطلمي
- ١١- العصر الرومانى
- ١٢- العصر البيزنطى والحضارة القبطية
- ١٣- الفتح العربى لمصر

ثانياً: مصادر التاريخ المصري القديم

تعتمد الدراسة في تاريخ مصر الفرعونية على عدة مصادر أساسية هي : الآثار المصرية ، وما كتبه الرحالة والمؤرخون من الأغارقة والرومان الذين زاروا مصر ، ثم المصادر المعاصرة لبعض فترات الحضارة المصرية القديمة من حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم .

ولنحاول الآن أن نتحدث بشئ من التفصيل عن كل مصدر من هذه

المصادر :

أولاً: الآثار المصرية :

ولا ريب في أن الآثار التي تركها لنا المصريون القدماء تعتبر المصدر الأول للتاريخ مصر القديمة ، فهي تتحدث عن الكثير من أخبار القوم ، وتروى معلومات هامة عن عقائدهم وفنونهم ... الخ ، وهي تشمل كل ما خلفه لنا أجدادنا القدماء من المعابد والمقابر والأهرامات والتماثيل ولوحات القبور والتوابيت وقراطيس البردى .. وغيرها .

على أن الباحث إنما يلاحظ على هذا المصدر الأصيل عدة نقاط ضعف

منها :

أولاً : أن كثيراً من الآثار إنما هو صادر عن المقابر أو المعابد ، ومن هنا فقد كان المظاهر السائد لمعظم ما يعثر عليه فيها ديني .

ثانياً : أن كثيراً من هذه الآثار إنما كتب بأمر من الملوك ، أو بوحى منهم ، فلو عرفنا أن الملك في العقيدة المصرية إنما كان إليها أكثر منه بشرى وجب علينا أن نكون على حذر فيما يروى .

ثالثاً : أن تسعة أعشار الحفائر إنما تمت في الصحراء ، حيث شاد القوم «مساكن الابدية» حيث يحفظ الرمل الأشياء من التلف ، ومن هنا كان المظهر الجزئي هو السائد ل معظم ما يعثر عليه . أما مساكن الأحياء والتي كانت تبني عن قصد من مواد أقل قدره على الاحتمال ، فكانت تقوم في وسط الأرض الزراعية ، وعندما كانت تنهار المنازل المبنية من اللبن كانت تخل محلها منازل أخرى تقوم فوقها ، وهكذا يرتفع مستوى الأرض مرة بعد أخرى فوق منسوب الفيضان ، وقد أدى ذلك إلى ندرة الآثار المتعلقة بالحياة اليومية ، ونواحي النشاط الدنبوى ، ومع ذلك فإن الثراء الذي نراه في اللمسات الإنسانية التي في المستندات المصرية تفوق نظائرها كثيراً من بلاد الشرق الأدنى القديم⁽¹⁾ .

رابعاً : ندرة الآثار التي ترجع إلى بعض العصور المظلمة ، ولعل أسوأ المراحل جميراً ما عرف باسم «العصر الوسيط الأول» ويشمل الأسرات من ٧ - ١٠ ، و «العصر الوسيط الثاني» ، ويشمل الأسرات من ١٣ - ١٧ ، ثم ما بين الأسرات ٢٤-٢١ ، مما يجعل تسلسل الأحداث في التاريخ الفرعوني غير مطرد ، وتتخلله فجوات لا بد من الاستعانة في مثلها بمصادر أخرى .

خامساً : أن النصوص المصرية - في غالبيتها - صعبة الترجمة ، عسيره التأويل ، لم ينشر الكثير منها ، أو لم يترجم ترجمة دقيقة .

(1) Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1964, PP. 52-53.

سادساً : أن المصريين - شأنهم في ذلك شأن غيرهم من الشعوب الأخرى القديمة - لم يعرفوا التواريχ المطلقة ولم يتفقروا على بداية زمنية ثابتة يردون إليها الأحداث ، مما جعل مهمة الباحث صعبة وشاقة في تاريخ العصور الفرعونية^(١) .

ومع ذلك كله ، فإن مصادر الآثار المصرية إنما تمتاز عن غيرها من المصادر الأخرى بأنها المصدر الوحيد الذي عاصر الأحداث والذي أشركه المصريون في الكشف عن تاريخهم وتخليل حضارتهم^(٢) .

هذا ولعل أهم ما عثر عليه بين تلك الآثار - من وجهة النظر التاريخية - ما عرف بقوائم الملوك ، وهي قوائم أرخت لبعض الفراعنة ولما سبقهم من عصور ، ولم يقتصروا فيها على ترتيب الملوك ترتيباً زمنياً وحسب ، بل ذكروا مدة حكمهم بالسنة والشهر واليوم .

وأهم هذه القوائم الملكية هي : حجر بالرموز ، قائمة الكرنك ، قائمة أبيدوس ، قائمة سقارة ، بردية تورين ، نصوص الأنساب .

١- حجر بالرموز :

عثر عليه في منف ، ثم نقل إلى صقلية ، حيث أودع متحف العاصمة « بالرموز » عام ١٨٧٧ م ، وهو قطعة من حجر الديوريست ، طولها حوالي

(١) محمد بيومى مهران ، مصر والشرق الأدنى ، القديم ، ج ١ ، الاسكندرية ، ١٩٨٨ ، ص ٥٣ - ٥٦ .

(٢) محمد جمال الدين مختار ، موسوعة تاريخ الحضارة المصرية ، العصر الفرعوني مصادر التاريخ الفرعوني ، المجلد الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ٨٣ ، ٩١ .

مترین ، وارتفاعها حوالي ٧٠ سم ، وهناك غيرها أربع قطع بالمتحف المصري بالقاهرة ، هذا إلى جانب قطعة سادسة اشتراها « بتري » وتوجد الآن بمتحف الجامعة في لندن .

هذا وقد دون على الحجر أسماء جميع من حكموا مصر منذ أيام ما قبل الأسرات ، وحتى الملك « نفر أير كارع » ثالث ملوك الأسرة الخامسة . وكان الحجر مقسماً إلى صفوف ، وكان عصر كل ملك يقسم إلى سنوات ، ويكتب في خانة كل سنة أهم ما حدث فيها سواء من الحروب أو إقامة المعابد أو الأعياد الدينية أو عمل بعض الأشياء الهامة مثل بناء السفن أو إقامة التماضيل الكبيرة ذات الأهمية الخاصة . ونجد تحت إسم كل ملك رسم ملك جالس وعلى رأسه تاج أحد البلدين (الشمالي - أو الجنوبي)^(١) .

وعلى الرغم ما في هذه المدونة من عيوب ، فإنها كانت أول محاولة معروفة لجمع أخبار الملوك وترتيبها في العالم القديم ، وحسبها أنها كانت « نقطة البدء » وأنها سبقت غيرها بقرون طويلة ، وأن مؤرخها الذي سبق عصرنا بنحو خمسة وأربعين قرنا ، التزم فيها مبادئ لا تزال تعتبر من شروط التاريخ السليم ، منها فصل كل حول وآخر بخط رأسى ، والفصل بين حوليات كل ملك وآخر بخط أفقي ، كما راعى الترتيب الزمني في تدوين

(1) Gauthier, Quatres Nouveaux Fragments Le Pierre de Palerme Egyptien

Musée, III, Pls. 24 - 31, PP. 29-35..

- Breasted, Ancient Records of Egypt, I, 1927, Parag. 29-35.

- Schäfer, Ein Bruchstück Altagyptischer Annalenm, Wiesens Chaften,
1902.

أسماء الملوك وحوادثهم من الأقدم إلى الأحدث ، كما راعت أمانة النقل في روایاته^(١) .

- قائمة الكرنك :

نُقشت هذه القائمة في عهد الملك « متحمس الثالث » (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق. م) أحد ملوك الأسرة ١٨ ، والتي أقامها في إحدى الحجرات الصغيرة إلى جانب بهو الأعياد في معبد الكرنك . وتستقر هذه القائمة الآن في متحف اللوفر بباريس ، منذ أن نقلها إلى هناك الآثري الفرنسي « بريس دافن » في عام ١٨٤٤ م .

وقد صور في قائمة الكرنك هذه الملك « متحمس الثالث » وهو يتوجه بدعواته إلى ٦١ ملكاً من أسلافه الذين تحطم إسم أولهم ، ومن ثم كان أولهم هو الملك « سنفرو » مؤسس الأسرة الرابعة ، ثم يليه بعض ملوك هذه الأسرة ، ثم ملوك الأسرتين الخامسة والسادسة ، ثم يتلوهم بعض ملوك الأسرات من ١١ إلى ١٧ . وهنا نجد أن كاتب هذه القائمة قد أسقط ذكر أسماء ملوك الأسرات الثلاثة الأولى ، وكذلك أغضى عن ذكر ملوك عصر الانتقال الأول ، وملوك الهكسوس (عصر الأسرتين ١٥ ، ١٦) .

ومن المحتمل أن « متحمس الثالث » إنما قد سُجل من الملوك من يعتقد في شرعيتهم ، أو من كان يعتبرهم أسلافه الحقيقيين الذين يرتبط بهم برابطه من نسب^(٢) .

(١) عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وأثارها ، الجزء الأول ، القاهرة ، ١٩٦٢ ، ص ٢٣٤ .

(2) Prisse D' Avenues Menuuments Egyptiens, Paris, 1847, Pl. I

Seth, Urkunden, 17, PP. 608 - 610 .

٣- قائمة أبيدوس :

وقد نقشت في عهد الملك « سقراط الأول » أحد ملوك الأسرة ١٩ على جدران معبده في « أبيدوس » عند قرابة العربة المدفونة إلى الغرب من البليينا، ومنظرها على الجدران يمثل الملك « سقراط الأول » مصحوباً بولده « رمسيس الثاني » وهو يقدم القرابين إلى ٧٦ من أسلافهم .

هذا ويتصدر القائمة الملك « مينا » كما أن القائمة تغفل أيضاً أسماء ملوك ويعتبرهم غير شرعين ، كملوك الأسرتين ٩ ، ١٠ ، وملوك عصر الانتقال الثاني (الهكسوس) الذين كانوا في نظر ملوك مصر أجانب مفترضين لحرية البلاد ، كذلك أسقطت القائمة أسماء « أخناتون » ، و « سمنخ كارع » ، و « توت عنخ آمون » و « آئي » لأنهم كانوا في رأيه ملوكاً مارقين خارجين على ديانة آمون ، وكذلك أسقطت إسم الملكة « حتشبسوت » لخروجها على التقاليد وإغتصابها للعرش من « تحتمس الثالث » . وتنتهي القائمة باسم الملك « سقراط » نفسه^(١) .

٤- قائمة سقاره :

عثر على هذه القائمة في عام ١٨٦١ م في مقبرة بنف لأحد رؤساء الأشغال المدعو « ثونري » من عهد الملك « رمسيس الثاني » ، وكانت تحوي أصلاً خراتطيش ٥٧ ملكاً يمجدهم « رمسيس الثاني » وتوجد هذه القائمة الآن بتحف القاهرة ، وهي تبدأ بسادس ملوك الأسرة الأولى « عدج - أيب » ، وتنتهي بالملك « رمسيس الثاني » ، كما أنها تراعي الترتيب الزمني .

(1) Budge, The Book of The Kings, I, London, 1908.

- Meyer, Aegyptische Chronologie, Berlin, 1904, pl. I.

وكان كاتبها متأثراً بما تأثر به كاتب قائمة أبيدوس من ذكر واغفال لبعض

الأسماء^(١).

٥- بردية تورين :

ترجع إلى عهد الملك « رمسيس الثاني » وتختلف عن بقية القوائم في أنها كتبت على ورق البردي ، وبالخط الهيراطيقى أى خط الكهنة ، كما تمتاز كذلك بأنها قد أوردت بعض الأسماء الملكية التي لم تذكرها القوائم الأخرى ، وبأنها قد عمدت إلى التبويب التاريخي حيث قسمت الملوك إلى مجموعات ونسبت بعضها إلى العواصم التي حكمت فيها .

هذا وقد عثر على بردية تورين الإيطالي « دروفتسى » في منف عام ١٨٢٠م ، ثم وجدت طريقها إلى ملك سردينا ، إلى أن قام بترميمها الأثري « فارينا » عام ١٩٣٨ ثم قام العالم « سير آلن جاردينر » بمراجعة الأصل ، وأصلاح بعض القراءات السابقة ونشر ذلك كلها^(٢) .

وتبدأ البردية بالآلهة الذين تنسب إليهم مدد حكم اسطورية ، يليهم بعد ذلك « مينا » كمؤسس للملكية المصرية ، وتنتهي أسماء الملوك قبيل الأسرة ١٨ ، والبردية مجرد قائمة من الأسماء ، تلى كل إسم إشارة بطول مدة الحكم والعمur ، ثم المجموع . . . وكانت تحتوى على أكثر من ثلاثة مائة من أسماء الملوك .

(1) De Rouge, Recherches Sur les Monuments, pl. I.

(2) Farina, Ilapapiro die re Restaurato, Rome 1938.

Gardiner, The Royal Canon of Turin , Oxford, 1959.

ويعد جدول تورين للملوك من أكثر المصادر التاريخية قيمة ، أو هو كان يمكن أن يكون كذلك ، لو أنه حفظ عليه في عناية أدق ، ذلك لأنّه لم يسجل سنّ كل حكم فحسب ، وإنما سجل كذلك عدد الشهور والأيام بعد إكمال السنين ومن الواضح أن جامع هذه الوثيقة كانت لديه مصادر معلوماته ، دقيقة يمكن الاعتماد عليها ، فمثلاً أرقام الأسرة ١٢ تتفق تماماً وما تشير إليه الآثار المعاصرة^(١) .

ولم ينسد على كاتب البردية ملكته التاريخية ، إلا إيمانه بأساطير قومه التي جعلت للأرباب نصيراً في اعتلاء عرش البلاد القديم^(٢) .

٤- نصوص الاتساق :

وકثيراً ما تساعدننا النصوص التي يكتبها بعض الأفراد عن تاريخ حياتهم في معرفة تتابع بعض الملوك في العصور المختلفة ، ولكن هناك نوعاً خاصاً من النصوص أخذ يظهر في العصر المتأخر من التاريخ المصري ، ولدينا عدد غير قليل من هذه النصوص ولعل أهمّهم ذلك النص الذي خلفه وراءه الكاهن « عنخ - إن - سخمت » من الأسرة ٢٢ أي حوالي عام ٧٥٠ ق. م.

كتب هذا الكاهن نسباً طويلاً لعائلته على لوح من الحجر الجيري يوجد الآن في متحف برلين (٣٣٦٧٣) ذكر عليه ستين جداً له ، وكتب أمام الكثرين منهم أسماء الملوك الذين عاشوا أيامهم ، وقد ثبت صحة وجود

(١) Gardiner, Op. Cit. P. 60.

(٢) عبد العزيز صالح « التاريخ في مصر القديمة - مفهومه وعناصره وبراعث القومية فيه » ، القاهرة ، ١٩٥٧ ، ص ٢١ - ٢٣ .

الكثيرين منهم من مصادر أخرى ، لقد عاش هذا الكاهن حوالي عام ٧٥ ق. م ولكنه رجع بأجداده إلى الأسرة ١١ أي حوالي ٢١٠٠ ق. م أي خلال فترة لا تقل عن ١٣٥٠ سنة .

ولا يخلو هذا النص من كثير من المآخذ فقد أخطأ صاحبه في أكثر من موضع ، كما ترك فجوات كثيرة في بعض العصور ، ولكن ذلك كله لا يمكن أن يقلل من أهميته كمصدر تاريخي هام هو وغيره من نصوص الأنساب^(١) .

٧- تاريخ مانيتون :

وكان كاهناً مصرياً في معبد « بسموند » في محافظة الغربية ، واسْتَهَر بعلمه ومعرفته بتاريخ مصر ، وكان ملماً باللغة المصرية واليونانية ، وقد أراد « بطليموس الثاني » أن يستفيد بعلمه فكلفه بكتابة تاريخ مصر ، فإذاستقى معلوماته مما كان في المعابد ومكاتب الحكومة من وثائق . وما يبعث على الحزن أن تاريخ مانيتون الأصلي فقد في حريق مكتبة الإسكندرية ولم يعش حتى الآن على أي نسخة كاملة أو ناقصة منه ، وكل ما وصل إلى أيدينا ليس إلا مقتطفات من ذلك التاريخ عن طريق بعض الكتاب الكلاسيكيين .

وقد قسم مانيتون مؤلفه هذا إلى ٣٠ أسرة من العائلات الملكية ، تبدأ بالملك « مينا » ، وتنتهي بغزو الإسكندر الأكبر في عام ٣٣٢ ق. م^(٢) .

(1) Borchardt, Mittel zur Zeitlichen Feslegung Von Punkten, Cairo, 1935. PP. 92-117.

- أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، القاهرة ، ١٩٧٨ ، ص ٦٩ ، ٧٠ .

(2) Baikie, A History of Egypt. I, London, 1929, P. 54.

- Waddle, Manetho, with an English Translation, Cambridge, 1940.

وبالرغم من جميع الأخطاء التي حدثت في النقل وما أصاب الملوك من تخريرب ، وما سقط دون شك من بعض النصوص فإن ما وصل إلينا من تاريخ مانيتون يعتبر مصدرا من أهم المصادر لتاريخ مصر ولا يمكن الاستغناء عنه^(١) .

هذا هو المصدر الأول لدراسة تاريخ مصر القديم ، ولكنه في الغالب ، تاريخ سياسي ، وهو لا يساعدنا في كل الأحوال على معرفة ما كان عليه الشعب ، أو ما كان من تطورات في المجتمع ، أو في الفنون المختلفة أو في المظاهر الثقافية والدينية بوجه عام ، وهي جمعيا على أكبر جانب من الأهمية لفهم الحضارة المصرية ، ولكن لدينا مصادر لا حصر لها تساعدنا على تلك الدراسة ، وتمدنا بالكثير من المعلومات ، فالمتاحف في جميع أرجاء العالم تمتلئ بما خلفته الحضارة المصرية القديمة ، من تماثيل ولوحات وتوابيت وحللى وأوان وأدوات منزلية ، وأدوات الصناع ، وذوى الحرف المختلفة ، هذا فضلا عن التعاوين والتمايم وقراطيس البردى وغيرها ، وعليها الكتابات المختلفة ، بعضها قطع أدبية ، والآخر نصوص دينية أو سحرية ، وبعضها يحتوى على نصوص طبيعية أو رياضية أو هندسية^(٢) ... الخ .

ثانياً: كتابات المؤرخين اليونان والرومانيون :

تميزت الفترة فيما بين القرنين السادس قبل الميلاد ، والثاني بعد الميلاد ،

(١) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٦٥ ، ٦٦ .
- عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

(٢) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٧١ .

بزيارة عدد كبير من الاغارقة لمصر - مؤرخين كانوا أم رحاله - وشجعهم على ذلك أن مصر بدأت منذ الأسرة ٢٦ (٦٦٤ - ٢٢٥ ق. م) تستخدم كثيراً من الأيونيين والكاريين والأغريق كجنود مرتزقة في جيوشها وزادت العلاقات التجارية بينهم وبين مصر ، هذا فضلاً عما سمعوه عن حكمة مصر وتراثها وأثارها ، وما تواتر إليهم وروه من أن حكمتها كانت الملة للشرع « سولون » ، والفلسفه « طاليس » ، « بيتابجوراس » و « أفلاطون » و « يودكسوس » وغيرهم . غير أن الباحثين إنما يلاحظون على كتابات المؤرخين من الاغارقه والرومان عده نقاط ضعف منها :

أولاً : أن الكثير منهم قد أساءوا فهم ما رأوه ، أو ذهب بهم خيالهم كل مذهب في تفسير أو تعليل ما سمعوه ، أو وقعت عليه أبصارهم ، ومن هنا فإن المؤرخين المحدثين إنما ينظرون إلى هذه الكتابات بعين الحذر .

ثانياً : أن أصحاب هذه الكتابات إنما قد زاروا مصر في أيام ضعفها ، وفي عصور تأخرها وإضمحلالها ، ولو أتاحت لهم الظروف زيارة خلال عصور نهضتها وفي أيام مجدها ، لتغير الكثير من أرائهم وإنطباعاتهم .

ثالثاً : أن هؤلاء الكتاب إنما قد اعتمدوا في الكثير من معلوماتهم على الأحاديث الشفوية التي كانوا يتداولونها مع من قابليهم من المصريين ، وبخاصة صغار الكهنة والترجمة ، وخدم المعابد والأغارقة المتصرين الذين حدثوهم عن عصور موغلة في القدم لا يعرفون عنها الكثير ، كما كانوا يفسرون لهم النصوص الهيروغليفية تفسيراً لا يتفق والحقيقة في الكثير .

رابعاً : أن كثيراً منهم قد كتب ما كتبه من وجهه النظر اليونانية ، وكثيراً ما كانت كتابتهم قد كتبت في وقت احتفظت فيه مصالح بلادهم مع مصالح مصر .

خامساً : روح التعلق الذي عرف عن الغربيين لحضارتهم ، وإظهارها وكأنها أرقى من غيرها ، وذلك عن طريق عرض نواحي الغرابة في الحضارات الشرقية التي عاصرتها أو سبقتها .

سادساً : عدم معرفة كتاب اليونان والرومان للغة المصرية القديمة ، مما أدى إلى سوء فهمهم للكثير مما ذكره المصريون ونقلوه عنهم محرفاً .

سابعاً : أن كثيراً من هؤلاء الرحالة والمورخين قد وفدوا إلى مصر كما يقد إلية السائح العادى يلتمس الشواهد والتواتر ، أكثر مما يلتمس الحقائق .

ثامناً : أن كثيراً منهم احتفظ بذكرياته عن مصر في ذاكرته وبملاحظات دونها في إيجاز ، ولم يكتب إلا بعد أن طوف في بلاد أخرى وبعد أن عاد إلى وطنه ، فإختلط عليه بعض ما شاهده ، وإحتفظ في ذاكرته وعمم أموراً ما كان ينبغي له أن يعممها^(١) .

وبدهى أن تكون النتيجة لذلك كله ، أن كتابات هؤلاء المؤرخين قد إمتلأت بالكثير من الأخطاء والأرجيف والتناقضات ، وبالتالي فقد أدت خلق الأساطير والخرافات عن الحياة في مصر الفرعونية .

أما أشهر هؤلاء المؤرخين فقد كانوا :

- (١) محمد جمال الدين مختار ، المرجع السابق ، ص ٨٢ .
- عبد العزيز صالح ، حضارة مصر القديمة وأثارها ، ج ١ ، ص ٢٤٠ .
- محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٧٢ - ٧٤ .

هيكاته الميلتي ، وهيردوت ، وهيكاته الأبدري ، وديودور الصقلي ، وسترابو ، وبلوتارك الخironي . . . وغيرهم .

ثالثاً: المصادر الأجنبية المعاصرة :

أما ثالث المصادر الرئيسية لتاريخ مصر القديم ، فهو المصادر المعاصرة من حضارات منطقة الشرق الأدنى القديم . مثل البابلية والأشورية . ذلك أن مصر إنما كانت على علاقة بيلدان هذه المنطقة في فترات من تاريخها ، وخاصة في عصر الدولة الحديثة فتبادل حكامها مع الفراعنة رسائل كثيرة ، اختلفت في عصور السلام عنها في عصور الحرب .

وواجب الباحث إزاء هذه الكتابات مقارنتها بما يعاصرها في مصر ، فهي تبالغ في النصر التافه فتحيله إلى نصر عظيم ، كما أنها تخفي الهزائم أحياناً ، إن لم تخيلها إلى نصر مبين ، ومن المقارنة بينها جميعاً يستطيع الباحث أن يتبيّن الحقائق التاريخية :

على أن هذه الرسائل المتبادلة إنما تعطى فكرة عن العلاقات الدولية والحالات الحضارية لهذه المنطقة الهامة من العالم إبان كتابتها .

ولعل من أوضح الأمثلة على ذلك ما عرف باسم «رسائل تل العمارنة» التي عثر عليها في أطلال مدينة العمارنة في المبنى الذي كانت تحفظ فيه المراسلات الملكية ، وهي مكتوبة بالخط المسماوي على لوحات من الطين المجفف ، ولاشك أن هذه المراسلات الملكية تعتبر من أهم المصادر الأساسية المعاصرة في دراستنا حاله الإمبراطورية المصرية في آخريات أيام الملك

الفصل الثاني : أقسام التاريخ المصري القديم ومصادره

«أمنحوتب الثالث» وطول عهد ولده «إخناتون»^(١) .. ما سوف تتناوله
تفصيليا في حينه .

تلك إذا هي أهم المصادر لدراسة تابع الملوك على العرش ، ودراسة
التاريخ السياسي للبلاد ، خلال آلاف السنين ، ولكن الآثار المختلفة كذلك
والتي أقامها الملوك والأفراد الذين عاشوا في أيامهم ، تمننا بالكثير من
المعلومات عن تعاقب الملوك وسن حكمهم وصلة بعضهم ببعض .

ولم يقف الأمر عند ذلك بل أن المصريين في جميع العصور ، أبواء إلا أن
يسجلوا مظاهر حياتهم على جدران قبورهم ، فأينما يذهب الإنسان في مصر
ووجد مقابر المصريون بتغطية جدرانها بمناظر الحياة اليومية حيناً والحياة الأخرى
حينما آخر ، وهذه الآثار وما تضمه المتاحف هي مصادرنا الأصلية لدراسة
الحضارة المصرية^(٢) .

للمزيد

(١) محمد بيومي مهران ، المرجع السابق ، ص ٨٩ ، ٩٠ .

(٢) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ٧١ ، ٧٢ .

الفصل الثالث
بداية العصور التاريخية
أو العصر العتيق

الفصل الثالث

بداية العصور التاريخية أو العصر العتيق

وتشمل الأسرتان الأولى والثانية وتعرف بالعصر الثنى . وما لاشك فيه أن هناك تطور كبير قد حدث فى مصر حوالى عام ٣٣٠ ق.م بمعنى أن البلاد كانت فى مرحلة انتقال من العصر الحجرى الحديث إلى عصر بداية الأسرات بمعنى أن طبيعة البلاد والمصلحة المشتركة نقلتهم من حياة القرية إلى المدينة ومنهما إلى حياة الأقاليم التى كانت تمثل فى أمارات صغيرة . وبدأت هذه الأقاليم تتحدى مع بعضها بوسيلة أو أخرى فقد فرض بعضها نفوذه على البعض الآخر عن طريق الحرب أو عن طريق النمو الطبيعي وتغلب المصالح المشتركة ووصلوا فى النهاية إلى مملكتين مملكة فى الشمال وتمثلت فى الدلتا وعاصمتها مدينة «ب» بمعنى المقر أو العرش (قرية إبطو قرب دسوق) وإلهها الصقر حورس وتابعها الناج الأحمر ورمزها النحله ، وملكة أخرى فى الجنوب عاصمتها مدينة «نخن» بمعنى الحصن (قرية الكوم الأحمر شمال ادفو) وإلهها كان الصقر حورس وتابعها الناج الأبيض ورمزها نبات «السوت» (ربما البوص أو الخيزران؟^(١) .

(1) Arkel, "Was King scorpion Menes", in Antiquity, 37, P. 35.

- Smith, A History of Egyptian Sculpture and Painting in the oldkingdom London, 1946, P. 115.
- Quibell and Green, Hierakonopolis, II, London, 1902, P.41.

ونعرف من الملوك المحاربين الملك العقرب الذى كان أغلب الظن أحد ملوك مصر قبل الملك مينا مؤسس الأسرة الأولى الفرعونية وتدل آثاره التى عثر عليها فى نخن أنه قام بأعمال إنشائية ، فمثلاً نراه على دبوس قتاله^(١) لابسا التاج الأبيض ماسكاً بفأس يضرب بها الأرض ربما يشق ترعة جديدة أو يقوم بأحد المراسيم الدينية وفوق هذا نرى مجموعة من الألوية تمثل مقاطعات الصعيد ويتدلى منها طيور ميتة ربما لتعبير عن قبائل الدولة وقد يدل هذا على انتصار العقرب على الشمال وتوحيد البلاد .

وفي حوالي ٣١٠٠ ق.م وفق الملك مينا إلى « توحيد الملكتين » وبهذا العمل التاريخى أسس الدولة وبه تبدأ الأسرة الأولى الفرعونية ويبدا العصر التاريخى .

وقد أسس مينا مدينة أطلق عليها « الجدار الأبيض » (مكان قرية ميت رهينة بمركز البدرشين بمحافظة الجيزة) وعرفت بعد ذلك باسم « منف » وقد وفق مينا فى اختيار هذا الموقع لأنه المكان الذى تلتقي فيه الدولة والصعيد ويعتبر أنساب مكان للعاصمة .

الملك مينا ومشكلة الفراعون الأول :

يتفق « مانيتون » وبردية تورين وقائمة ايدوس بأن الفرعون الأول هو مينا بمعنى « الحالد » أو « المثبت » إلا أن الآثار التى اكتشفت للآن والتى ترجع إلى عهد الأسرة الأولى لم تعطينا اسمًا غير مشكوك فى قرائته لهذا الملك .

وتؤكّد صلابة الملك نعمر ودبوس قتاله أنه كان مسيطر على الصعيد

والدللتا بدليل أننا نراه مرة بتاج الوجه القبلي ومرة بتاج الوجه البحري كما نجد إسمه كذلك في صورة اختتام فوق سدادات طينية وجدت بمقدمة في أبيدوس .

والاسم الثالث هو الملك عحا أو حور عحا بمعنى المحارب أو الصقر المحارب وقد ظهر اسمه كذلك في صورة اختتام فوق سدادات طينية في أبيدوس بعضها داخل السرخ وبعضها بدونه .

ونتساءل الآن هل هذه الأسماء الثلاثة لشخص واحد أو لإثنين أم لثلاثة وإن كانت لأكثر من واحد فكيف تتابع أصحابها على الحكم .

وقد اختلفت أراء المتخصصين في هذا الموضوع فهناك رأى جاردنر⁽¹⁾ يقول فيه أن مينا هو نعمر والأسماń يدلان على شخصية واحدة وإعتمد في ذلك على وجود الأسمين على أحد اختتام السدادات الطينية التي وجدت في قرية أم الجعاب بالقرب من أبيدوس . أما فنديه⁽²⁾ فيرى أن نعمر هو مني وقد اتخذ اسم عحا بعد انتصاره على الشماليين ويعتقد امرى⁽³⁾ أن العرش قد أُلِّى حور عحا بعد موت نعمر وهو يرى أن حور عحا هو مينا وأن الأسم الأول لمينا كان حور عحا أي الصقر المقاتل باعتباره حاكماً لشعب حورس في الجنوب ثم أتَخَذ لنفسه لقب مينا بمعنى الثابت أو المثبت بوصفه ملكاً للدولتين المتحدين دولة الشمال ودولة الجنوب . والآن إن كان الملك نعمر هو حقيقة مينا فهو الذي أنشأ مدينة «الجدار الأبيض » وقد وجدت معظم آثاره في مدينة « نخن »

(1) Gardiner, Op. Cit, P. 40 .

(2) Vandier, Manuel d' Archeologie Egyptienne, I, PP. 828 - 831.

(3) Emery, Hor Aha, Cairo, 1939.

بجانب البعض القليل الذي وجد في أبيدوس ويرى مانيتون أنه حكم ٦٢ سنة وكانت نهايته على يد فرس النهر الذي اخطفه .

ومن أشهر أثار الملك نعمر هي صلايته (أى لوحته) الشهيرة ورأس دبوس قتاله وقد عثر عليهما Quipell عام ١٨٩٤ خلال حفائره في مدينة نخن^(١) .

رأس دبوس نعمر :

ورأس الدبوس مثل عليها الملك نعمر لابسا الساج الأحمر مما يدل أنه أصبح يحكم الشمال وقد جلس على عرشه تحميته آلهة الجنوب نخت (الهة مدينة نخب ، مدينة الكاب الحالية على الضفة الشرقية للنيل شمال أدفو) في شكل طائر العقاب وأمامه حملة الأولوية ورجال ملتحون وأعداد وفيرة من الشيران والماعز والرجال ، ربما كانوا غنائم حرب . وأمام الملك أيضاً ترى محفة مسقوفة بها أغلب الظن شخصية لها أهميتها يرى فيها البعض أميرة من الدلتا وتتمثل مناظر الدبوس زواج الملك نعمر بأميرة من الشمال وقعت في الأسر واتخذها الملك المنتصر زوجة له ورأى آخر لفرنكفورت يرى في مناظر الدبوس الاحتفال بعيد الثلاثيني للملك . وخلف الفرعون كتب إسمه باللغة المصرية (الخط الهieroغرافي) وتحت الاسم نرى صفين يحمل أحدهم الصندل الملكي كما نرى على رأس الدبوس أيضاً صورة لمعبد بدائي وحظيرتين .

صلاية نعمر :

أما صلاية الملك نعمر فهي منقوشة على الوجهين ويبدو أنها تمثل الملك

(١) سيد توفيق ، معالم تاريخ وحضارة مصر ، القاهرة ، ١٩٧٧ ، ص ٤١ - ٤٥ .

يقوم باتمام عملية توحيد الوجهين وهي العملية التي بدأها من سبقوه من الملوك أمثال العقرب ونرى على الجزء الأعلى من وجهى الصلاية اسم الملك نعمر منقوشا داخل السرخ (واجهة القصر) وعلى كل من جانبيه رأس الالهة حتحور بوجه اثنى وقرني وأذنى بقرة . معنى ذلك أن المصريين قد خلعوا الصفة الإنسانية على الهمم منذ الأسرة الأولى على الأقل .

وعلى أحد وجهى الصلاية مثل الملك نعمر بتاج الوجه القبلى يأخذ بناصية أسير ويهم بضربة بدبوس القتال كمشفى الشكل ، ومن أمامه يتقدم الاله حورس فى صورة صقر آخرًا بزمام أسرى الدلتا وقد عبر عنهم الفنان المصرى بنبات البردى المثل للدلتا ، وخلف الملك نرى رجل يحمل إناء وصندل ، وتحت قدمى الملك نرى أسيرين يحاولان الهرب .

وعلى الوجه الآخر للصلاية نرى الملك نعمر بحجم كبير نسبيا لابسا تاج الوجه البحرى ومن حوله أتباع له بحجم أصغر منه بكثير ويتقدم نعمر أحد رجال بلاطة وأربعة من حاملى الأعلام . أمام تلك الأعلام عشرة من القتلى وضعوا رأس كل منهم بين رجليه ، ومن أسفل ذلك حيوانان خرافيان تتلاقى أعنقاهمما فتكون من تلاقيهمما بؤرة الصلاية ويشد كل من الحيوانين رجل بحبيل ليجذبه بعيد عن الآخر . ومن أسفل ذلك نشاهد فحل قوى يهدم بقرنيه مدينة محصنة ويضع حافره على ذراع رجل ملقى على الأرض (والثور هنا أغلب الظن يعبر عن الملك وقد استولى على المدينة ووضع يده على سكانها) .

أما الملك عحا فنعرف من آثاره المختلفة انتصاراته على التوبين والليبيين وذلك لتأمين مصر من الناحيتين الجنوبية والغربية ونعرف منها أيضا إشارات

مختلفة عن إحتفالات دينية وتأسيس معبد في مدينة سايس (مدينة صا الحجر في الجزء الشمالي الغربي من محافظة الغربية) للالهه نيت ، وقد اكتشف له قبران ، قبر في أبيدوس (برقم ب ١٩) والآخر في سقارة برقم ٣٣٥٧ .

وقد أسفرت الاكتشافات التي تمت في أبيدوس عن وجود كثير من الآثار الهامة التي تحمل أسماء ملوك الأسرة الأولى ولما كان من عادة الملوك المصريين أن يدفنوا بالقرب من مكان إقامتهم فقد أعتقد أن مقابر هؤلاء الملوك كانت في أبيدوس إلا أن حفائر أميري^(١) وفirth في المنطقة الشمالية من سقارة قد دلت على وجود عدد من مقابر الأسرة الأولى هناك عشر فيها على أسماء الملوك أمثال عحا ، قاعا وسمرخت وبعض كبار الموظفين أمثال حماكا وهو موظف من عهد الملك دن . وهنا يجب أن نتسائل هل دفن ملوك الأسرة الأولى في أبيدوس أم في سقارة ؟ ويعتقد أن مقابر سقارة هي المدافن الحقيقية وذلك لكبرها وفخامتها عن مثيلاتها في أبيدوس أما مقابر أبيدوس فلم تكن سوى أضرحة لتخليد ذكرى الملك المتوفى .

ويرى فركوتير بما أن الملك ملكا على الوجهين فمن المحتمل أن يكون له قبران في الوجه البحري أي في سقارة وآخر في الوجه القبلي أي في أبيدوس وظهرت المشكلة هنا للمرة الثانية ففي أي القبرين دفن الملك ؟

وبما أن المقابر سواء في أبيدوس أو في سقارة قد نهبت فإنه من الصعب الوصول إلى حل لهذه المشكلة ويرى فركوتير أن الاعداد الكبيرة من اللوحات

(1) Emery, Archich Period, 1963, P. 51.

- Emery, Great Tombs of the first Dynasty, London, 1958., p.4 .

التي عشر عليها في أبيدوس وجد عليها بعض أسماء ملوك الاسرتين الأولى والثانية وقد يدل هذا في رأيه أن المقابر الملكية الفعلية كانت في أبيدوس وإن كان فركوتير يفضل كما فعل امرى أن يترك باب المناقشة مفتوحا في هذا الموضوع .

ونعتمد في ترتيب ملوك الأسرة الأولى على ما ورد في تاريخ مانيتون وقوائم الملوك وهذا هو الترتيب المتفق عليه حتى الآن .

نعرم (= مني) ، حور عحا ، جر ، جت ، دن - عج اب ، سمرخت ، قاعا .

٢٨٩٠ - ٢٦٨٦ ق.م

الأسرة الثانية :

في الواقع لا نعرف للآن الأسباب التي أدت إلى سقوط الأسرة الأولى وقيام أسرة جديدة ثانية اتخذت من الجدار الأبيض عاصمة لها وفي الواقع أن ما اكتشف في أبيدوس من مقابر وعلى وجه التحديد في منطقة أم الجعاب لا يتعدي أن يكون أكثر من مقبرتين أحدهما للملك براب سن وهي برمز P والأخرى للملك خع سخموي ويرمز لها بحرف V.

كما لا نعرف أيضاً الأسباب التي جعلت مانيتون يبدأ أسرة جديدة إذ أنها لا نرى أي تغيير أو إنتقال مفاجئ حتى في البيت المالك بكل شيء سار في طريقه الطبيعي سواء كان هذا في الفن أو التنظيم الحكومي أو ما شابه . على أنه يجب أن نضيف إننا للآن لم نعثر على مقابر مؤكدة لملوك الأسرة الثانية في جبانة سقارة والأمل كبيرة في العثور عليها في المستقبل .

ويذكر مانيتون أن الأسرة الثانية تتكون من تسعة ملوك أولهم الملك حتب سخموي وهو إسم قد يعني « القوتان تهدأ » وقد يرمز هذا إلى قوة الآلة حورس وقوة الآله ست أو ربما يقصد هنا قوة أتباع كل من حورس وست . فهل يعني هذا أنه كان هناك نزاع بين القوتين قضى عليه الملك الجديد وربما لنفس هذا السبب بدأ مانيتون أسرة جديدة . ولم يكشف قبره للآن وقد حكم حسب مانيتون ٣٨ سنة وأنه حدث في عهده إنشقاق في الأرض بالقرب من مدينة تل بسطة (الزقازيق حالياً) وأبتلع عدد كبير من الناس وأتى بعده كل من

الملك قب رع ثم الملك نى قتر بمعنى المنتسب للاله ولا نعرف عنهم شيئاً الكثير ثم الملك سخم اب ويدو أن الثورة على عبادة الاله حورس إله الشمال قد بدأت في عهده وببدأ الناس يتبعدون للاله ست إله الجنوب على أن الأسباب التي دعت إلى هذا التغيير غير معروفة حتى الآن وقد يكون أحد الأسباب الهامة هو إنتشار عبادة الاله حورس في الدلتا وإنساب الملوك إليه وإن كنا لا نعرف الدوافع السياسية التي أدت إلى تغيير اسم الملك الحوري سخم اب وتنازله عن الولاء للاله حورس وتحويل ولاءه للاله ست بمعنى أنه غير اسمه إلى براب سن ووضعه داخل السرخ يعلوه حيوان الاله ست بدلاً من الصقر حورس الذي كان يعلو باسمه الأول سخم اب ولعل السبب هو إزدياد قوة أتباع الاله ست مما جعل الملك يتحول إلى عبادة الاله ست ليحتفظ بعرشه الذي دام ١٧ عام كما جاء في تاريخ مانيتون . وقد تم الكشف عن مقبرته في أبيدوس .

تولى العرش بعده كل من سنج ونركا ونفر كارع ولا نعرف عنهم شيئاً الكثير .

ثم جاء بعد ذلك الملك خع سخم بمعنى تجلت القوة أو أشرقت القوى وقد حكم ٤٨ سنة وقد كشفت له الحفائر في هيراكونبولييس على تماثيلين إحدهما من الشست والأخر من الحجر الجيري وهما يمثلانه جالسا على عرشه برداء الحب سد ولا بسا التاج الأبيض ولم يعثر على قبره لآن .

أما آخر ملوك هذه الأسرة فهو الملك خع سخموي بمعنى تجلت أو ظهرت

القوتان أى قوة الأله حورس وقوة الأله ست وقد حكم حسب مانيتون ٢٠ سنة ويبدو أنه حاول إنهاء التزاع بين أتباع الأله حورس والآله ست فوضع إسمه في السرخ يعلوه صورتين للالهين حورس وست جانبا إلى جانب ثم أضاف إلى إسمه لقب آخر وهو « إطمأن السيدان به » ويبدو أنه تزوج أحد أميرات الشمال وهي الملكة نى ماعت حب وقد وجد إسمها على أثار من أيدوس بلقب الأم الملكية أو أم أولاد الملك وهي أم الملك جسر مؤسس الأسرة الثالثة الفرعونية وينتسب إلى الملك خع سخموي المقبرة الضخمة التي يرمز لها بحرف ٧ في أيدوس^(١) .

التقويم المصري القديم :

قسم المصريون السنة إلى ثلاثة فصول (الفيضان ، الشتاء ، الصيف) ويشمل كل فصل أربعة شهور وكل شهر ٣٠ يوما وعلى هذا أصبحت السنة ٣٦٠ يوما فقط ثم أضافوا لها خمس أيام تمثل الاحتفال بمسولد الآلهة أو زيريس وإيزيس وست ونفتيس وحورس وهي أيام السنين الخمسة الموجودة للآن في السنة القبطية .

وتبدأ السنة المصرية نظريا بشروق الشمس مع ظهور نجم الشعري اليمانية (سوبد) في نفس الوقت . والمعروف أن السنة الفلكية الحقيقية بها ٣٦٥ يوم وربع اليوم وعلى هذا نجد أن السنة المدنية المصرية تتقدم يوما كاملا كل سنة

(1) Petrie, A History of Egypt, I. P. 27 FF.

- Gardiner, op. Cit, pp. 418 , 419 .

- Newberry, The Set Rebeillion of the II nd Dynasty, 1922, p. 10FF .

الفصل الثالث : بداية العصور التاريخية أو العصر العتيق

خامسة أى تقدم شهراً كاملاً بعد ١٢ سنة وهكذا . وقد وضح هذا في بردية ترجع إلى عصر الرعامسة (القرن ١٣ ق. م) إذ يقول الكاتب « الشتاء يجيء في الصيف والشهور تتعكس والساعات تضطرب . . . » على أنه من الطبيعي أن تلازم السنة الفلكية مع السنة المدنية بعد ١٤٦٠ سنة (لأن كل أربعة سنوات تتقدم السنة يوماً كاملاً \times عدد أيام السنة = $365 \times 4 = 1460$) .

مكتبة
مكتبة
مكتبة

**الفصل الرابع
الدولة القديمة**

الفصل الرابع

الدولة القديمة

وتعود بعصر «بناء الأهرام» كنهاية عما شيده ملوك هذه الفترة من أهرامات ذات مكانة تاريخية ، كما تعرف كذلك «بالعصور المتفاوتة» نسبة إلى مدينة منف التي ظلت العاصمة طوال هذه الفترة . وتشمل الدولة القديمة الاسرارات من الثالثة حتى نهاية الأسرة السادسة أى من ٢٦٨٦ إلى ٢١٨١ ق. م .

الأسرة الثالثة : من ٢٦٨٦ إلى ٢٦١٣ ق. م :

للآن لم نعرف الأسباب التي دعت مانيتون إلى إنهاء الأسرة الثانية بموت خع سخموى وأن يبدأ أسرة جديدة حاكمة باسم الملك جسر على الرغم من أن الملك جسر كانت له صلة القرابة بالملك السابق خع سخموى عن طريق أم الملك جسر «نى ماعت حب» الزوجة الأخيرة للملك خع سخموى . وهنا نتساءل هل كانت «نى ماعت حب» زوجة أصلية أى شرعية أم زوجة ثانوية أى فرعية . أغلب الظن أنها كانت زوجة غير شرعية ولهذا لم تتخذ لقب «الزوجة الملكية» بل اتخدت فقط لقب «أم أبناء الملك» وأن كان هذا اللقب أيضا دليلا ملمسا بأن جسر ابن الملك خع سخموى ومن صلبه هذا بجانب لقب «أم ملك مصر العليا والسفلى» . وهناك إحتمال بأن الزوجة الملكية الشرعية لم تنجي أولادا بل كانت كل ذريتها من البنات فقط أو ربما ماتوا

فأتحت الفرصة لأبناء الزوجة الفرعية للوصول إلى عرش أبيهم وربما كان هذا أيضا سببا من الأسباب التي دعت مانيتون أن يبدأ أسرة جديدة وهي الأسرة الثالثة . ويفضل الترتيب الآتي لفراعنة هذه الأسرة : نب كا ساخت - جسر نترخت - سخم خت - خع با - حونى .

الملك جسر نترخت (زوس) :

جسر تعنى « المقدس » أما نترخت فهو جسد الآلة ولم يظهر اسم جسر على الآثار إلا في عصر الدولة الوسطى وأكده آثار ترجع إلى عصر الدولة الحديثة وما بعدها أما في الأسرة الثالثة كما في الأسرتين الأولى والثانية فقد فضل الملوك نقش إسمهم الحورى على آثارهم وعلى هذا استعمل الملك جسر اسم نترخت في المجموعة الجزرية للهرم المدرج . كما يلاحظ أن بردية تورين قد سجلت اسم جسر بالحبر الأحمر ضمن ملوكها ربما لأهميته ، وقد ظل إسم جسر في أذهان المصريين عصورا طويلاً إذ نجد نقشاً يذكره على صخرة كبيرة في جزيرة سهيل جنوب أسوان ويطلق على هذه الصخرة إصطلاحاً لوحـة المجاعة⁽¹⁾ وهي ترجع إلى العصر البطلمي (من عهد بطليموس العاشر) وقد سميت هذه اللوحة كذلك لأنها تشير إلى حدوث مجاعة في العام الثامن عشر من حكم الملك جسر وذلك بعد أن قلل الفيضان سبع سنوات متالية فقتلت الحبوب . فأستشار جسر رئيس كهنته إيمحوتب الذي أشار عليه بطلب العون

(1) Barguet, La Stele de La Famine a Sahel, Cairo, 1953.

- Vandier, La Famine dans L'Egypte Ancienne, Cairo, 1963, PP. 132-139.
- Gardiner, op. at, p. 76.
- Vandier, Manual, I, P. 867.

من الآلهة خنوم إلة الشلال وفي الليل رأى الملك فيما يرى النائم الآلهة خنوم يقول له « أنا خنوم خالقك ، أنا نون العظيم الموجود منذ الأزل ، أنا الفيوضان الذي يرتفع حيث شاء » وفي الصباح أمر الملك جسر بمنع خيرات المنطقة إلى الآلة خنوم .

الهرم المدرج :

ليس من شك في أن أهم الآثار التي وصلتينا من عصر الأسرة الثالثة هي تلك المجموعة الهرمية التي أمر الملك جسر ببنائها بسقارة وقد بنيت هذه المجموعة على مساحة كبيرة تبلغ ٥٤٥ متر في الطول من الشمال إلى الجنوب و ٢٧٧ متر في العرض من الشرق إلى الغرب . ومن الطريق أن الملك جسر قبل أن يبدأ في بناء مجسموته الجازية في سقارة سار على نهج من سبقوه من ملوك الأسرتين الأولى والثانية فبني مقبرته الأولى على شكل مصطبة كبيرة الحجم تبلغ أطوالها ٩٥ × ٥٠ مترا وأرتفاعها ١٠ أمتار وهي من الطوب اللبن وتوجد إلى الجنوب من قرية بيت خلاف الحالية على مقربة من أبيدوس .

أما مقبرته الثانية بسقارة ونقصد بذلك الهرم المدرج أو المصطبة المدرجة فقد ترك تشديها لوزيره الشاب إيمحوتب وهو المهندس الذي استخدم الحجر على نطاق أوسع لأول مرة بعد أن كان استخدامه محدوداً في المقابر الملكية من قبله .

وتحتل المجموعة الهرمية لهرم جسر بسقارة أولاً بأنها مشيدة من الحجر الجيري ربما لتمثل المبانى الملكية في منف العاصمة والتي كانت مشيدة بالطوب ثانياً أن كثيراً من العناصر المعمارية قد ظهرت في هذه المجموعة الهرمية للمرة

الأولى والأخيرة . ولزيارة المجموعة الهرمية ندخل من البوابة الموجودة في الركن الجنوبي من الجانب الشرقي للسور حيث نجد برجين بينهما ممر ضيق يوصل إلى مدخل بهو الأعمدة ، أما واجهة السور فهي مزينة بالدخلات والخرجات ويقود المدخل إلى صالة طويلة مقسمة في طولها إلى قسمين القسم الأول يتكون من مقاصير ناتجة عن الجدران التي تبرز على كلا الجانبين وتنتهي هذه الجدران البارزة بأعمدة متصلة مضلعة وهي أعمدة بنيت بأسلوب الأعمدة النباتية التي تتكون من حزمة من سيقان البردي ربطت وغمست في قاعدة طينية عند أسفلها وربطت بشكل دقيق عند قمتها العليا الملائقة للعتب العلوى ولقد إلتزم الفنان المصري بهذا الأسلوب ونفذه بكل تفاصيله على الأعمدة الحجرية . ومن صالة المقاصير نصل إلى صالة مستعرضة ومنها نصل إلى الفنان الكبير الذي يتميز بوجود المجموعة الهرمية فداخله نجد ما أصطلح على تسميته بالمقدمة الجنوبية وهي في أقصى الجنوب من هذا الفناء ثم الهرم المدرج والمعبد الجنزى الذي يقع في الشمال منه ومعبد العيد الثلاثي ومبني الشمال ومبني الجنوب والسرداب الذي به تمثال للملك جسر ، وبالنسبة للهرم المدرج فقد بدأ إيجاده بتشيد مصطبة ضخمة من الحجر غير أنه لم يقتصر بتصميمه الأول فأضيفت إليها إضافات جانبية على مراحل مختلفة وكانت الإضافات الأخيرة إضافات متدرجة تعلو بعضها البعض ووصل بها الهرم إلى ست درجات إلى ارتفاع يصل إلى ٦٠ متر ويكون البناء السفلي للهرم من بئر حفر في الصخر يصل عمقه إلى ٢٨ متر تصل بعدها إلى حجرة الدفن التي شيدت من حجر الجرانيت الوردي . غير هذا فهناك عشرات من الممرات حفرت في الصخر الطبيعي تحت بناء الهرم وتشعبت في إتجاهات مختلفة بأطوال مختلفة وعلى

أعمق متباعدة ووُجِدَت بها عشرات الآلاف من الأواني المرمادية ويُعتقد بأن عددها يربو على ٥٠٠٠ وهي تمثل الاتقان الذي وصلت إليه صناعة الألسيتر في عصر الأسرة الثالثة^(١).

ولقد شيد هذا الهرم من الحجر الجيري المقطوع من محاجر سقارة نفسها ثم بعد الانتهاء منه كسى من الخارج بألواح من الحجر الجيري الأبيض الممتاز الذي يقطع باستمرار من محاجر طرة .

ولقد حكم جسر حسب رأى مانيتون ٢٩ سنة رأت فيهم مصر نهضة شاملة .

إيمحوتب :

ففي الواقع أنه لم يكن سوى واحد من أبناء الشعب ، وإستطاع أن يصل بعقربيته الفذه ، ومواهبه العظيمة إلى أن يصبح ، وكما تشير إلى ذلك آثار عصره « أمينا لاختام الوجه البحري والأول بعد الملك ، والشرف على إدارة القصر الملكي ، والمهندس ، ومسجل الحوليات ، وكبير كهنة هليوبوليس ، والنبيل الوراثي ، ورئيس المثالين والتحاتين ، ثم الوزير ، ومدير أعمال الصعيد والدلتا ، وكبير الكهنة المرتلين للملك روسير ، وكبير كتاب الآلة ». ومعنى إسمه الذي يأتي في سلام ، أو المجيئ في سلام .

(1) Quibell - Firth, The Step Pyramid, 2 Vols, Cairo, 1935, 1936 .

- Edwards, The Pyramidal of Egypt, London, 1965, 55, 56 .

- Lauer, La Pyramids a degres, 3 Vols, Cairo, 1936 - 1939 .

- أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، القاهرة ١٩٦٣ ، ص ٢٦ ، ٣٦ .

- سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٤٥ - ٦٥ .

وتحضى القرون ويزداد المصريون إحتراماً لهذا العصامي العظيم ، ويتردد إسمه بإحترام في الدولة الوسطى ، حيث يجدون فيه المثل الأعلى للعمرية والتعمر في العلوم ، و يجعله المثقفون في الدولة الحديثة على رأس أهل الحكمة والمعنفة الحسنة وواحد من راعاتهم ، وفي عصر الأسرة ٢٦ زاد تقدير المصريين له إلى درجة التالية وإعتبراه « إينا للاله بنا » . . . وتمر الأيام وتشيد له المقاصير في منف وحتى فيله وبخاصة في منطقة طيبة بالكرنك ، وفي الديار البحري . . . وغيرها من الأماكن .

هذا وقد شيد مريدو « إيمحوتب » - بصفته ربا للشفاء - في العصر الأغريقي ، مقصورة فوق المسطح العلوى لمعبد « حتشبسوت » في الديار البحري ، وشبهوه - فيما يرى مانيتون - بالعبد الأغريقي « أسكليبيوس » راعى الطب والحكمة ، ومجدوه لمهارته في الطب وفي الأدب والكتابة وأصبحت سقاره من أهم المناطق التي تعمت بشهرة فائقة في عبادة « إيمحوتب »^(١) .

ولعل كل هذا إنما يعني أن المجد في مصر الفرعونية لم يقتصر على الفراعين وحدهم ، وإنما كان لبعض الأفراد نصيب منه يزيد عن نصيب الفراعين أحياناً^(٢) .

لقد أطلت في حديثي عن « إيمحوتب » حتى كدنا ننسى الملك « زoser » ولكن الرجل يستحق أكثر من ذلك فقد كان المحرك للنهضة التي شملت مصر

(1) Sethe, Imhotep der Asklepios der Aegypten, Leipzig, 1904.

- Hurry, Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser, Oxford, 1928 .

(2) عبد العزيز صالح ، المرجع السابق ، ص ٥٠٣ ، ٦٠٣ .

كلها . ولكن مهما قلنا عن نبوغه وعقربيته ، فيجب ألا ننسى أنه لولا وجود من يقدرها ويُشد أزرها ويدفع بها إلى الأمام لضاع ذلك النبوغ سدى ، فلو لم يكن «روسر» عظيماً واسع التفكير لما تمكن «إيمحوبت» من تحقيق كل ما حققه .

حكم روسن أعوااما طويلاً - ٢٩ سنة حسب رأى مانيتون - نهضت فيها البلاد نهضة عامة ، ولم تقتصر آثاره على سقارة فقط بل شيد معابد أخرى ، منها بقايا واحد على مقربة من هوربيط بمحافظة الشرقية .

وكما نعرف أنه أرسل حملة لتأديب بعض بدو شبه جزيرة سيناء الذين كانوا يتعرضون للحملات التي كان يرسلها ملوك مصر لأحضار النحاس من المناجم التي على مقربة من منطقة المغاره هناك^(١) .

خلافاء - جسر :

ولعل أهمهم الملك سخم خت الذي كشف له زكريا غنيم عن مصطبة حجرية ضخمة في الجنوب الغربي من هرم جسر المدرج وقد اعتبرها زكريا غنيم قاعدة لهرم مدرج لم يتم تشييده ولقد قام كذلك بأكتشاف جزء من سور الحجري المحيط بها ويلاحظ أنه قد يستخدم في بناء هذه المقبرة أحجاراً أكثر ضخامة من أحجار الهرم المدرج ومجموعته كما أكتشف بها كذلك تابوت من الألبستر وبطاقة من العاج تحمل الاسم النبتي للملك سخم خت الذي وجد في بعض قوايس الملوك بعد إسم الملك جسر وهو

(١) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٩٥ ، ٩٦ .

جسرتى عنخ كما وجدت له صورا على صخور شبه جزيرة سيناء تثله مرة بالتاج الأحمر مرة بالتاج الأبيض ماسكا دبوس القتال يهوى به على أحد أعدائه .

أما الملك حونى آخر ملوك هذه الأسرة فقد حكم ٢٤ سنة بدأ خلالها ببناء هرم فى ميدوم ولكنه مات قبل أن يتممه فأكمله الملك سنفرو أول ملك الأسرة الرابعة الذى إهتم بهذه المنطقة وربما « كان ذلك هو السبب - فى رأى أحمد فخرى - فى صلة الملك سنفرو بذلك الهرم والذى جعل كثير من المصريين القدماء فى الدولة الحديثة ينسبون هذا الهرم إليه فى كتاباتهم دونوها على أحجاره عندما كانوا يأتون لزيارته » .

وقد أدى اكتشاف أسماء الملوك جسر ، سخم خت ، سانخت على صخور وادى مغارة إلى الاعتقاد بوجود بعثات حرية لإحضار مادة الفيروز من شبة جزيرة سيناء .

الأسرة الرابعة : من ٢٦١٣ إلى ٢٤٩٨ ق.م :

كانت همزة الوصل بين الأسرتين الثالثة والرابعة الأمير حتب حرس بنت (آخر ملوك الأسرة الثالثة) الملك حونى والتى كانت تحمل فى دمها حق وراثة العرش فتزوجها سنفرو وتأسست الأسرة الرابعة .

ويفضل الترتيب الآتى بالنسبة للملوك الأسرة الرابعة : سنفرو - خوفو - جدف رع (او رع جدف) - خعفرع - منكاورع - شبيسكاف .

الملك سنفرو :

أسس الملك سنفرو الأسرة الرابعة وبزواجه من الأميرة حتب حرس ابنه آخر ملوك الأسرة الثالثة الملك حونى التى كان لها حق وراثة العرش أصبح مركزه شرعاً فى البلاد ويرى مانيتون أنه حكم ٢٩ سنة وبردية تورين ٢٤ عاماً كما نعرف من حجر بلرمون انه قام ببعثات حربية إلى بلاد النوبة وأحضر معه من هناك ٧٠٠٠ أسير ، ٢٠٠٠ رأساً من الماشية وبعد ذلك إتجه إلى ليبيا وانتصر عليها وعاد منها ومعه ١١,٠٠٠ أسيراً و ١٣١ ألف رأس من الماشية كما يذكر حجر بلرمون أيضاً أنه أرسل اسطولاً بحرياً إلى لبنان لاحتضار أخشاب الارز (عش) للبناء والتى وجد بقايا منها داخل هرم الجنوبى فى دهشور كما تخبرنا نقوش وادى مغارة بأنه أرسل البعثات إلى شبه جزيرة سيناء لاحتضار الفيروز والنحاس من هناك وقد اعتبر المصريون الملك سنفرو حامياً لهذه المنطقة بجانب الآلهة حتحور والآلة سوبد ولعل السبب فى ذلك ما قام به من أعمال لتأمين حدود مصر الشرقية . واكمل سنفرو هرم حونى فى ميدوم وشيد لنفسه

هرمين في دهشور (٧ كم جنوب سقارة)^(١) الأول هو ما أصطلح على تسميته بالهرم المنكسر الأضلاع (كما يعرف أيضا باسم الهرم المتخنى والهرم الكاذب والهرم المبعج والهرم الكليل) ويبلغ ارتفاعه حوالي ١٠١ متر ويدو أنه الحلقة التالية لتقديم فكرة بناء المقبرة الملكية بعد المصطبة الملكية المدرجة فهو عبارة عن قاعدة ضخمة عالية بنيت جوانبها بزاوية ٥٤ درجة وفوق هذه القاعدة بني القسم الثاني بزاوية قدرها ٤٣ درجة ونتج عن تغيير الزاوية ذلك الهرم المنكسر الأضلاع أما طول ضلع قاعدته المربعة فهو ١٨٨,٦٠ متر ويمتاز هذا الهرم وهو الجنوبي عن جميع أهرام مصر بأنه له مدخلان مدخل في الواجهة الشمالية كما هو المعتمد في أهرام مصر كما كشف أحمد فخرى في عام ١٩٥١ عن مدخل آخر له في الواجهة الغربية ويمتاز هذا الهرم أيضا بأن الكسae الخارجي له لا يزال في حالته الأولى ولم تهدمه الأزمنة الطويلة التي مرت عليه . وإلى الشمال من هذا الهرم على بعد لا يقل عن ٢ كم يجد الهرم الثاني لسنفرو الذي يعتبر أول هرم حقيقى في تاريخ العمارة المصرية وارتفاعه ٩٩ متراً وطول ضلع قاعدته ٢٢ متراً ولقد أطلق الكهنة لقب « خ الحنف » على كل من الهرمين بمعنى الملك سنفرو يشرق .

ويرى أحمد فخرى أن الملك سنفرو قد دفن في الهرم الجنوبي وذلك لأنهم إهتموا ببناء جميع أجزاءه الجزرية أمثال المعبد الجزرى والممر الصاعد المؤصل

(١) Gardiner, op. cit, P. 77.

- Smith, "Inscription Evidence for the History of the 4 th Dynasty" JNES,
II, 1952, p. 113F.

- أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، ١٩٦٣ ، ص ١٤١ - ١٤٣ .

- Fakhry, The Monuments of Seneferu at Dahshur, I, 1959, PP. 15 - 23 .

لمعبد الوادى الذى يمتاز بوجود قائمة كاملة لأغلب الأقاليم المصرية فى ذلك الوقت ورمز لكل منها بسيدة تحمل القرابين وأمامها إسم الأقليم مرتبة من الجنوب إلى الشمال وهذا السجل التاريخي يعتبر الوثيقة الأولى لتقسيمات مصر الادارية فى عصر يرجع إلى ٢٦٠٠ ق.م كما يمتاز هذا الهرم وهو الهرم الجنوبي لسنفرو بوجود هرم صغير آخر فى الجهة الجنوبية أطلق عليه بعض الآثريين إسم هرم الروح أو الطقوس أو القرابين (الكا) وقارنة البعض بالمقبرة الجنوبية للملك جسر على انت لآن لا نعرف الهدف من تشييد هذا الهرم الصغير ربما كانت له صلة ببعض الشعائر الدينية الخاصة بتقديم القرابين .

أما مقابر عائلة سنفرو وكهنته وموظفيه فقد انتشرت فى الجهة الشرقية من الهرم الشمالى لسنفرو .

واتخذ سنفرو لقب «نب ماعت» بمعنى رب العدالة بجانب لقب آخر اشتهر به فى النصوص الأدبية وهو «الملك الفاضل». ونعرف من بردية وست كار (نسبة إلى السيدة التى إشتراها) والمكتوبة بالخط الهيراطيقى فى القرن السابع عشر ق. م القصة التالية :

وتبدأ القصة بأن يستدعي الملك سنفرو أحد الكهنة والمسمى جاجا أم عنخ وقال له «انى أشتاق إلى بعض التسلية ولا أستطيع أن أجدها فى هذا المكان» فيشير عليه الكاهن «أن يركب قاربا يجذف فيه عدد من أجمل فتيات القصر فان ذلك سيبيث فى نفسك السرور ..» وعمل سنفرو بالصيحة «وأمر بأحضار قارب له عشرون مجدافا وأمر باحضار عشرين فتاة من عذارى القصر الجميلات ذوات الصدور الناضجة ونزلوا إلى البحيرة « وإنطلقن فى التغريد

والتجديف وذهب الغم عن صدر الملك وفي هذه اللحظة سقطت حلية رئيسهن في الماء فتوقفت عن التجديف وسألها سافرو عن السبب فردت عليه قائلة « لقد سقطت حلبي الخضراء في الماء فقال لها سيري سأعطيك غيرها » فردت عليه عابسة « أفضل جداً أن تعود إلى حلبي من أن أعطي غيرها ، فطلب الملك من الكاهن أن يجد حلاً لهذه المشكلة فنطق الكاهن بتعويذة سحرية معينة فانشقت المياه إلى مرات ونزل فيها وأحضر الحلية وتم مرأة أخرى فعادت المياه إلى مجاريها ولقد سر الملك بذلك . هذه القصة أن دلت على شيء تدل على رفاهية هذا العصر وفي الوقت نفسه توضح أن كاتب هذه القصة لم يتخيل ملكه قادرًا على كل شيء بدليل عدم إمكانه أن يلبى طلب الفتاة وقام الكاهن بهذه المهمة .

مات سافرو بعد أن حكم ٢٤ عاماً وترك العرش لابنه خوفو من زوجته حتب حرس التي كشفت بعثة هارفارد - بوسطون الأمريكية مقبرتها شرق هرم ابنها خوفو عام ١٩٢٥ وتوجد محتويات مقبرتها الآن بالمتاحف المصرية .

الملك خوفو :

تولى الملك خوفو العرش بعد وفاة والده الملك سافرو والواقع أن اسم خوفو هو الاسم المختصر له إذ أن الاسم الكامل هو « خنم خوفو » أي الآله خنم هو الذي يحميني ويعتقد برستد أن خوفو ليس من مدينة منف بل من أقليم المنيا وإنتمد في رأيه هذا على إسم بلدة « منعت خوفو » أي مرضعة خوفو وهي بالقرب من بلدة بنى حسن في محافظة المنيا . ويبدو أن مانيتون نفسه قد إنتمد على إسم هذه الضياعة إذ أنه يذكر أن خوفو أصله من بنى حسن

على أية حال فاحدى إثنين أما أن يكون خوفو من بنى حسن أو تكون مربيته من هناك .

الهرم الأكبر :

أما عن الأحداث الهامة التي تمت في عهد خوف فالللاسف لا نعرف عنها الكثير وخاصة أن حجر بلزم قد أصابه تشويه في الجزء الخاص بالملك خوفو ويبدو أنه أرسلبعثات إلى وادي مغارة لأحضار الفيروز من هناك اذ وجد إسمه وصورته وهو يهوى بدبوس قتاله على رأس أحد الأعداء كما عثر كذلك على تمثال صغير من العاج في أبيدوس ، غير أن فترة حكم الملك خوفو غير مؤكدة كذلك في بينما تعطى بردية تورين ٢٣ سنة يعطى مانيتون ٦٣ سنة وفي هذه الفترة التي تزيد عن العشرين عاماً أتم الملك خوفو مقبرته التي اتخذت الشكل الهرمي الكامل الذي كان ارتفاعه ١٤٦ متر (وأصبح الآن ١٣٧ متر) وكان طول القاعدة المربعة ٢٣٠ متر (وأصبح الآن ٢٢٧ متر) ويشغل مساحة تزيد عن ١٢ فدان لتكون مدفناً لجثمانه وإحتياجاتاته الخاصة وأطلق عليه «آخت خوفو» أي أفق خوفو . وقد نتساءل الآن كيف تم هذا الهرم الضخم؟^(١) يقول هيرودوت الذي زار مصر بين الأعوام ٤٤٨ ، ٤٤٥ ق. م والذى يستقى معلوماته أغلبظن من الكهنة القاطنين في منطقة الهرم أنه « كان يقوم بهذا العمل بصفة مستمرة مائة ألف عامل يعملون لمدة ثلاثة أشهر ثم يحل غيرهم

(١) عجائب الدنيا السبع القدية ذكرها « فيلو البيزنطي » حسب أهميتها :

- ١- أهرام مصر . ٢- حدائق سميرامييس في بابل . ٣- تمثال الآله زيروس في أولانيا .
- ٤- معبد الآله أرتيميس في آفسوس . ٥- ضريح هاليكارناس .
- ٦- المنارة الاسكندرية . ٧-

في مكانهم وقد إحتاج بناء الطريق الصاعد الذي استخدموه في نقل الأحجار إلى أعلى الهضبة إلى عشرة أعوام من تسخير الناس واستغرق بناء الهرم نفسه عشرين عاما . . . وقد شيدوه على درجات ، ووضعوا أحجاره بالطول وبالعرض وبعد أن أتموا وضع الأحجار اللازمة لبناء القاعدة كانوا يرفعون الأحجار الأخرى بواسطة آلات مكونة من عروق قصيرة من الخشب وكانت الآلة الأولى ترفع الأحجار إلى أول الدرجة الأولى ، وعلى هذه الدرجة كانت توجد آلة أخرى ترفع الحجر عند وصوله إليها ثم ترفعه إلى الدرجة الثانية حيث توجد آلة ثالثة ترفعه إلى درجة أعلى ولهاذا فلما كان لديهم عدد من الآلات مماثل لعدد درجات الهرم وإما أنه كان لديهم آلة واحدة من الممكن تحريكها بسهولة ينقلونها من مدماك إلى مدماك عند رفع الحجر ، وقد ذكروا في الأمرين ولهاذا السبب فاني أذكر كل منهما . وقد انتهوا من إتمام الجزء الأعلى من الهرم أولا ثم الجزء الأوسط وأخيرا الجزء الأسفل القريب من سطح الأرض » .

معنى هذا أن بناء الهرم قد تم في ثلاثين عام ، عشرة منها للطريق الصاعد وعشرون للهرم نفسه ، على أن هذه المعلومات غير صحيحة فإنه من المؤكد كما تقول النصوص المصرية أن خوفو حكم ٢٣ سنة وربما يكون هذا دليلا على أن هيرودوت كان في صحبة أحد الترجمة غير المشفدين عند زيارته لمنطقة الأهرام .

ويرى بعض المختصين بأن عدد العمال وهو مائة ألف كان بلا شك كافيا

لتشيد مثل هذا الهرم مدة عشرين عاماً وبلدة ثلاثة أشهر سنوياً ويرى بترى^(١) أن العمل كان يجرى فقط في الشهور التي تغطى فيها مياه الفيضان الأرض ولهذا لا يمكن الزراعة . على أن هيرودوت بنفسه قد قدم الأدلة الواضحة لدحض الاتهامات التي وجهها للملك خوفو من أنه كان حاكماً ظالماً إذ هو نفسه أى هيرودوت وضح أن العمال كانوا يعملون فقط في أشهر الفيضان الثلاثة التي لا يمكن فيها الزراعة . بمعنى آخر يمكن القول بأن خوفو كان أول ملك أمن شعبه ضد البطالة .

قصة السخرة في بناء الأهرامات :

ولعل من الأهمية بمكانته أن نوضح أن بعض آراء المتعصبين من الكتاب تدعى أن هذا الهرم دليل على السخرة ، وأن « خوفو » قد سخر شعبه للقيام بتشيد هذا الهرم . . . وإزاء ذلك علينا أن نشير إلى عدة أمور هامة منها :

أولاً : أن السخرة والكريباچ لا تنتج المعجزات بل أن الحب والاحترام والتقديس هو منبع هذا الفعل الخالد ، فالسخرة لا تنتج هذه الدقة والاتقان والروعة التي نراها اليوم في هرم خوفو ، ومن البدهي أن الشعوب المقهورة لا يمكن أن تنتج فناً على هذا المستوى المعجز و خاصة بهذا القدر من الضخامة ، فضلاً عن الجلال والكمال الفني .

ثانياً : لقد كان خوفو ملكاً مقدساً محبوباً ومعبوداً من شعبه ولهذا كان من المحب لهم أن يقومون بخدمته إلههم في الدنيا ، إذ أن أقصى ما يطمع

(1) Petrie, The Pyramids and Temples of Gizeh, London, 1883.

- Edwards, Ths Pyramids of Egypt, 1947.

- أحمد فخرى ، الأهرامات المصرية ، ص ١٤٥ - ١٨١ .

فيه الفرد أن يكون قبره بالقرب من ملكه وذلك لكي يكون في رحابه في العالم الآخر - كما كانوا يعتقدون .

ثالثاً : أن حالة البلاد الاقتصادية في عهد خوفو كانت مستقرة تماماً ، والفن كان مزدهراً ، والعمارة كانت في أوج مجدها ، ولو كان صحيحاً أنه كان ظلماً قاسياً لإنهار كل هذا المجد يومه ، ولكننا نرى عكس ذلك فقد أتى من بعده إبنه « خعفرع » وشيد هرمه الذي لا يقل عظمته عن هرم أبيه وشيد معابده ومتالله الشهير بأبي الهول .. كل هذا إن دل على شيء يدل على متانة الاقتصاد في هذا الوقت وحب الشعب لملكه الآله المعبد إبن الشمس . بل وأكثر من هذا فلقد ظلت ذكرى خوفو طيبة مقدسة وكان الكهنة يقومون بالشعائر الدينية له وذلك بعد وفاته بأكثر من ألفي عام^(١) .

رابعاً : أن بناء الأهرامات ، وغيرها من المباني الدينية ، إنما كان نتيجة سطوه الدين على المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم ، فالدين ، كان ولا يزال ، أكبر قوة في حياة الإنسان ، بل أنه لا يوجد شعب قديم أو حديث بين شعوب العالم احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت المكانة العظيمة التي إحتلتها في نفس الشعب المصري القديم^(٢) .

خامساً : أن « هيرودوت » أول من نادى بقصه السخرة ، بينما كان لا يعرف لغه المصريين ، ومن ثم فقد اعتمد على الترجمة أو صغار الكهنة وهم لا يزيدون في معلوماتهم عن الأدلة الحالين الذين نراهم حول الهرم ،

(1) سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٦٤ - ٦٥ .

(2) Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, P. 45.

إن لم يقلوا عنهم في المعرفة ، كما أن الروايات التي سمعها «هيرودوت» إنما سمعها بعد مضي أكثر من ألفى سنة على بناء الهرم^(١) .

وإنطلاقاً من هذا كله فإنني أميل إلى أن بناء الأهرام إنما كان عن عقيدة ولم يكن عن سخره ، وهذا لا يمنع من أن الملوك قد انتفعوا بالقوى المعطلة في أيام الفيضان ، فاختاروه وقتاً لبناء أهراماتهم ، على أن يؤدوا للعاملين فيها طعامهم وكسائهم ، وأما القول بأنه كان من الأفضل استغلال هذه الجهد - البشرية والمادية والفنية - في عمل ينفع به المصريون جميراً ، فهذا ما كان نائمه ، وليس كل ما يتمناه المرء يدركه ثم أنه من الخطأ الحكم بمقاييس عصرنا على عصور مضت منذ خمسة آلاف عام .

وعلى الرغم من أن الهرم لم يف بالغرض الذي من أجله شيد ، وهو حمايه جسد صاحبه ، إلا أنه خلد إسمه على مر السنين والصور ، وأصبح بحق إحدى عجائب الدنيا السبع ، ودليل قاطع بأن المهندسين المصريين كانوا قد وصلوا إلى أعلى درجات المعرفة في الهندسة المعمارية .

أما مقابر عائلة «خوفو» فقد خصص لها الناحية الشرقية من الهرم حيث نرى ثلات أهرامات صغيرة لثلاث من زوجاته ، أما رجال البلاط وكبار الموظفين نجدوها في الجهة الغربية من الهرم .

(١) هيرودوت وقيمة رواياته التاريخية ، (محمد بيومي مهران ، مصر ، الكتاب الأول) ، الإسكندرية ، ١٩٨٣ ، ص ٦٢ - ٧٠ .

مراكب الشمس :

نعلم من الديانة المصرية القديمة بأن الله الشمس رع كان له سفيتان سفينة للنهار وتعرف باسم « معنجدت » وسفينة للليل وتعرف باسم « مسكتت » ونعلم أيضاً بأن مثل هذه السفن كان معروفاً لدى الآثريين وخاصة بعد أن عثر « أمرى » في سقارة وزكي سعد في حلوان على حفرات شيدت من اللبن على شكل سفن ترجع للاسرتين الأولى والثانية ، كما كشفت الحفائر أيضاً على ثلاثة حفر كبيرة في الجهة الشرقية لهرم خوفو كذلك يوجد خمس حفرات لهذه المراكب بالقرب من هرم خفرع .

كل هذا كان معروفاً قبل مايو سنة ١٩٥٤ عندما كشف في الجهة الجنوبية لهرم خوفو على حفرين كبيرتين وجد في إحداهما والتي طولها ٣١,٢٠ متر وعرضها ٢,٦٠ متر وعمقها ٣,٥ متر أول سفينة خشبية كبيرة ترجع للدولة القديمة وذلك بعد رفع الأحجار الضخمة التي سقطت بها هذه الحفرة والتي وصل عددها إلى ٤١ كتلة كبيرة من الحجر الجيري بالإضافة إلى قطعة حجرية صغيرة .

وقد وجدت بهذه الحفرة أجزاء مركب كبيرة من الخشب مفكوكه إلا أنها وضعت معظم أجزائها في أماكنها الأصلية لتبدو كما لو كانت كاملة والمركب بها مقصورة الجلوس كما وجدت كذلك الخيال والمجاديف الخاصة بها ونعرف الآن أن طولها ٤٣,٥ متر وإرتفاع مقدمتها ٥ أمتار وإرتفاع مؤخرتها ٧ أمتار . ونعلم أيضاً من حجر بلرمو أن بناء السفن في عهد الملك سنفرو كان له أهميته

الخاصة بالنسبة للأسطول البحري الذى كونه من أربعين سفينة لاحضار أخشاب السدر (عش) من لبنان وقد وصل طول السفينة ما يقرب من مائة ذراع مصرى أي 52 مترا .

أطلق على هذه المراكب اسم مراكب الشمس وهو إسم يبتعد إلى حد ما عن الحقيقة أما الهدف منها سواء التى وجدت بجوار أهرام ملوك الدولة القديمة (هرم خوفو) أو الدولة الوسطى (على مقربة من هرم سنوسرت الثالث فى دهشور ، إثنان منهم فى المتحف المصرى الآن) فربما لكي تكون تحت تصرف الملك فى رحلاته فى العالم الآخر لعبور الانهار والبحيرات ولزيارة الأماكن المقدسة كما هو واضح فى النصوص المصرية القديمة هذا بجانب الرأى السائد وهو القيام برحلاتى النهار والليل الذى يقوم بهما الملك المتوفى معه الشمس رع الذى صعب قبوله لعدة أسباب أهمها أن الحفر الذى وجدت حول الهرم سواء فى الجهة الشرقية أو الجنوبية هي حفر مختلفة فى الحجم مما يدل أنها تختلف فى الغرض كما أن مراكب الشمس كما صورتها التقوش المصرية لها رموز خاصة لم نجد لها على المراكب المكتشفة رغم إكمال أجزائها ويرى عبد المنعم أبو بكر أن هذا المركب ربما استخدمت لنقل جثة الملك خوفو من قصره على الضفة الشرقية للنيل إلى قرب هرمه على الضفة الغربية للنيل ثم وضعت بعد ذلك فى حفرتها وغطبت بأحجارها . أما بخصوص الحفر الأخرى فيحتمل أنها كانت بها مراكب ربما استخدمت فى المناسبات الرسمية والدينية فى دنيا الملك المتوفى . وقد اعتبرت بعد ذلك من الآثار الجذری إلا أن ضخامتها حالت دون وضعها ضمن الآثار الجذری داخل الهرم ولهذا وضعت حوله⁽¹⁾ .

(1) The Cheops Boats, I, Cairo, 1960.

خلفاء خوفو :

بعد هذا الازدهار الذي رأيناه في عهد الملك خوفو بدأ النزاع يدب بين أفراد العائلة المالكة وذلك بعد وفاة ولد العهد الشرعي للبلاد ابن الملك خوفو الأمير كاوعب وقد تمكن بعد ذلك الأمير جدف رع وهو على ما يبدو من زوجة ثانية من الوصول إلى العرش وذلك بزواجها من أرملة الأمير كاوعب الأميرة حتب حرس الثانية وأغلب الظن أنه لم يرزق منها بنسل ، وتذكر بردية تورين أن الملك جدف رع حكم ٨ سنوات قام خلالها بتشيد هرم في منطقة أبي رواش على بعد ٨ كم شمال الجيزة . كما نعرف أيضا أنه أول من اتخذ لقب سا - رع أي ابن الشمس وهو اللقب الذي أصبح سنة ثابتة بعد عهده والتزم به الملوك بعد ذلك في ألقابهم الخمسة .

الملك خعفرع :

ويأتي بعده أخ له يدعى خعفرع الذي تزوج من الأميرة مراس عنخ الثالثة بنت الأمير كاوعب من زوجته حتب حرس الثانية ويذكر مانيتون أنه حكم ٦٦ سنة وهي فترة طويلة يصعب قبولها وللأسف أن فترة حكمه مهمشة في بردية تورين ومن المحتمل أنه حكم فترة قد تزيد عن فترة حكم أبيه الملك خوفو بستة أو سنتين أي قد تصل فترة حكم الملك خعفرع إلى ٢٥ عاما ولم نجد له آثار في وادي مغارة كما فعل أسلافه ولم يشيد الملك خعفرع مقبرته الهرمية في أبي رواش كما فعل أخوه جدف رع بل فضل مهندسة أن يشيد هرم ملكرة على ربوة عالية خلف هرم أبيه الملك خوفو حتى يخيل للناظر من بعيد بأن هرم الملك

خفرع أكبر من هرم أبيه ومن المعروف أنه في حجمه العام أصغر من الهرم الأكبر^(١).

هرم خفرع :

وتعتبر المجموعة الهرمية للملك خفرع من أعظم النماذج للمقابر الملكية في الدولة القديمة والسبب في هذا أن عناصرها الأربع المكونة من الهرم والمعبد الجنزي ومعبد الوادي والطريق الصاعد الموصل بينهما لازلت إلى حد ما باقية لتوكل عظمة الفن المعماري في هذه الفترة وقد تم الكشف بالقرب من المعبد الجنزي عن خمس حفارات خاصة براكب الشمس . أطلق على هذا الهرم «ورخفرع» أي عظمة خفرع وكان إرتفاع الهرم 143,5 متر وأصبح الآن 136,5 مترا وقد أقيم على مساحة مربعة طول الضلع فيها 210,5 مترا ولهرم خفرع مدخلان في واجهته الشمالية كما يمتاز بأن جزءه الأعلى عند القمة لا تزال أحجار الكسائ باقية فيه حتى الآن .

وقد عشر ماريت في معبد الوادي على تماثيل من الديوريت تثلل الملك خفرع من بينها تمثاله الشهير الذي يمثله جالسا على العرش وخلفه الآله حورس على شكل الصقر لحمايته والتمثال محفوظ الآن بالمتحف المصري . وهو يعتبر من أحسن الأمثلة في فن النحت في الدولة القديمة ويدل على أن الفنان المصري تمكن من التحكم والسيطرة على أقصى أنواع الحجر مثل الديوريت والجرانيت .

(1) Edwards, op. cit, pp. 151 , 152.

- Gardiner, op. cit, p. 81 .

أبو الهول :

يربض أبو الهول على مقربة من معبد الوادى الخاص بالملك خعفرع فى قلب مكان منخفض على الحافة الشرقية لهضبة الجيزة متوجهها نحو الشرق وهو جزء من مجموعة الملك خعفرع الهرمية^(١) .

وأبو الهول عبارة عن ربوة ضخمة من الصخر كانت فى حقيقة الأمر جزءاً من أحد المحاجر التى يستخدمها العمال لقطع الأحجار اللازمة لبناء المقابر والأهرامات وقد تركها العمال على ما يبدو لعدم صلاحيتها ولقد فكر مهندسوا الملك خعفرع في إستغلال هذه الكتلة الضخمة فشكلوها على شكل أسد رابض هائل الحجم له رأس إنسانية تمثل الملك خعفرع نفسه وفوق رأسه لباس الرأس الملكى المعروف باسم النمس وحيه الكوبرى على جبهته واللحية الطويلة المستعاره وهما شعاران للملوك . ويعرف أبو الهول عند الكتاب الكلاسيكين باسم Sphinx سفينكس ويحتمل أنها إشتقت من الاصطلاح المصرى القديم « شب عنخ » بمعنى « الصورة الحية » أما الاسم الحالى وهو أبو الهول فربما يرجع إلى اللفظ المصرى القديم « بر حول » بمعنى « بيت الأسد » .

وأبو الهول أصبح فى الدولة الحديثة يمثل الله الشمس الذى لقب بـ « حور ام آخت » أي الاله حورس فى الأفق وإعتبر حارسا للجبانة وأصبح له مكان يعبد فيه ويحج إليه الزائرون . ونعرف من الأساطير المصرية القديمة أن مهمة الأسد كانت حراسة الأماكن المقدسة وفي نص يرجع للاسرة ٢٦ نقرأ الآتى

(1) Hassan, The Great Sphinx and its Secrets, Cairo, 1953.

- Budge, Legends of the Gods. PP. 88 - 89 .
- P. M. III, PP. 8 - 9 .

على لسان أبي الهول « إنى أحافظ على مقبرتك وأحرس حجرة دفنك وأطرح
عنها الغرباء . . . الخ » .

الملك منكاورع :

لم تستطع الآثار المصرية المعروفة لدينا الآن أن تعطينا الشئ الكثير عن حياة الملك منكاورع وإن تغلبت الذكرى الطيبة عند الحديث عنه في العصور المتأخرة ولقد إتصف بالتقوى والورع بعكس ما إتصف به والده خعفرع وجده خوفو من قوة واستبداد ونعرف أن لقبه الحوري الذهبي هو « واج ايب » بمعنى القلب الأخضر أى الشاب⁽¹⁾ .

ويتحدث هيرودوت عن عدالة هذا الملك فيقول « . . . وإستذكر الأمير منكاورع مسلك أبيه ففتح المعابد المغلقة وسمح للشعب الذى وصل إلى أحاط درجات التعasse أن يعود كل إلى عمله وأن يعودوا إلى تقديم القرابين . فسبق في عدالته جميع الملوك السابقين وإمتدحه المصريون بسبب ذلك أكثر من أى ملك آخر من ملوكهم الآخرين ، مجاهرين بأنه لم ينصف في أحکامه فحسب بل إنه عندما كان أحد الناس غير راض بحكمه يعطيه تعويضاً من ماله الخاص لكي يهدأ من غضبه » .

والاحتمال كبير في صدق هذه الرواية لسبب بسيط هو أن بناء مثل هذين الهرمين الكبيرين وما يتبعهما من معابد للملكين خوفو وخعفرع لاشك حمل الدولة مالا تستطيع من الناحيتين الاقتصادية والاجتماعية .

(1) Reisner, Mycrinus, Cambridge, 1931.

- Edwards, op. cit, pp. 159 , 160 .

الباب الأول : مصر في العصور الفرعونية

نعرف من بردية تورين أن الملك منكاورع حكم ١٨ سنة (أو ٢٨ سنة اذ أن البردية هنا مهشمة وليس واضحة) ويعطيه مانيتون ٦٣ سنة وان كانت بردية تورين تميل إلى الصدق أكثر مما نراه في تاريخ مانيتون بخصوص هذا الملك . وفي هذه الفترة التي تزيد عن ١٨ سنة بدأ الملك منكاورع في تشييد مجموعته الهرمية ويقع هرم الذي صممته مهندسه في الركن الجنوبي من الهرم ويبعد ارتفاعه ٦٢ مترا (وكان ٦٦,٥ مترا) وطول ضلع قاعدته ١٠٨,٥ مترا وان كان يمتاز هذا الهرم بوجود جزء كبير من كسايه الجرانيتى باقيا حتى الآن (١٦ مدمaka) بدلا من الحجر الجيري الذى رأيناها في الهرمين السابقين .

ويبدو أن النية كانت متوجهة إلى كسايه كله بحجر الجرانيت الوردي ولكنهم لم يصلوا إلا لما يقرب من نصفه فقط . وفي حجرة الدفن الخاصة بالملك عشر الكولونيل فيريزنج عام ١٨٣٩ على تابوت مستطيل من حجر البازلت الذي ربما حوى أصلا موبياء الملك منكاورع وقد زينت جوانب هذا التابوت بالمشكبات التي تمثل واجهات القصور وللأسف غرق هذا التابوت مع السفينة التي كانت تحمله إلى إنجلترا .

كما عشر بيرزنج وفيز أيضًا على موبياء لرجل وغطاء تابوت خشبي عليه اسم منكاورع وهو محفوظان الآن بالمتحف البريطاني .

وعلى الرغم من أن فترة حكم منكاورع قد تزيد عن ١٨ عاما فأنه لم يستطع أن يتم تشييد هرم الصغير وما يتبعه من معابد فأكملها له ابنه شبسسكاف وقد شيد معبد الوادى بالطوب اللبن وقد عشر ريزنر أثناء حفائره في

معبد الوادى وفى معبده الجنرى على مجموعة كبيرة من التماشيل منها الكبيرة ومنها الصغيرة ومنها ما يمثله بفرده ومنها ما يمثله كفرد فى مجموعة بين الآلهة حتىور من جانب ورمز لأقليم من أقاليم مصر الذى مثل على هيئة إمرأة من جانب آخر . هذه المجموعات من التماشيل محفوظة الآن بالمتحف المصرى .

الملك شبسسكاف :

تولى الحكم بعد أبيه الملك منكاورع وقد أكمل مجموعة أبيه الهرمية ولم يقم بتشييد هرم له في الجيزة وإنخذ منطقة سقارة جبانة له وقام في جنوبها بتشييد تابوت ضخم مستطيل (١٠٠ متر × ٧٥ متر وارتفاع ١٨ متر) بني من الحجر المحلي ويبدو أنه كان مكسيا بأحجار طرة الجيرية وكان مائل الجوانب ولم يبق منه الآن إلا جزء من قلب البناء المبني بالحجر المحلي وهو المعروف الآن بصطبة فرعون .

ويبدو أن نفوذ كهنة الشمس إزداد وزداد معة قوة وسيطرة الآله رع في هليوبوليس وكان هذا من أهم الأسباب التي أدت إلى سقوط الأسرة الرابعة فقد تدخلوا في الحكم وبدأوا يسيطرون على البلاد وفي الشؤون الداخلية ومن أهم الأسباب التي سمح لها بتحقيق هذه السياسة أن ملوك الأسرة الرابعة بعد الملك خافرع كانوا ملوكا ضعافا فأستطاع هؤلاء الكهنة أن يفرضوا سيادتهم ويسقطوا الأسرة الرابعة ولوحوا من بينهم ملكا على مصر كما سُرِّى في الأسرة الخامسة ، ملكا يدين بهم وينفذ أوامرهم وجعلوا بعد ذلك الآله رع إله الدولة وقللوا من أهمية الآله حورس الذي كان يهيمن على مصر قبل ذلك كإله للدولة . وفي الواقع نستطيع أن نتبع ظهور رع وإزدياد قوته رويدا رويدا

إبتداء من الأسرة الثانية الفرعونية إذ نجد أن أحد ملوك هذه الأسرة سمي باسم «نب رع» أو «رع نب» بمعنى رع هو السيد ، ثم بعد ذلك نجد في عهد الملك جسر لقب تشريفي جديد هو «رع نوب» أى رع الذهبي ، ثم نجد إبتداء من جدف رع ثالث ملوك الأسرة الرابعة أن إسم الاله رع أخذ يظهر في أسماء الملوك أمثال جدف رع وخفافع ومنكاورع ، بجانب هذا الهرة الكبرى التي أصابت الجالس على عرش مصر وهي تنازله عن الصفة الأولى كإله يوازى الاله ويعادله إلا أنه فوق الأرض واستعراض عن هذه الألقاب بلقب جديد هو «سارع» أى ابن الشمس أى أنه أنقص من مرتبته فأصبح إينا للاله رع وليس الاله نفسه .

وقد أراد شبسكاف أن يحد من نفوذ الكهنة فلم يضف إسم رع إلى إسمه كما لم يقم بتشيد قبر هرمي الشكل لصلة بعبادة الشمس وأقامة على شكل تابوت كبير .

ولكن فترة حكمه القصيرة التي لم تزد عن أربع سنوات لم تتمكنه من أن يحد من نفوذ الكهنة . وفي عام ١٨٥٨ إكتشف مارييت مقبرة شبسكاف إلا أنه نسبها خطأ للملك ونيس آخر ملوك الأسرة الخامسة ولكن حكيمية تعرف عليها ونسبها اليه في عام ١٩٣٤ . وفي الجهة الشرقية من المصطبة شيد المعبد الجنزي ومعبد الوادي والمر الصاعد بينهما الذي أقيمت جوانبه من اللبن .

وهناك إحتمال بأن شبسكاف قد تزوج أخته خنت كاوس بنت الملك منكاورع وقد شيدت لها قبرا يشبه قبره في جبانة الجيزة في المنطقة الواقعة بين المرين الصاعدين لهرم خافرع ومنكاورع وقد اعتبر هذا القبر في بادي الأمر هرمًا لم يتم ولكن الحفائر التي قامت بها بعثة جامعة القاهرة بإشراف سليم

حسن عامي ١٩٣٢/١٩٣١ دلت أن البناء العلوى كان على شكل تابوت فوق قاعدة مربعة عالية أما عن المعبد الجنترى فقد نحت فى قلب صخر القاعدة ويكون من ثلاثة حجرات فقط ومن ناحيته الشرقية بدأ الممر الصاعد الموصى إلى معبد الوادى . وكان من ألقابها « .. ملكة الصعيد والدلتا وأم ملك مصر العليا والسفلى وإبنة الآلهة » .

وبهذا تنتهى الأسرة الرابعة بعد أن إنحصرت وراثة العرش في الملكة خنت كاوس .

الأسرة الخامسة : من ٢٤٩٤ - ٢٣٤٥ ق.م

يرى إدواردز ، أن مؤسس الأسرة الخامسة وسركاف الذي كان حفيداً للملك بجدف رع والذي ربما وصل إلى مرتبة الكاهن الأعظم في هليوبوليس قبل جلوسه على عرش مصر تمكن من الزواج من الملكة خنت كاوس التي تحمل في دمها حق وراثة العرش فأصبح بذلك مؤسس أسرة جديدة هي الأسرة الخامسة . وكما نعرف من بردية وست كار التي أشرنا إليها عند حديثنا عن الملك سنفرو أن الملك خوفو جمع أولاده ليقص كل منهم قصة تدل على قوة السحرة وعما يأتونه من معجزات ويبدأ الابن الأول ويليه الابن الثاني والثالث الذي يقول هذه الأسطورة التي تهمنا عند الحديث عن هذه الأسرة فيبدأ موضحاً لأبيه خوفو أنه يعيش في عهده الآن رجل قدير في شئون السحر يدعى «ديدي» إذ في إستطاعته إعادة الحياة لبعض الحيوانات بعد فصل رأسها عنها ويطلب خوفو حضور هذا الرجل إلى القصر الملكي ويأتي ويقوم أمام خوفو ببعض معجزاته السحرية فيعيد الحياة إلى أوزة مذبوحة وكذلك إلى ثور فصل رأسه عن جسده ويتحقق خوفو في الساحر «ديدي» ويطلب منه أن يوضح له أسرار معبده إلى الحكمة جھوتى . فيجيب الساحر أنه لا يعرف هذا السر ولكنه يعرف أين هو ويوضح للملك أن الرسومات الخاصة بهذا السر موجودة في صندوق يعبد هليوبوليس ولا يستطيع أحد حضارها غير أكبر أطفال ثلاثة الذين سوف تلدهم السيدة «رود ددت» زوجة أحد كهنة الآلة رع فيحزن الملك لهذا النبأ ويطمئنه الساحر بأن ذلك لن يحدث في عهده بل سيحكم ابنه ويليه ابنه .. الخ وتستمر القصة وتوضح لنا كيف تمت معجزات ولادة السيدة «رود ددت» التي قامت بها الآلهات إيزيس ونفتيس بجانب الآلة خنوم بأمر من الآلة رع .

وفي الواقع هذه الأسطورة لها قيمتها التاريخية إذ أنها تظهر الأوضاع السياسية التي ظهرت في نهاية الأسرة الرابعة لأنهاء حكم ملوكها وإستيلاء أفراد على عرش البلاد من كهنة الشمس ليس لهم صلة كبيرة بالأسرة المالكة مما دعاهم إلى خلق مثل هذه الأسطورة التي توضح أنهم ليسوا من بني البشر مثل أسلافهم بل خيرا منها لأنهم أبناء الآلهة رع ومن صلبه .. أما من الناحية الدينية فقد لعبت ديانة الشمس دورا كبيرا في الأسرة الخامسة فقد إتبع ملوكها سنة جديدة وهي أن يشيد كل ملك منهم معبدا⁽¹⁾ خاصا لآلة الشمس رع ومن الطريق أن نعلم أن عادة تشييد معابد الشمس هذه استمرت طوال عصر الأسرة الخامسة ثم اختفت بعد ذلك . كما يؤكّد حجر بلمرو بيان ملوك الأسرة الخامسة تميزوا بإقامة المعابد الكثيرة أما هيرودوت فأوضح أن هذه الأسرة تميزت بتزعة دينية خالصة .

ويفضل الترتيب الآتي للملوك هذه الأسرة : وسر كاف - ساحورع - نفراير كارع - شبسكاف - نفر اف رع - نى وسر رع - من كاو حور - جد كارع اسسى - ونيس .

الملك وسركاف :

لقب الملك وسركاف بلقب « ارى ماعت » اي منفذ الحق ويرى مانيتون انه حكم ٢٨ سنة ويعطيه كاتب بردية تورين ٧ سنوات فقط ويشير حجر بلمرو أنه قد قام بتشييد معابد للألهة والآلهات وخاصة آلة الشمس رع .

(1) Lauer, "Le Temple Haut de La Pyramide du Roi Ouser Kef a Saqqarah, ASAe, LIII, P. 116 FF.

وقد إختار وسركاف منطقة سقارة لتشييد هرم الذى شيد على مقربة من الركن الشمالى الشرقي لسور هرم جسر المدرج ويرى إدواردز أنه ربما كان لهذه المنطقة فى الأسرة الخامسة تقديسا خاصا يفسر لنا إختيار وسركاف لهذه المنطقة على الرغم من ارتفاعها إرتفاعا ملحوظا وخاصة فى الجهة الشرقية من الهرم حيث يقام عادة المعبد الجنزى للهرم مما إضطر مهندسة إلى بناء المعبد فى الجهة الشرقية للهرم لكن لا يخالف القاعدة العامة، ويعتقد فيرث أن عدم وجود المكان الكافى فى الجهة الشرقية للهرم هو الذى إضطر المهندس لتشييد المعبد الجنزى فى الجهة الجنوبية والأكتفاء بهيكلا صغير فقط فى الجهة الشرقية . وهرم وسركاف بسيط فى تخطيطه ويشبه فى تصميمه أهرامات الأسرة الرابعة وهو مشيد من الحجر الجيرى وكان له كساء من الحجر الجيرى الجيد وكان إرتفاعه ٤٤,٥ متر (الآن ٢٢,٨٠ متر) وطول ضلع قاعدته المربعة كان ٣٧,٧٠ متر وأصبح ٦٣,٨٤ متر .

ونعرف من المصادر التاريخية أن وسركاف هو أول ملك شيد معبد لاله الشمس رع فى منطقة أبو غراب (على بعد ميل شمال أبو صير جنوب الجيزه) وفي أوائل هذا القرن (١٨٩٨ - ١٩٠١) قام كل من المهندس لدفج بورخارت والأثرى هنريش شيفر بالبحث عن معابد الأسرة الخامسة فأكتشف معبدان أحدهما شيد الملك نى وسر رع والآخر ربما يتمى للملك وسركاف . فى عام ١٩٢٨ عشر فيرث على هذا المعبد للمرة الثانية وكان متهدما وقد استخدم المصريون موقعة فى العصر الصاوى لبناء مقابرهم وقد عثر المنقبون على بعض أجزاء من تماثيل للملك وسركاف أهمها رأس تمثال له (ثلات أمثال الحجم الطبيعي) وهى من حجر الجرانيت الأحمر موجودة الآن بالمتحف المصرى

وبعض أجزاء من مناظر منقوشة نقشا متقدنا . وما يوسع له أن هذا المعبد مهرب تخريبا كاملا ولم يعثر فيه على أى دليل مكتوب يؤكّد نسبة المعبد للملك وسرکاف .

الملك ساحورع :

أتى ساحورع بعد الملك وسرکاف وقد حكم طبقا لما جاء فى حجر بلمرو ١٤ سنة وإن كانت بردية تورين تعطيه ١٢ سنة فقط أما مانيتون فيذكر له ١٣ سنة . وقد اختار كل من ساحورع ونفر ايرکارع ونى وسرع هضبة على حافة الصحراء بالقرب من قرية أبو صير (٤، ٥ كم شمال سقارة) لبناء أهرامهم . على أن مجموعتا هرمى ساحورع ونى وسرع تمتاز بالفخامة الفنية على كل ما بني قبلهما . ولم يهتم ساحورع ببناء هرم ضخم له بل هو هرم صغير فقير في بناءه إذا قورن بضخامة أهرامات الأسرة الرابعة إلا أنه إهتم بتشيد المعابد سواء الجتنية أو الدينية^(١) وتميز معبدة الجتنى بآبهيته الفخمة المحمولة على أعمدة من الطراز النحيلي بمعنى أن الفنان المصرى صمم تاج العمود على شكل حزمة جريد النخل وربطها من أسفل ثم نحتها على كتلة من حجر الجرانيت مكونا بذلك أعمدة ذات تيجان نحيلية كما إهتم بتزيين المعابد بالمناظر والنقوش ، التي نعرف منها نشاط الملك ساحورع الحربى فنعرف أنه قام بحملات ضد الليبيين الذين حاولوا غزو الدلتا وصد البدو في الشمال الشرقي ونعرف أيضا أنه أرسل إسطولا إلى شواطئ فينيقيا أما حجر بلمرو فيشير إلى أنه أرسل بعثة إلى بلاد

(1) Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahire, Leipzig, 1910, PP. 7 - 12 .

بُوَنْتْ عِنْدَ الشَّاطِئِ الصَّومالي بِأَفْرِيقِيَا لِإِحْضارِ الْبَخُورِ وَالْذَّهَبِ وَالْأَبْنوسِ كَمَا كَشَفَتْ لَوْحَةٌ لَهُ عَنْ إِسْتِغْلَالِهِ مَحَاجِرُ الْدِيُورِيتِ فِي شَمَالِ غَربِ أَبُو سَمْبَلِ مَا يَدُلُّ مَعَهُ أَنْ نَفْوَذَهُ قَدْ وَصَلَ إِلَى هَنَاكَ .

نفراييركارع (كاكاى):

أَتَى بَعْدَ سَاحُورَعْ أَخْوَةِ نَفْرَايِيرَكَارَعِ الْمُعْرُوفِ بِكَاكَايِ وَيُشَيرُ حَجَرُ بِلَرْمُو الَّذِي تَمْ نَقْشُهُ فِي عَهْدِهِ أَنَّهُ حَكْمُ فَتْرَةِ عَشَرَ سَنَوَاتٍ وَيُعَطِّيهِ مَانِيَتُونَ عَشَرَينَ عَامًا وَيَبْدُوا أَنَّ فَتْرَةَ حَكْمِ كَاكَايِ لَمْ تَكُنْ كَافِيَةً إِذْ مَاتَ قَبْلَ أَنْ يَتَمَّ جَمِيعُ أَجْزَاءِ مَجْمُوعَتِهِ الْهَرَمِيَّةِ الَّتِي أَصْبَحَتْ أَنْقَاضًا وَلَكِنَّ مَا أَبْقَاهُ لَنَا الزَّمْنُ مِنْ نَقْوَشٍ وَنَصْوَصٍ نَعْرُفُ مِنْهُ مَا كَانَ يُعَطِّيهِ مِنْ هَبَاتٍ لِمَعَابِدِ الْأَلَّهَةِ فَقَدْ كَانَ مَحْبًا لِلْأَلَّهَةِ وَالْقَائِمِينَ عَلَى خَدْمَتِهِمْ مِنَ الْكَهْنَةِ إِذْ سُجِّلَ حَجَرُ بِلَرْمُو الْأَوْقَافِ الْمَلَكِيَّةِ الَّتِي مَنَحَهَا الْمَلَكُ سَوَاءً لِأَرْوَاحِ هَليوبُولِيسِ وَلِتَاسُوعِهَا كَمَا سُجِّلَ مَذْبِحًا لِلْأَلَّهَ رَعَ وَآخَرَ لِلْأَلَّهَةِ حَتَّحُورَ وَمَثَالَ ذَهَبِيَّ لَابْنِهِ إِحْرَى وَغَاذِجَ لِمَرَاكبِ الشَّمْسِ مِنْهَا الصَّبَاحِيَّةِ وَمِنْهَا الْمَسَائِيَّةِ كَمَا أَصْدَرَ مَرْسُومًا بِاعْفَاءِ رِجَالِ الدِّينِ وَفِلَاحِيِّ الْمَعَابِدِ مِنَ الْقِيَامِ بِأَعْمَالٍ أُخْرَى تَتَصلُّ بِمَشَارِيعِ الْاِصْلَاحِ فِي الدُّولَةِ هَذَا الْمَرْسُومُ الَّذِي سَاعَدَ عَلَى تَقوِيَّةِ الْكَهْنَةِ وَزَادَ مِنْ نَفْوَذِهِمْ وَفِي نَفْسِ الْوَقْتِ بَدَأَ يَتَقْلَصُ نَفْوَذُ الْمَلَكِ وَأَخْذَتْ سُلْطَتِهِ تَضَعُفَ وَبِالْتَّالِي أَخْذَتْ سُلْطَةُ الْحُكُومَةِ الْمَركِزِيَّةِ تَضَعُفَ مَا أَدَى فِيمَا بَعْدَ إِلَى إِنْهِيَارِ الدُّولَةِ الْقَدِيمَةِ .

وَنَعْرُفُ إِسْمَ الْمَلَكِ نَفْرَايِيرَكَارَعِ مِنْ عَدَةِ مَقَابِرِ لِكَبَارِ مَوْظِفِيهِ عَلَى سَبِيلِ المَثَالِ مَقْبَرَةُ « دَعَ وَرَ » الَّتِي إِكْتَشَفَهَا سَلِيمُ حَسَنُ عَامَ ١٩٢٩ هَذَا الْقَبْرُ لَا تَقْلِيلُ حَجَرَاتِهِ وَمَرَاتِهِ عَنْ خَمْسِينِ وَعَشْرَ فِيهِ عَلَى أَكْثَرِ مِنْ مائَةِ مَثَالٍ أَكْثَرُهَا مَهْشِمٌ

وكان رع ور يحمل أكثر من ثلاثة لقبا من بينها لقب مدير القصر الملكي ونذكر هنا حادثة طريفة تدل على عطف الملك وإنسانيته وطيبة قلبه ذكرها رع ور في مقبرته « فقد حدث ذات مرة في إحتفال رسمي أن الملك وكثر بعضاه ساق رع ور من غير قصد ولا حظ الملك هذا وإعتذر عما بدر منه وقال له « أنك أحب رجل لدى وأخص الناس بعطفى » ولم يكتف بذلك بل جعل هذه الحقيقة واضحة للناس فأمر بنقشها على حجر لكي تودع في قبر « رع ور ». وهناك حادث مشابه حدث للوزير والقاضي المعماري « واش بتاح » إذ حدث ذات مرة أنه كان الملك ومعه وشاح بتاح في زيارة لأحدى المنشآت الملكية التي يشرف واش بتاح عليها فأغوى عليه فأمر الملك بإستدعاء الأطباء والكهنة ولكن دون جدوى فأمر بصنع تابوت له من الأبنوس وأمر بتحنيطه أمامه وقام الابن بتشييد المقبرة بأمر من الملك وسجل هذه الواقعه فيها .

الملك نى وسر رع :

بعد ذلك جاء إلى العرش الملك نى وسر رع الذي حكم فترة تقرب من ثلاثة سنة وقام ببناء هرم و معبده لآل الشمس رع في منطقة أبوصير وقد أهتم بتزيين جدران المعبد بمناظر مختلفة لعل أهمها المناظر التي وصلت إلينا والتي تمثل مراسم عيد « السد » أو الإحتفال الثلاثي ونعرف من نقوش معبده أيضا ما قام به من بعثات حربية ضد الآسيويين .

الملك جد كارع أنسى :

كان ثامن ملوك هذه الأسرة هو جد كارع أنسى وقد حكم طبقا لما ورد في بردية تورين ٢٨ سنة (وفي قراءة أخرى ٣٩ سنة) وقد إهتم بارسال بعثات إلى سيناء ووادي الحمامات واستقل محاجر أبي سنبل ونعلم من تاريخ الرحالة

حرخوف الذى قام فى الأسرة السادسة برحلات إلى جنوب مصر أنه عاش فى عهد الملك جد كارع اسسى احد قادة السفن يدعى « باوردد » وقد أحضر معه من بلاد بونت قزما أهداه إلى ملكه جد كارع اسسى الذى فرح به كثيرا ، كما وجد إسم هذا الملك أيضا على بعض الآثار المكتشف فى بابل .

وقد شيد هرمه فى منطقة سقارة الجنوبية ويعرف باسم الهرم الشواف وفى عام ١٩٤٦ كشفت مصلحة الآثار عن بقايا معبده الجنزى ويبدو أنه قد تهدم فى عهد الفراعنة أنفسهم وقد تمكنت مصلحة الآثار من العثور على تماثيل لأسود بروؤس انسانية (تماثيل ابو الهول) وثيران وتماثيل لبعض الأسرى الأجانب .

كما اشتهر جد كارع اسسى أيضا عن طريق تعاليم وزير الحكيم بتاح حتب والذى كان مربيا له . والنص الرئيسي لهذه التعاليم كتب على بردية ترجع للأسرة الثانية عشرة وتعرف باسم بردية برس ولعل أهم ما ورد فيها إتباع الحق وإحترام الرئيس وطاعة الابن لأبيه والتحذير من الطمع ومن غرور العلم والاهتمام بشكوى المظلوم .

الملك ونيس (اوناس) :

آخر ملوك الأسرة الخامسة ، حكم فترة ثلاثين عاما وهو أول ملك نقش فى حجرة دفنه نصوص اصطلاح على تسميتها بنصوص الأهرام^(١) وهى التى كشف عنها ماسبيرو عام ١٨٨٠ فى هرمه المشيد فى الركن الجنوبي الغربى لسور الهرم المدرج بسقارة وهى عبارة عن مجموعة تعاويد وصلوات وطقس

(1) Mercer, The Pyramid Textes, 4 Vols., New York, Toronte, 1952 ..

- Verconter, in the Near East, The Early Civilization, London, 1967, p. 297 .
- Edwards, op. cit, p. 189.

دينية مختلفة تم اختيارها بواسطة الكهنة ومن الملاحظ أنها تختلف من هرم لآخر بدليل أن الكهنة كانوا يفضلون بعض النصوص على البعض الآخر أما الهدف منها فهو ضمان السعادة الأبدية في الحياة الثانية بعد موت الملك أو الملكة وقد وصل مجموع هذه التعاوين إلى ٧١٤ تعويذة نجد منها ٢٨ فقط في هرم ونيس . بل يكتشف ما سببوا أيضاً في نفس العام (١٨٨٠) نصوص أهرامات كل من الملوك تيتي الأول ومرنرع الأول وبيبي الثاني من الأسرة السادسة كما يكتشف جكيه بعد ذلك في الفترة ما بين ١٩٢٠ - ١٩٣٥ نصوص أهرامات زوجات الملك بيبي الثاني الثلاث الملكة أوجتن والملكة نيت والملكة إبوت وأخيراً وجدت هذه النصوص منقوشة في هرم ملك يدعى أبي أحد ملوك الأسرة الثامنة .

ويصل ارتفاع هرم ونيس الآن إلى ١٩ متر بعد أن كان في الأصل ٤٤ متر وطول ضلع قاعدته المربعة ٦٧ متر وهو مهدم إلى حد كبير . ويميز الطريق الصاعد في المجموعة الهرمية للملك ونيس أن جدران هذا الطريق منقوشة بمناظر مختلفة منها ما يمثل حاملى القرابين ومنها ما يمثل أسطولاً من السفن تحضر أحجاراً من محاجر أسوان ومنها ما يمثل صيداً طقسيَاً كما نجد به أيضاً المنظر المشهور الذي يمثل جماعة أنهكههم الجوع وقد أتقن الفنان التعبير عنهم وهم أغلب الظن من غير المصريين .

إنتهت الأسرة الخامسة وإن لم تترك لنا أهرامات ضخمة مثل أهرامات الأسرة الرابعة إلا أنها تركت لنا ثورة لغوية غابت في نصوص الأهرام هذا بجانب مناظر الحياة اليومية المماثلة على جدران مقابر كبار رجال الدولة أمثال تى وبتاح حتب في سقارة .

الأسرة السادسة : من ٢٣٤٥ - ٢١٨١ ق.م :

لا نعرف الأسباب التي دعت إلى انهاء الأسرة الخامسة فالمملك جد - كارع - اسسى ثامن ملوك الأسرة الخامسة حكم فترة طويلة تصل إلى ٢٨ سنة . ثم تبعه آخر ملوك الأسرة الخامسة الملك ونيس وحكم أيضاً فترة طويلة تصل إلى ٣ سنة . وقد شهدت مصر تطوراً في الأدب الدينى رأيناه في نصوص الأهرام وفي الفن وشاهدناه في مقابر الأشراف أمثال تى وبتاح حتب ولهذا يفضل بعض العلماء إعتبار الملك ونيس أول ملوك الأسرة السادسة لأنه أول من نقش في حجرة دفنه نصوص أطلق عليها متون الأهرام التي لم تظهر قبل عهده إلا أن مانيتون ذكر أن الأسرة السادسة أصلها من منف وأن أول ملوكها يدعى تى .

ويبدو أن الانتقال من الأسرة الخامسة إلى السادسة قد تم دون إضطراب ويبدو أن أحد زوجات تى وهي أبوت كانت إبنة الملك ونيس الذي لم يكن له وريث من الذكور وعلى هذا نرى أن همسة الوصل للانتقال من الأسرة الخامسة إلى الأسرة السادسة مرة أخرى إمرأة هي الأميرة أبوت التي كانت تحمل في دمها حق وراثة العرش ولعل هذا من الأسباب الهامة التي دعت تى للزواج منها وتأسيس الأسرة السادسة .

يختلف ملوك الأسرة السادسة سواء في طول فترة حكمهم أو في أهميتهم وقد حكموا فترة تقترب من قرن ونصف قرن إلا أن فترة حكم بيبى الثاني تحكم في ثلثي هذه الفترة ويفضل الترتيب الآتى للملوك هذه الأسرة : تى - وسكارع - بيبى الأول - مرنع الأول - بيبى الثاني - مرنع الثاني - الملكة نيتوكريس .

ولقد بدأت الأسرة السادسة بحكم الملك تتي الأول الذي حكم ٣٠ عاما طبقا لما جاء في تاريخ مانيتون أما فترة حكمه في برديه تورين فهي مفقودة ويحتمل أنه حكم فترة تصل إلى ١٢ عاما ونعرف من تاريخ مانيتون أنه مات مقتولا بيد حارسه وقد شيد هرمه في سقارة . على أية حال فما زالت معلوماتنا عنه قليلة ويحتمل أنه أرسل البعثات الحربية إلى النوبة كما وجد إسمه أيضا على إناء عشر عليه في بابل . وقد خلفه الملك وسركاري الذي حكم فترة قصيرة قد تصل إلى أربع سنوات ولم يترك وراءه آثار تدل عليه أو يأسلوب أصح لم يعثر عليها حتى الآن وإنما نعرفه عن طريق قوائم أبيدوس وبردية تورين أما قائمة سقارة فقد تجاوزت كما اسقطه مانيتون من تاريخه أيضا .

الملك بيبي الأول :

حكم كما ورد في تاريخ مانيتون ٥٣ سنة ويعطيه كاتب قائمة سقارة ٣٤ سنة أما برديه تورين فتذكر له ٢٠ عاما فقط وقد اتبع سياسة أسلافه في إرسال البعثات إلى آسيا (فلسطين) وإلى النوبة . كما أن هناك ما يدل على إحتفاله بعيد السد ولقد اتبع سياسة التقارب فتزوج من ابنه أمير منطقة أبيدوس « خوى » وأنجب منها ولى عهده مرنع وهناك إحتمال بأنه تزوج من اختها بعد وفاتها وأنجب منها ابنه نفر كارع المعروف باسم بيبي الثاني وهي لاشك خطوة جريئة اتخذها الملك بيبي الأول وتعتبر الأولى من نوعها في التاريخ الفرعوني إذ يتزوج الملك من بنات رعایاه وليس من أميرات القصر .

شيد بيبي الأول هرمه في سقارة وسماه بإسم « من نفر » أي « (بيبي) خالد وجميل » وهو الأسم الذي إشتق منه فيما بعد إسم منف الحالى وقد

إزدهرت الفنون في عهده ولعل نقوش معبده في سقارة (القبلية) وتمثاله النحاسي بالمتاحف المصري وتماثيله المرمرية في متحف بروكلين خير دليل على ذلك .

الملك مرنع الأول :

أكبر أولاد بيبي الأول حكم فترة قصيرة وهناك إحتمال بأنه شارك والده في الحكم بضع سنين وبعدها يستقل بالحكم لفترة تقرب من خمس سنوات وقد مات شابا إذ عثر في غرفة الدفن بهرمته في سقارة على موميائة يتدلّى منها خصلة من الشعر على جانب رأسه وهي دليل على صغر سنه ، كما نعرف من لوحة القائد « وني » الأعمال التي كلفه الملك بها ولعل من أهمها أشرافه على شق خمس قنوات في صخور الشلال عند أسوان وذلك لتسهيل الاتصال النهرى بين مصر والسودان .

الملك بيبي الثاني :

ابن الملك بيبي الأول ، أتى بعد أخيه وإبن خالته مرنع الأول ولقد حكم أطول فترة ممكنة في التاريخ الفرعوني وربما في تاريخ العالم إذ روى مانيتون أن بيبي الثاني كان في السادسة من عمره عند وفاة أخيه مرنع وإستمر يحكم ٩٤ سنة وهي رواية ليس من سبيل إلى تأكيدها أو نقضها أما بردية تورين فتعطيه أكثر من ٩٠ عاما . على أية حال فلقد احتفل بالعيد الثلاثي مرتين على الأقل ، كما أرسل في سنوات حكمه الأولى بعض الحملات إلى الجنوب بقيادة حكام الفتمن وقد كانت أمة وصيّة عليه منذ بداية حكمه أما حاله « زاو » فقد أصبح وزيرا له وصاحب الكلمة العليا في الدولة .

ويبعد ما تبقى من مجموعة بىي الثانى الهرمية ما يقرب من ٢٥٠ متر من الركن الشمالى الغربى لمصطبة شبسكاف بسقارة وقد إهتم بحفر هذه المجموعة جكىه في الأعوام ١٩٢٦ - ١٩٣٦^(١).

وطال الحكم بالملك بىي الثانى الذى إستبدت به شيخوخته ثم بدأ يتبدل حال الحكومة المركزية فدب فيها الضعف وقلت هيبتها وفي نفس الوقت زاد سلطان حكام الأقاليم وزادت ثروتهم وقل ولاؤهم لصاحب العرش فزادت الاعباء على كاهل الحكومة وتعطلت المصالح وإشتدت المظالم مما أدى إلى القيام بثورة . ثورة على كل شئ ثورة على الظلم وعلى الحكم وحتى على الآلهة وقد صور نتائج هذه الثورة فى أواخر الأسرة السادسة حكيم مصرى يدعى «إيبوور» الذى يتحمل أنه عاش فى اواخر عهد بىي الثانى أو فى عهد أحد خلفائه الضعاف ولقد وصلت إلينا صورة متأخرة من أراء هذا الحكيم كتبها أديب من الدولة الحديثة على بردية تعرف باسم بردية ليدن ٣٤٤ نسبة إلى متحف ليدن الموجود به منذ عام ١٨٢٨ والتى سنتحدث عنها فيما بعد .

ولقد تولى الحكم بعد بىي الثانى ملك وملكة الأول يدعى مرنزع الثانى وحكم سنة واحدة والثانية الملكة نيت إقرت التى حكمت فترة تقرب من ستين وذكرها مانيتون باسم نيتوكريس ثم بعدها عم الضعف والفووضى وإنهت أيام الأسرة السادسة وبيانها إنها إنتهت الدولة القديمة .

(1) Jequier, Les Monuments Funeraire de Pepi II, 3 Vols, Cairo, 1936-1940.

- احمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ١٤٩ .

أهم كبار رجال الدولة في الأسرة السادسة :

ولكي تتضح لنا الأمور في الأسرة السادسة يجب أن نتحدث ولو قليلاً عن أهم كبار رجال الدولة في هذه الفترة فنأخذ على سبيل المثال لوحة « وني » التي كانت قائمة في قبره بأبيدوس الموجودة الآن بالمتاحف المصري تحت رقم ١٤٣٥.

فيذكر نص هذه اللوحة أن هذا القائد قد عاصر كل من الملوك تيتي وبيبي الأول ومرنون الأول ، ثم نتحدث على الرحالة « حرخوف » الذي ترك لنا تاريخ حياته مفصلاً في مقبرته بأسوان والذي عاصر مرنون الأول وبيبي الثاني وأخيراً نتحدث عن حاكم أسوان « بيبي نخت » الذي عاصر الملك بيبي الثاني وترك تاريخ حياته مفصلاً على جدران مقبرته بأسوان .

القائد « وني » :

كان للنص الذي تركه لنا « وني » على لوحته التي كانت قائمة في قبره بأبيدوس^(١) فضل لكي نلم بشئون العامة في الأسرة السادسة . فلقد بدأ موظفاً صغيراً في عهد الملك تيتي كما ذكر الوظائف التي تولاها في شبابه ونراه يسقط الملك وسر��ارع لسبب لا نعلمه وينتقل إلى عهد بيبي الأول الذي عاصره طوال فترة حكمه . وقد زاد شأن « وني » في عهد الملك بيبي الأول الذي وهبه ثقة كبيرة بدليل تكليفه بالتحقيق في مؤامرة عائلية إشتركت فيها زوجته ولم يذكر « وني » أسباب هذه المؤامرة ونتائجها أو حتى نتائج تحقيقه لها . وبعد ذلك أمره

(١) أحمد بدوى ، في موكب الشمس ، جـ ٢ ، ص ٦٣٢ .

بتكون جيش كبير وجعله قائدا عليه ليتمكن من القضاء على « القبائل التي تعيش على الرمال » أي بدو الصحراء . هذه القبائل التي تهدد التجارة على حدود مصر الشمالية الشرقية . فقام « ونى » بخمس حملات على الأقل للقضاء عليها . ويذكر « ونى » بالنظام القائم في جيشه موضحا .. لم يغتصب جندي قطعة خبز من عابر سهل أو إغتصب نعله أو سرق عنزة من عشيرة » وبعد ذلك « عاد الجيش سالما بعد أن دمر أرض أهل الشمال وأسقط حصونهم » .

ومات الملك بيبي الأول وخلفه مرنع الأول الذي منح « ونى » لقب حاكم الجنوب وأمره بالشراف على شق خمس قنوات كما أوضحتنا من قبل في صخور الشلال الأول لتسهيل الاتصال النهرى بين مصر والسودان بجانب إحضاره حجر الجرانيت اللازم لبناء هرمه ومعابده من أسوان .

وإنتهى النص بالصيغة المعتادة بأن « ونى » كان محظوظا من والده مددواه من أمه .

حرخوف :

حاكم الفتين ، عاصر كل من مرنع الأول وبيبي الثاني وقد قام بوصفه حاكم لجزيرة الفتين بعدة رحلات استكشافية نحو الجنوب وقد تمت ثلاثة منها في عهد الملك مرنع الأول والرابعة في عهد الملك بيبي الثاني .

قام حرخوف برحلته الأولى في صحبة والده « ارى » واستمرت الرحلة سبع شهور ووصلها إلى منطقة « أيام » عند الشلال الثاني وكان الهدف منها

أن « يفتح طريقا إلى تلك المناطق الصحراوية » أي أن نية الكشف موجودة وإن كان الهدف منها تجاريًا قبل كل شيء .

ويذكر حرخوف أن الملك أرسله وحده للقيام بالرحلة الثانية التي استمرت ٨ شهور ووصل فيها إلى ما بعد الشلال الثاني . وفي الرحلة الثالثة إتخذ طريقا آخر سمي « طريق الواحات » ويقصد بها أغلب الظن طريق درب الأربعين (وهو الطريق الموصى من أسيوط إلى الواحة الخارجية ومنها إلى مناطق غرب السودان) . أما رحلته الرابعة التي قام بها في عهد بيبي الثاني فلم نعرف عنها الشئ الكثير سوى إحضاره قزماً للملك الذي فرح به كثيراً ويعتقد أن حرخوف كان يتقن اللغة النوبية والسودانية ليسهل عليه التفاهم مع أهلها إذ كان من ألقابه « رئيس المترجمين » .

بيبي نخت :

عاصر الملك بيبي الثاني وأصبح حاكماً لأسوان بعد حرخوف ولقد كان شديد البأس يستعين في تنفيذ أغراضه باللين مرة وبالقوة مرة أخرى . ولقد قام بسبب من الأسباب بأمر الملك بحملة تأديبية لسكان شمال النوبة كما اضطر للقيام بحملة تأديبية أخرى لبدو الصحراء الشرقية الذين قاموا بقتل أحد ضباط الملك الذي كان مكلفاً ببناء سفينة على ساحل البحر الأحمر فقام بيبي نخت بهذه الحملة لإحضار جثثانه وللثأر منهم .

كل هذا إن دل على شئ يدل على ضعف نفوذ الملك الذي اضطر أن يستعين بحكام الأقاليم الأقوياء لحمايته وتنفيذ أغراضه .

الفصل الخامس
الفترة الانتقالية الأولى ١٩
عصر اللامركزية الأول
٢١٨١ إلى ٢٠٤٠ ق. م

الفصل الخامس

الفترة الانتقالية الأولى أو عصر الامبريزية الأولى

٢١٨١ إلى ٢٠٤٠ ق. م

وهي تمثل الفترة التي تفصل بين نهاية الدولة القديمة وبداية الدولة الوسطى وهي لاشك أظلم فترة في تاريخ مصر الفرعونية ولقد استمرت ما يقرب من قرن ونصف وتشمل الاسرات من السابعة حتى نهاية العاشرة .

الثورة الاجتماعية :

لقد سقطت مصر في هوة عميقة من الأضمحلال بعد موت الملك بيبي الثاني فانهار صرح الملكية وتدهورت سلطة البلاد المركزية وبالتالي إزداد نفوذ حكام الأقاليم وببدأ الشعب يفكرون في الثورة ليتحرر من قيوده فكانت الثورة ، ثورة على قدسيّة الملوك وقدسيّة الآلهة وانتشر الخوف وساد البؤس وعم الاضطراب في جميع أنحاء البلاد وإزدهر الأدب التهذيبى في ظل هذه الثورة ويصف لنا الحاكم المصري «إيبور»^(١) الذي يحتمل أنه عاش في أواخر عصر الملك بيبي الثاني أو أحد خلفائه الضعاف ، البلاد وصفاً ممتعاً على الرغم

(١) ترجمة هذه البردية في متحف ليدن بهولندا ، ونشرها :

- Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, Leipaiq, 1909 .
- Breasted, The Dawn of Conscience, 1933, PP. 193 - 200 .

ما فيه من قسوة في عدد صور البؤس ويؤبّل الملك الحاكم على إستهتاره وضعفه يقوله :

« ان أصدقائك قد كذبوا عليك » .

« البلاد تعمل والناس على شفا الهاك » .

هذه السنوات سنوات حرب وبلاء » .

واليكم بعض ما جاء في نص إببور من ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر.

« ما هذا الذي حدث في مصر ... ?

إن النيل لا يزال يأتي بفيضانه

وليس هناك من يقوم بحرث حقله

لماذا حقاً أصبح الفقراء يمتلكون الكنوز ؟

إن من كان لا يملك نعلاً أصبح الآن من الأثرياء

لماذا أصبح الموتى يدفنون في النهر ؟

إن النهر أصبح جبانة وجعل الناس منه مكاناً للتحنيط

لماذا حقاً عم الحزن الاشراف ؟

بينما ساد الفرح والسرور الفقراء

لماذا حقاً انتشرت القدارة في البلاد ؟

ولم يعد لمصرى ثوب أبيض اللون فى هذه الأيام

لماذا حقا قد إختفى الضحك من البلاد ؟

لقد حل محله العويل والبكاء

لماذا حقا ضرب بقوانين البلاد عرض الحائط ؟

وأخذ الناس يطاؤنها بأقدامهم .

إنظر كيف أصبح نساء الاشراف متسلمات .

ومن لم يمتلك خرقة ينام عليها أصبح اليوم وهو صاحب سرير . إنظروا : إن من كان يقضى الليل يلهث من العطش

أصبح الآن قادرا على تعاطى الجعة القوية

ومن كان يفتقد الرغيف

أصبح الآن يمتلك مخزنا للغلال

إنظروا : إن من كان لا يمتلك ثورا

أصبح الآن من أصحاب القطعان »

ثم يذكر ابوور أفراد الشعب بعهود السلام الماضية

فيقول :

« تذكر كيف كانت الأعلام ترفع

وكيف كانت اللوحات ت نقش
وكيف كان الكاهن يظهر جنبات المعبد
وكيف كان عبق البخور يملأ الجو
وكيف كانت المذايحة تعج بما يوضع فوقها من قرابين *
ويصل ابوور إلى توجيه اللوم إلى الملك الحاكم فيقول :
« لديك الحكمة والبصيرة والعدالة
ولكنك ترك الفساد ينهش البلاد
الحقيقة أنك أوصلت البلاد إلى هذا الدمار .
والحقيقة أنك تتفوه كذبا ... » .

وهناك بردية أخرى تتحدث عن الثورة الاجتماعية أو الثورة الطبقية تعرف باسم بردية « نفرتى » ويحتمل انه كتبت في أوائل الأسرة الثانية عشرة في عهد الملك أمنمحات وهي موجودة الآن بمتحف لينينغراد في الاتحاد السوفياتي أما هدفها فهي تعتبر كدعاية سياسية حاول الكاتب فيها أن يقنع الناس بأن هناك نبوءة من عهد الملك سنفرو الذي طلب من « نفرتى » رئيس كهنة الألهة باست أن يحيطه علما بما سيحدث في المستقبل فيشرح له « نفرتى » الفوضى التي سوف تعم البلاد بعد ذلك وأخيرا يأتي ملك يدعى « أمينى » (إسم مختصر للملك أمنمحات الأول) مؤسس الأسرة الثانية عشرة المولود في الصعيد من أم نوبية وينفذ البلاد من هذه المحنـة .

الأسرتان السابعة والثامنة

من ٢١٨١ إلى ٢٦٠ ق. م

تمثل الأسرتان السابعة والثامنة أظلم فترة في عصر اللامركبة الأول وهي فترة لا يزال المؤرخون في شك من تحديدها وقد اختلفت آراءهم بخصوصها فالبعض يشير إلى أنها استمرت ٤٠ عاماً والبعض الآخر يرى أنها لم تزد عن ٥ عاماً . إلا أن الأبحاث التي قام بها هيوز أوضحت أن هذه الفترة لا تزيد عن ٢١ سنة وفي رأيه أن الأسرة السابعة استمرت ٨ سنوات وأن الأسرة الثامنة استمرت ١٣ سنة ونعرف الآن نتيجة لهذه الأبحاث أن أول ملوك هذه الأسرة هو الملك نفركارع الثاني . ونعرف من رواية مانيتون أنه تولى الحكم في الأسرة السابعة سبعون ملكاً منفيًا أي من مدينة منف مدة سبعين يوماً كانت فترة إضطراب وفوضى وقد خلا العرش فيها من ملك يحميه فأضطر كل من كبار الموظفين وحكام الأقاليم أن يرأس الحكم بنفسه ولو لفترة يوم واحد ، على أن اغلب الظن أن عدد السبعين ملكاً ما هي إلا رواية تؤكد كثرة الحكام في تلك الفترة وعدم استقرارهم في الحكم وإلتباس الناس في تعدادهم^(١) .

وإتخاذ ملوك الأسرة الثامنة منف عاصمة لهم أيضاً واستمروا في الحكم فترة تصل - في رأي هيوز - إلى ١٣ عاماً اعتمدوا خلالها - أغلب الظن - على مناصرة بعض حكام الأقاليم الأقوياء . فقد عثر في مدينة فقط على بعض

(1) Hayes, The Scepter of Egypt, I. New York, 1953, P. 136.

- Albright, BASOR, 110, 1950, P. 29. F.

- Gardiner, op. cit, P. 108.

اللوحات الحجرية المنقوشة في خرائب معبد الألة مين والتي تضمنت م راسيم أصدرها الملكان « واج كارع » و « نفرع كاوحور » من الأسرة الثامنة بعض أعضاء البيت الحاكم في فقط وتقرر فيها إعفاءات خاصة لمعبد الألة مين وكهنته هناك . على أن أغلب هذه المراسيم تنفرد بذكر الحاكم « شمای » الذي تزوج الابنة الكبرى للملك « نفركاوحور» وأصبح من ألقابه لقب الوزير وحاكم الجنوب وإبنه « أيدى » أجزاء من هذه اللوحات موجودة الآن بمتحف المتروبوليتان بنيويورك أحدهما يسجل تعين « أيدى » ابن الحاكم شمای في وظيفة حاكم لمصر العليا على الأقاليم السبع الجنوبية وآخر بتعيين شمای نفسه وزيرا على جميع أقاليم الجنوب وثالث يجدد زوجته نبت ويعطيها لقب « الابنة الكبرى للملك » كل هذا يوضح لنا مدى ما وصل إليه نفوذ أسرة البيت الحاكم في فقط في الأسرة الثامنة .

الاستتان التاسعة والعشرة الأهناسيتان

من ٢١٦٠ إلى ٢٠٤٠ ق.م

الأسرة التاسعة : من ٢١٦٠ إلى ٢١٣٠ ق.م :

إسططاع خيتي حاكم الأقاليم العشرين من أقاليم الصعيد فـى ظل الإضطرابات التي سادت الفترة الانتقالية الأولى من أن يدعى الحكم لنفسه ويؤسس الأسرة التاسعة الفرعونية ويتخذ من عاصمة إقليمة وهي مدينة « إهناسيا المدينة » عند مدخل الفيوم عاصمة له ولقبه الأثريون باسم الملك خيتي الأول وقد إتخذ لنفسه الالقب « حبيب قلب الأرضين » و « حبيب قلب رع » و يبدو أنه كان معروفا في جميع أنحاء البلاد إذ وجد إسمه منقوشا على صخرة عند الشلال الأول ، كما عثر على إسمه منقوشا على إناء من البرونز وجد في أسيوط وعلى عصا للتوكة من الأبنوس في مدينة مير وللآن لا نعرف الأسباب التي دعت مانيتون أن يصف مؤسس الأسرة التاسعة بأنه كان مخبولا وقاسيًا وأن نهايته كانت على يد تمساح إفترسه وهي رواية قد تبتعد عن الحقيقة . كما نعرف مما سرده أفريكانوس عن مانيتون بأن كلا من الأسرة التاسعة والعشرة كانت تضم ١٩ ملكا من إهناسيا أما برديه تورين فتذكرة أسرة واحدة فقط بها ١٨ ملك وقد حاول خلفاء خيتي الأول أمثال نفركارع وخيتي الثاني ما إستطاعوا إنهاض مصر ومقاومة حكام الأقاليم وعلى وجه الخصوص حكم طيبة الأقوباء دون جدوى على أية حال فيبدو أن الحالة في الأسرة التاسعة لم تتغير كثيرا عما كانت عليه الأسرة الثامنة فهم ملوك ضعاف ليس لهم أى نفوذ في الأقاليم وحكام أقوباء يحكمون شبه مستقلين .

الأسرة العاشرة : من ٢١٣٠ - ٢٠٤٠ ق. م

لا نعرف الأسباب التي دعت مانيتون إلى إنتهاء الأسرة التاسعة وأن يبدأ أسرة جديدة هي العاشرة على الرغم أن جميع ملوك الأسرتين يتبعون - أغلب الظن - إلى عائلة واحدة وهذا ما أكدته كاتب بردية تورين إذ ذكر أن ملوك إهناسيا يمثلون أسرة واحدة تتكون من ١٨ ملكاً أما عن الملوك الذين حكموا في هذه الفترة في الشمال واتخذوا من مدينة «إهناسيا المدينة» عاصمة لهم فنعرف منهم الملك مرى حتحور وقد ذكر إسمه على أحد الأحجار في محاجر حتنوب والملك نفركارع الذي ذكر في بردية تورين . ولعل أشهر ملوك هذه الأسرة هو الملك «خبيتى واح كارع» ولعل سبب شهرته ما تركه أغلب الظن من - تعاليم - إلى ابنه الملك «مرىكارع» وهي التعاليم الذي ستتكلم عنها فيما بعد . وقد إنحصر نفوذ هؤلاء الحكام فقط في مناطق الدولة وحمايتها من غزوات البدو .

أما في الجنوب فقد بدأنا نرى إزدياد نفوذ حكام الأقاليم فبدأوا يستقلون بأنفسهم ويتولون كافة سلطات الملك في أقاليمهم ، وبدأ البعض منهم يكون لنفسه جيشاً وبيتاً للخزانة بل وأخذوا يستغلون المناجم والمحاجر لحسابهم وبدأ البعض منهم يؤرخ الحوادث بسنوات حكمه هو في إقليميه وليس وفقاً للحواليات الملكية وبدأوا يتولون الأشراف على المعابد المحلية الدينية الموجودة في أقاليمهم بأعتبارهم كبار رجال الدين وكانت نتيجة كل ذلك أن أصبح كل إقليم دولة داخل الدولة وقد ترتب على هذه اللامركزية أن تتمكن حكام طيبة الأقوياء أمثال الأول والثانية والثالث على التوالى يرون أحقيتهم في

العرش بدلاً من حكام إهناسيا وأسسوا الأسرة الحادية عشرة في الجنوب وإتخذوا من طيبة عاصمة لهم ، وإن كانوا في بداية الأمر خضعوا إسمًا فقط لسلطان الملك في إهناسيا ولكن منذ عام ٢١٣٣ ق. م بدأوا ينفصلون عن حكام إهناسيا وإتخذ كل منهم لقب «ملك مصر العليا والسفلى» ومن الطريف أن ملوك الأسرة العاشرة أخذوا يحكمون من أهناسيا وفي نفس الوقت أسس أمراء الجنوب الأسرة الحادية عشرة في الصعيد واتخذوا طيبة عاصمة لهم .

أسباب قيام الثورة الاجتماعية الأولى :

١- الأسباب الاقتصادية :

أ - تشييد مبان تهدد الاقتصاد القومي ، وتشييد أهرام ومبان دينية عده لكل ملك أرهقت الاقتصاد القومي ، وألقت عبئا ثقيلا على خزائن الدولة مما أرهق الشعب أيا إرهاق وجعل بوادر السخط تجتمع ضدهم .

ب- ذلك العباء الناتج من تخصيص هبات دائمة للصرف منها على مقابر الملوك والملكات والأمراء ، وكانت تلك الأوقاف تبلغ مقدارا كبيراً من المال .

ج- إنقطاع الموارد التي كانت تأتي من التجارة الخارجية ، وكانت هناك في نهاية الدولة القديمة إضراها مع تلك البلاد الأجنبية التي كانت تتجه معها مصر .

٢- الأسباب الاجتماعية :

كانت هناك أسباب اجتماعية للثورة ، ربما نتيجة تسلط طبقة خاصة على كل الوظائف الهامة في البلاد ، وربما نتيجة استغلال هذه الوظائف الهامة

إستغلالا سينا ، صحيح أن مصر نادت بالمساواة النظرية ، ولكن ضعف الملوك أمام قوة حكام الأقاليم وإتجاههم نحو التزعة الفردية ، قد جعل المساواة النظرية هذه غير ذي موضوع ، ومن ثم فقد بقى نظام الطبقات المنفصلة معترفا به حتى قيام الثورة .

٣- الأسباب السياسية :

ترجع أسباب الثورة السياسية إلى ضعف الملكية وتخاذلها أمام حكام الأقاليم ، وقد إستمر الحكام في فرض الضرائب الفادحة وإمتنعوا عن توريدها إلى بيت المال ، حتى أصبحت الحكومة في منف شبه عاجزة عن تنفيذ أوامرها ومارسة حقوقها ، فتوقف إرسال البعثات إلى المناجم ، وتجدد خطر الهجرات الآسيوية ، مما أدى آخر الأمر إلى قيام الثورة .

٤- الأسباب النفسية :

في أخريات الأسرة السادسة بدأ الشعب يفقد ثقته في حاكميه ، فلقد أصبحت الملكية ضعيفة ، والكهانة مستغلة ، والأقطاع ينافس الجميع في إستغلاله ، وهنا يحس الشعب أن عليه أن يتحرك ، هذا التحرك هو ما نسميه بالثورة ، فالثورات تقوم عادة حين يحس الناس بالظلم ، وهذا ما حدث في ثورتنا هذه عندما أحس الشعب بالدور الذي يجب أن يقوم به ليخلع عن رقباه ظلم الملكية وفساد الكهنة وسوء إستغلال الحكام .

٥- الأسباب الخارجية :

أدى الانهيارات الداخلى إلى التسلل الأجنبى للبلاد ، والذى سيطر على جزء

منها فترة من الزمن ، إلا أن هذا الدافع من دوافع الثورة ، إنما كان أقسى دوافعها .

لقد فتكـتـ الشـورـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ بـمـصـرـ فـدـكـتـ عـرـشـهـاـ وـفـكـكـتـ عـرـاـهـاـ وـقـضـتـ عـلـىـ الـحـكـمـةـ الـمـرـكـبـةـ فـيـهـاـ وـعـرـضـتـ الـبـلـادـ لـخـطـرـ الغـزوـ الـأـجـنبـيـ ،ـ وـلـكـنـ مـصـرـ خـرـجـتـ مـنـ مـحـتـهـاـ بـعـدـ أـنـ تـعـلـمـتـ مـنـ تـلـكـ التـجـربـةـ الـقـاسـيـةـ أـشـيـاءـ جـديـدةـ عـنـ قـيـمةـ الـأـنـسـانـ وـحـقـوقـهـ وـمـعـنـىـ الـخـلـقـ الـكـرـيمـ .

لقد أـشـمـرـتـ تـلـكـ الشـورـةـ الـاجـتمـاعـيـةـ إـذـاـ وـغـيـرـتـ الشـئـ الـكـثـيرـ مـنـ نـظـرـهـ الـمـصـرـيـنـ إـلـىـ حـكـامـهـمـ بـوـجـهـ عـامـ وـجـعـلـهـمـ يـدـرـكـونـ مـاـ لـلـفـرـدـ مـنـ قـيـمةـ ،ـ وـمـاـ لـهـ مـنـ حـقـوقـ⁽¹⁾ .

الـأـدـبـ فـيـ الـفـتـرـةـ الـاـنـتـقـالـيـةـ الـأـوـلـىـ :

وـقـبـلـ أـنـ نـتـهـيـ مـنـ عـصـرـ الـلـامـرـكـبـةـ الـأـوـلـ يـجـبـ أـنـ نـعـرـفـ أـنـ مـنـ أـهـمـ آـثـارـ الـبـرـدـيـاتـ الـأـدـبـيـةـ وـلـعـلـ أـهـمـهـاـ بـرـدـيـةـ الـقـرـوـيـ الـفـصـيـحـ وـبـرـدـيـةـ الـوـصـاـيـاـ الـتـىـ يـعـقـدـ أـنـ الـمـلـكـ وـاحـ كـارـعـ خـيـتـىـ كـتـبـهـ لـابـنـ الـمـلـكـ مـرـىـ كـارـعـ .ـ وـقـدـ أـعـطـتـ تـلـكـ الـبـرـدـيـاتـ لـنـاـ صـورـةـ وـاضـحةـ عـنـ بـلـاغـةـ هـذـاـ عـصـرـ وـعـنـ الـحـيـاةـ الـاجـتمـاعـيـةـ فـيـهـ .

برـدـيـةـ الـقـرـوـيـ الـفـصـيـحـ :

كتـبـ أـدـيـبـ مـنـ عـصـرـ الـاهـنـاسـيـ حـوـادـثـ هـذـهـ القـصـةـ ،ـ وـالـقـصـةـ فـيـ حـدـ ذاتـهاـ بـسيـطـةـ فـيـ وـقـائـعـهـاـ إـلـاـ أـنـهـاـ تـنـازـ بـلـاغـةـ الـأـسـلـوبـ وـيـدـوـ أـنـ الـهـدـفـ لـيـسـ القـصـةـ نـفـسـهـاـ بلـ الشـكاـوىـ التـسـعـةـ الـتـىـ نـاقـشـ فـيـهـاـ الـقـرـوـيـ النـظـمـ الـاجـتمـاعـيـةـ

(1) محمد يومى مهران ، مصر ، ج ٢ ، ص ٢٥٥ - ٢٧٥ .

والفوارق بين الطبقات كما طالب بمحو الظلم وإعطاء كل ذي حق حقه وحماية الفقير من الحاكم الغنى الظالم .

وتتلخص وقائع القصة في أن أحد القرؤين واسمه « خون انبو » خرج من قريته بالقرب من وادي النطرون يحمل على حميره بعض السلع من ملح ونطرون وأعشاب لبيعها في العاصمة إهتاسيا ، وعلى حافة النهر وجد الموظف « جحوتى نخت » التابع للضيعة الخاصة برئيس نظارة الخاصة الملكية المدعو « رنسى » . ففكرا جحوتى نخت في سرقة هذا القروى ، فلجا إلى الحيلة وطلب من خادمة أن يبسط على الممر قماشا يغطيه بالعرض وطلب جحوتى نخت من القروى الأبعد عن قطعة القماش مما دعى القروى أن يسير بحميره داخل الحقل لعدم المرور عليها ولم يعجب هذا جحوتى نخت فقال له « كيف تعمل من الحقل طريقا لك ولحميرك ؟ » فأجابه القروى هادئا « إنى لا أقصد إلا سبيل الخير ، الجسر مرتفع والطريق الوحيد هو السير في الحقل لأنك سدت طريقنا بقمashك ، ألم تسمح لنا بالسير » . في خلال هذه المناقشة مال أحد الحمير وقضم قضمة من الشعير واستغل حجوتى نخت هذه الفرصة فاستولى على الحمار نظير أكلة للشعير . ولم يرض القروى بذلك وقال أنه يعرف أن صاحب هذه الضيعة هي « رنسى » القاضى العادل الذى يحارب السرقة فكيف يسرق هو فى أرضه ، إلا أن الضرب كان جزاءه . فأنجحه القروى شاكيا إلى القاضى « رنسى » بعد أن ظل عشرة أيام كاملة يستعطف « جحوتى نخت » وهنا تبدأ الشكاوى التى اعجب بها « رنسى » وابلغها بدوره للملك الذى طلب بعد الفصل فيها حتى يتسى لهذا القروى بأن يكثر من هذه الشكاوى بعد أن أمر فى نفس الوقت ببراءة زوجته وأولاده

واعطائهم حاجتهم من الطعام وفي نهاية هذه الشكاوى التسع يحقق القروى
هدفه ويرد له كل ما سرق منه بل ويأخذ أيضا كل أملاك جحوثى نخت
ويقيم فى العاصمة .

واليكم بعض نماذج من هذا الاسلوب من ترجمة للدكتور عبد المنعم أبو
بكر :

« أنظر ، إنك رئيس وبيدك الميزان .

« فإذا لاختل هذا الميزان فانك تختل أيضا .

لسانك هو ذلك اللسان الصغير للميزان . . .

فإذا سترت وجهك عن الظالم .

« فمنذا الذى يمكنه أن يدفع العار » .

- * -

« إنك كمن يصنع العدل »

« وكمن يصنع كل طيب وبييد كل خبيث

« أنت تجئ كالشمع ومجيئك ينتهي الجوع

« أنت كالسماء الهدأة بعد عاصفة هوجاء

« تعطى الدفء لمن أصابه البرد ،

« أنت كالنار تنضج الطعام وأنت كالماء تروى الظماء »

لقد أجاد الأديب هنا في هذه القصة من أن يتخذ من هذه الشكاوى مسرحاً لعرض كل المبادئ الاجتماعية والقانونية التي يأمل فيها كل فرد من أفراد مجتمعه ، ويحفظ متاحف برلين بثلاث نسخ بردية لهذه القصة .

وصايا الملك خيتي إلى مري كارع :

البردية الثانية خاصة بالنصائح والتوجيهات الموجهة إلى الملك مريكارع أحد ملوك الأسرة العاشرة وقد ذكر إسمه على أكثر من مقبرة في أسيوط ترجع إلى هذه الفترة . والنص نفسه مكتوب على أكثر من بردية ، الأولى محفوظة في متحف الارمنيا بمدينة ليننغراد والثانية معروضة بموسكو والثالثة موجودة في كوبنهagen والجميع يرجعون إلى عصر الأسرة الثامنة عشرة .

وللأسف فإن اسم الملك الوالد الذي وجه هذه النصائح إلى ابنه مري كارع مفقود في البرديات الثلاثة إلا أن غالبية الأثريين يعتقدون أن الملك الوالد هنا - أغلبظن - هو الملك واح كارع خيتي وهو المعروف بخيتي الثالث .

توضّح لنا هذه النصائح الحالة الداخلية في مصر في ذلك الوقت وتظهر الملك بصورة متواضعة وليس بصورة الحاكم المستبد محاولاً إعطاء خلاصة تجارية لابنه (مريكارع) موضحاً له الأخطاء التي وقع فيها الأب لكنه يتعدّ عنها ابن في المستقبل كما يبين مذهبه في الدين وهو إرضاء الآلهة وتقديم ما يلزم من القرابين فيقول « اصلاح مكانك في العالم الآخر بالاستقامة وأداء العدل فإن قلوب الآلهة ترتاح إليه » ثم يؤكّد « أن أخلاق الرجل المستقيم الضمير أكثر قبولاً عند رب من ثور يقدمه شرير

كقريان واعمل لربك يعمل لك بالمثل ٤ ثم يوضح لأبنه أن سعادة المرء تتوقف على عمله في الدنيا فان أصلاح فلنفسه وإن أساء فعلها ثم ينصحه باتباع الحق وإقامة العدل واعطاء كل ذي حق حقه وعدم ظلم الأرامل بل ورعايتها^(١) .

هذه النصائح التي تمثل على ما يبدو المثل العليا في ذلك المجتمع لم يكن من السهل تفويتها بأكملها وكان شأنها شأن المثل العليا في أي زمان ومكان ينادي بها المصلحون ويعمل بها كل فرد حسب فهمه لها ومنفعته منها .



(١) سليم حسن ، الأدب المصري القديم ، ج ١ ، ص ٥٤ - ٧٠ .

الفصل السادس
الدولة الوسطى
الأستان الحادية عشرة والثانية عشرة
من ١٧٨٦-٢١٣٣ ق.م

**الفصل السادس
الدولى الوسطى
الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة
من ٢١٣٣ - ١٧٨٦ ق.م،**

الأسرة الحادية عشرة :

نشأت الأسرة الحادية عشرة أولاً كما نعرف في الجنوب ، في نفس الوقت الذي كانت فيه الأسرة العاشرة تحكم في إهناسيا في الشمال وإستمرت الأسرة الحادية عشرة تحكم في الجنوب في طيبة أكثر من ٩٠ عاماً وأخيراً استطاع متتوحتب نب حبت رع أن يسقط حكم إهناسيا ويبدا مرحلة فتية من تاريخ مصر الفرعونية .

ويفضل الترتيب الآتي للملوك الأسرة الحادية عشر .

أنتف الأول - أنتف الثاني - أنتف الثالث .

متتوحتب الأول - متتوحتب الثاني - متتوحتب الثالث .

الملك متتوحتب الثاني نب حبت رع :

دام حكمه ٥١ عاماً إمتازت بالكفاح . وقد غير الملك لقبه أكثر من مرة ، فعند بداية حكمه اتخذ لقب سعنخ أب تاوي ، أي مسبب الحياة لقلب الأرضين وهو لقب تبدو فيه النوايا الطيبة لإعادة الحياة والطمأنينة لمصر وإضطر

في هذه الفترة من حكمه أن يقضى على ثورة في إقليم ثني في العام الرابع عشر من حكمه وإنشرت الطمائنة في البلاد . وبدأ فترة جديدة من حكمه إنخذ فيها متتوحتب لقب نب حبت رع بمعنى سيد دفة رع أي موجه دولة رع - ويقصد بدولة رع هنا مصر .

وبدأت إنتصاراته تزداد وسيطر على حكام الجنوب والشمال وساد النظام البلاد . وفي هذه الفترة التي بدت على وجه التقرير في العام التاسع والثلاثين من حكمه إنخذ فيها قلب ، سما تاوي ، أي موحد الأرضين بجانب إسمه الثابت نب حبت رع .

وقد اكتشف ونلوك قبراً كبيراً منحوتاً في الصخر على هيئة المغارة في طيبة كان يحتوى على ما يقرب من ٦٠ مومياء لجنود جيشه الذين إستشهدوا على ما يدو في إحدى هذه المعارك من أجل تأمين البلاد ونشر النظام .

ولقد اختار متتوحتب الثاني حصن جبل من جبال طيبة الغربية ليشيد فيه ضريح^(١) يليق به ولم يبق لنا من هذا الضريح إلا أطلاله وهي الموجودة إلى الجنوب من معبد حتشبسوت بالدير البحري وقد عثر بداخله على تمثاله الشهير المحفوظ الآن بال المتحف المصري كما عثر أثناء الحفائر هناك أيضاً على عدد من مقابر نساء أسرته ومحظياته وكان لكل منها مقصورة خاصة تصل إلى بئر يوصل بدوره إلى حجرة الدفن . ومن أهم هذه المقابر مقبرة الأميرة كاويت والأميرة عاشيت وكان لكل منها تابوت خشبي موضوع في تابوت آخر صنع

(1) Naville, The XI th Dynasty Temple at Deir El-Bahari, 3 Vols London, 1907-1913

- Gardiner, Op. Cit., pp. 122,123.

من الحجر الجيري الجيد والتوابيت محفوظة الآن بالمتحف المصري وقد تميزت جوانبها بالمناظر الدنيوية الخلابة .

الملك متتوحتب الثالث سعنخ كارع :

حكم - طبقاً لما ورد في برديه تورين - ١٢ سنة ، ويعتبره كاتب كل من قائمة أبيدوس وقائمة سقارة السلف الذي أتى بعده الملك أمنمحات الأول مؤسس الأسرة الثانية عشرة . وقد إهتم الملك متتوحتب الثالث بتشييد المعابد سواء في الدلتا أو الصعيد وإهتم بعمير البلاد . إذ نعرف من نص مقوش على صخرة في وادي الحمامات ويرجع إلى العام الثامن من حكمه أنه أرسل حمله إلى هناك تحت قيادة أحد رجاله المسمى «حنو» لإنضمار الأحجار اللازمة للتماثيل الخاصة بالمعبد ، وقد بلغ عدد رجالها ما يقرب من ٣٠٠ رجل ، ويقص علينا حنو كيف قامت الرحلة من ميناء فقط - بعد أن سبقتها بعثة عسكرية لتأمين الطريق أمامها من العصاة ووصلوا عن طريق وادي الحمامات إلى شاطئ البحر الأحمر وإضطروا في هذا الطريق إلى حفر عدد غير قليل من الآبار لإمدادهم بالماء اللازم لهذا العدد الضخم كما خصص لكل جندي قدرتين من الماء و ٢٠ رغيفاً صغيراً يومياً . وعند وصولهم إلى شاطئ البحر الأحمر أخذ هو وعدد من رجاله أسطولاً كان هناك وذهبوا به إلى بونت لإنضمار البذور وفي نفس الوقت ترك بقية رجاله بوادي الحمامات لقطع الأحجار اللازمة لتماثيل المعبد . وفي طريق العودة إنضم حنو إلى رجاله وأحضروا معهم البخور وأحجار التمثال أما قبر الملك متتوحتب سعنخ كارع فقد عثر عليه في وادي بالجبل الغربي بطيبة إلى الجنوب الغربي من الدير البحري ولكنه للأسف لم يكمل .

الملك متوحتب الرابع نب تاوي رع :

يذكر كاتب بردية تورين أن بعد الملك متوحتب سعنخ كارع أتت فترة تقرب من سبع سنوات بدون ملوك ويبدو أن من بين حكام هذه الفترة الملك متوحتب الرابع نب تاوي رع الذي لم يعترف به كاتب بردية تورين كملك شرعى للبلاد فى ذلك الوقت وكل معلوماتنا عن هذا الملك أتت من مصدرين الأول هو النقوش الموجودة بمحجر بوادى الحمامات والثانى هو النقوش الموجودة بوادى الهدوى (جنوب شرق أسوان بمسافة ٢٧ كم) . . . فعلى الرغم من أنه حكم فترة لا تزيد عن عامين إلا أنه اهتم بإرسالبعثات إلى هذين التجارين لقطع أحجارها الجرانيت من وادى الحمامات وأحجار الجمنت من وادى الهدوى . ومن أهم الأحداث فى عهده أنه أرسل فى العام الثانى من حكمه وزيره المسمى أمنمhabit ليقطع له الأحجار اللازمة لتابوت من محاجر وادى الحمامات ومعه ١٠٠٠٠ رجل وقد ترك لنا الوزير أمنمhabit نقوشاً تقص علينا بأن هناك أكثر من معجزة قد حدثت فى ذلك العهد : فالمعجزة الأولى فى رأيه هي أن غزالاً عشاراً قد إنجهت إليه دون خوف ثم جأت بعد ذلك إلى مكان معين ووضعت ولیدها فيه فاعتبرها الرجال معجزة نبهتهم إلى المكان المناسب لقطع أحجار التابوت اللازمة للملك ، أما المعجزة الثانية فقد حدثت بعد مرور ثمانية أيام على المعجزة الأولى ، وتتمثل المعجزة الثانية فى نزول مطر غزير فى وقت كانوا فيه فى أشد الحاجة إلى الماء بعد أن عز عليهم العثور عليها فى مسالك الصحراء كما تكشف لهم عن بئر كبيرة عميقها ١٠ أذرع (الذراع ٥٢ سم) وقطرها ١٠ أذرع ملائمة بالماء العذب حتى حافتها ويفكك الوزير أمنمhabit

الفصل السادس : الدولة الوسطى الأسرتان الحادية عشرة والثانية عشرة

بأن هذه معجزة بدليل أن هذا البشر . لم يكتشف لأحد من قبل على الرغم من مرور أعداد غفيرة من الرحالة قبله .

ويعتقد الكثير من علماء الآثار بأن الوزير أمنمحات هذا هو الذي ظهر لنا بعد ذلك كمؤسس للأسرة الثانية عشرة وإتخذ اللقب الملكي ، أمنمحات ساحتب أب رع ، بمعنى المسبب الرضا لقلب رع ويعتقد جاردنر أنه ربما قام بمؤامرة لانتزاع الحكم وما يؤكد هذا الغرض هو ذلك العدد الضخم من الرجال الذي أخذه معه لإنضمار الأحجار اللازمة لتابوت الملك الذي يكفي لإنضمارها بضع مئات من الرجال وليس ١٠٠٠ كما ذكر ، جمعها غالباً للقيام بعمل آخر هو الإستيلاء على الحكم بعد وفاة منتوحب الرابع وقام بتأسيس أسرة جديدة هي الأسرة الثانية عشرة .

الأسرة الثانية عشر : (من ١٩٩١ إلى ١٧٨٦ ق.م.)

حكمت هذه الأسرة ما يقرب من قرنين ، وت تكون من مجموعة من الملوك إشتهروا باسم أمنمحات وسنوسرت على التوالي . وهذا هو الترتيب المفضل للملوك هذه الأسرة .

أمنمحات الأول - سنوسرت الأول - أمنمحات الثاني
سنوسرت الثاني - سنوسرت الثالث - أمنمحات الثالث - أمنمحات الرابع
- الملكة سبك نفرو .

الملك أمنمحات الأول

في عام ١٩٩١ ق.م. يستولى الوزير أمنمحات على الحكم وإتخذ لنفسه لقب ساحب أب رع أي المسبب الرضا لقلب رع وفي نفس الوقت إحتفظ باسمه الأصلي المعروف لنا وأسس الأسرة الثانية عشرة وأصبح يعرف باسم الملك أمنمحات الأول وإن كانت ظروف إستيلائه على العرش لازالت حتى الآن أغامضة وإن كنا نعتقد أنه لا يمت للدم الملكي بصلة بل كان رجلاً عصاميًّا من الشعب قابل الكثير من المصاعب وقابلها بحدة ذكاؤه . كما نعرف من البردية المحفوظة في متحف لينجراد والمعروفة لنا باسم تنبؤات «نفرتي» والتي ترجع إلى أوائل هذه الأسرة وإلى عصر هذا الملك بالذات والتي كتبت - أغلبظن - كدعائية سياسية لحماية الملك أمنمحات الأول إذ أراد الكاتب أن يقنع أفراد الشعب بأن إستيلاء هذا الفرعون على الحكم هو تحقيق لتبوءة ثمت في عهد الملك سنفرو الذي طلب من رئيس كهنة الآلهة باست الكاهن «نفرتي»

أن يحيطه علماً بما سيحدث في المستقبل فبشر الكان له بأن الفوضى سوف تعم البلاد ثم ينقذها الملك أمنمحات الأول .

وذلك فقرة من هذه البردية^(١) :

«سوف يظهر ملك من أهل الجنوب يدعى أميني ، ابن سيدة من تاسنی ، يولد في الصعيد ، ولسوف يتلقى التاج الأبيض ويتووج بالتاج الأحمر» .

«فيسعدوا إذن يا أهل عصره ، ولسوف يعمل ابن الإنسان على تخليد سمعته إلى الأبد . ولن يستطيع حينذاك أن يدخلوا مصر ، عنوة . وإنما سوف يستجدون الماء منها كمالوف عادتهم . ولسوف يستقر الحق في نصايه ويزهرق الباطل . سعيد من رأه وخدمه » .

يعني آخر أن اختيار الملك أميني (وهو إسم مختصر لأمنمحات الأول) تم بإرادة الآلهة وبفضيلهم لإنقاذ مصر مما كانت فيه من فوضى في نهاية الأسرة الحادية عشرة .

إنتشل الملك أمنمحات مصر من الفوضى التي كانت تعيش فيها في الأيام الأخيرة من حكم الملك متواتحب الرابع وأمر بتنظيم الشئون الداخلية ووضع الحدود بين حكام الأقاليم وجيرانهم ونقل عاصمة الملك من الجنوب (طيبة) إلى الشمال إلى مدينة عرفت لنا باسم «إثت تاوي» أي القابضة على الأرضين

(1) Gardiner, "The Prophecy of NeFerty", JEA, I, 1914, pp. 100-106.

Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London, 1927, pp. 101-110.

وإن كنا لا نعلم تماماً موقع هذه العاصمة ولكن أغلب الظن أنها تقع بالقرب من منطقة اللشت وهي المنطقة التي اختارها الملك أمنمحات مبكاناً لبناء هرمه وذلك لوقعها في قلب الأرضين وقد إهتم الملك في العشرين عاماً التي حكمها بمفرده بالاهتمام بمعابد الآلهة سواء في طيبة أو في تل بسطة أو في مدينة الفيوم وإن كان قد اهتم أكثر بمدينة اللشت إذ اختارها ليشيد مجموعته الهرمية . كما إهتم بالنواحي السياسية والاجتماعية والإدارية في الدولة .

أشرك الملك أمنمحات الأول ابنه سنوسرت الأول في الحكم بعد أن ظل يحكم منفرداً ما يقرب من عشرين عاماً وهنا بدأ الوضع يتغير فقد قام سنوسرت الأول في العام الرابع والعشرين من حكم أبيه أى في العام الرابع من إشراكه في الحكم بحملة حربية إلى فلسطين وفي العام التاسع والعشرين قام بحملة أخرى إلى النوبة لتوطيد نفوذه مصر هناك وفي العام الثلاثين قام بحملة حربية إلى منطقة «تمحو» (ليبيا) وفي طريق عودته متتصراً وصل رسول من القصر يحمل نبأ مقتل الملك أمنمحات الأول . والقصة نعرفها كاملة من بردية سنوهى الذي يحتمل أنه كان على صلة قرابة بالملك والذي فر عندما سمع هذا الخبر إلى فلسطين ومنها إلى لبنان وعاش هناك إلى أن أصبح شيخ قبيلة ولكنه حن في أواخر أيامه إلى العودة لمصر فحقق له الملك سنوسرت الأول هذه الرغبة . ونعرف من بردية سنوهى «أن الملك مات في اليوم السابع من الشهر الثالث من شهور الفيضان في العام الثلاثين» ويرى هيذ أن هذا التاريخ يوافق الخامس عشر من فبراير سنة 1962 ق.م. أى أن سنوسرت ظل يحكم تسعة سنوات مع أبيه في الحكم . هذه النهاية المؤلمة للملك أمنمحات الأول نعرفها أيضاً من بردية عرفت لنا اصطلاحاً باسم نصائح الملك أمنمحات

الأول لابنه⁽¹⁾ . والذى يشرح له فيها أمور الحكم ويوضح له كيف قام الأعداء بقتله ، ولا شك أن البردية قد كتبت بعد موت الملك وقد ظهرت وكأنها على لسانه من العالم الآخر وعلى الرغم من أن موت أمنمحات الأول كان فى عام ١٩٦٢ ق.م. إلا أن البرديات المختلفة التى بها نص هذه النصائح ترجع للدولة الحديثة ويبدو أن هذا النص كان محباً إلى قلوب المصريين لدرجة أنه أصبح يدرس للتلاميذ في الدولة الحديثة . وفي هذه البردية يقص الملك أمنمحات لابنه سنوسرت كيف قام الأعداء بقتله فيقول - من ترجمة للدكتور أحمد فخرى - .

«بعد تناول العشاء وحلول الليل ذهبت للنوم لأنى كنت متعباً وفجأة سمعت قعقة الأسلحة ولقد كنت وحيداً ورأيت إشتباك الحراس مع الأعداء ولو أنى أسرعت وبيدى سلاحى لقاتلتهم هؤلاء الجبناء . ولكن لا شجاع فى الليل ولا قتال من كان وحده ، فلقد حدث ما حدث وأنا وحيد بدونك » . ويتبع الملك فينصصحه ألا يظهر بين رعاياه وحيداً ويوضح له «أن الذى أكل طعامى هو الذى حرض الجنود على والذى أطعنته هو نفسه الذى شجع الثورة» ، وأخيراً يوصيه بالخير ويتمنى له التوفيق .

الملك سنوسرت الأول :

ولا نعرف تماماً ما الذى اتخذه سنوسرت الأول مع المتأمرين الذين إغتالوا

(1) De Buck, The Instructions of Amenemhat, pp. 847-852.

Erman, op. cit., pp. 72-74 .

والده ، ويبدو أنه اتخذ معهم حلاً جذرياً لأنه أصبح بعد ذلك فرعون مصر وحكم ٤٢ سنة وقد أشرك معه ابنه امنمحات الثاني في الحكم قبل وفاته بعامين بالتقريب . ولم يهتم سنوسرت الأول بالحالة الداخلية فقط بل وجه إهتمامه إلى البلاد التي على حدود مصر سواء جنوباً أو شمالاً . وكان قد بدأ غزواته جنوباً عندما كان شريكاً مع والده في الحكم . وفي العام الثامن عشر من حكمه إمتد نفوذه إلى كوش جنوب الشلال الثاني . وكان إهتمام ملوك الدولة الوسطى بالنوبة أولاً لتشييد نفوذ مصر هناك وثانياً الحصول على منتجات هذه البلاد وكان أهمها البحث عن الذهب ، فقد أرسل سنوسرتبعثات لاستغلال المناجم هناك .

كما إهتم بشبه جزيرة سيناء لاحضار الفيروز والنحاس ، ويبدو أن الصلات بين المصريين والآسيويين كانت صلات ودية في ذلك الوقت إذ لم يحدثنا سنوهى الذي عاش هناك فترة من الزمن عن حدوث أي حرب بين مصر والآسيويين . وقد عثر أثناء الحفائر سواء في فلسطين أو في سوريا على أشياء كثيرة مصرية ترجع للدولة الوسطى فقد عثر على سبيل المثال على عقد به خرطوش الملك سنوسرت الأول في مدينة رأس شمرة . وعلى أعداد كبيرة من الجعارين عليها نقش لإسمه في فلسطين .

وفي نهاية حكم سنوسرت الأول نرى أن شمال النوبة من الشلال الأول حتى الثاني أصبح تحت النفوذ المصري . أما آسيا فقد وصلت إلى حل سلمي للتعايش مع مصر ، أما سيناء فقد إمتد فيها النفوذ المصري شرقاً وغرباً للبحث عن مناجم الصخراء . ولا شك أن الحالة الاقتصادية كانت على أحسن ما يرام

في عهد الملك سنوسرت الأول بدليل كثرة ما أبقاءه لنا الزمن من عهده من آثار . إذ عثر على بقايا أثرية من عهده فيما لا يقل عن ٣٥ منطقة أثرية منتشرة بين الأسكندرية والنوبة ولعل من أهم المعابد التي شيدتها معبداً لإله الشمس رع أتون في مدينة عين شمس الذي بدأ تشييده في العام الثالث بعد إنفراه بالحكم . هذا المعبد لم يبق منه الآن غير مسلة واحدة من الاثنين اللذين أقامهما إحتفالاً بالعيد الثلاثي . وفي الكرنك شيد مقصورة جميلة صغيرة وجدت أحجارها كاملة داخل الصرح الثالث الذي شيده الملك أمنحوتب الثالث من ملوك الأسرة الثامنة عشرة وقد أعادت هيئة الآثار تشييدها هناك ويبعد أنها كانت مخصصة لاحتفالات عيد «السد» أو لاستراحة سفينة الإله آمون رع أثناء الاحتفالات الخاصة به .

وقد شيد سنوسرت الأول هرم في منطقة اللشت إلى الجنوب من هرم أبيه أمنمحات الأول .

الملك أمنمحات الثاني :

إشترك مع أبيه في الحكم فترة تزيد عن سنتين وظل يحكم منفرداً بعد ذلك ٣٢ سنة ، ولقد كانت حالة البلاد آمنة في عهده سواء في الداخل أو في الخارج وذلك بفضل ما قام به أبوه وجده من نشاط حربي وعماري . ويبعد أن مركز مصر في الخارج كان قوياً إذ لم يقع في أيدينا حتى الآن أى نص يدل على حدوث أي حرب في عهده .

وقد ظلت النوبة مفتوحة في عهده للبعثات الملكية لاستغلال مصادرها كذلك كانت هناك صلات ودية بين فرعون مصر وأمراء سوريا إذ عثر هناك على

أشياء عديدة تحمل إسم الملك وبعض أفراد عائلته ولعل أهمها ذلك التمثال الذي وجد في رأس شمرة كما اهتم الملك باستغلال مناجم شبه جزيرة سيناء . كما عثر في أرضية معبد الإله متتو في بلدة الطود جنوب الأقصر على أربعة صناديق صغيرة للحلوي من البرونز يحمل كل منها إسم الملك وأدواته مطعمة بالذهب بجانب قطع فضية وأختام بابلية وأواني ذهبية . وليس هناك ما يثبت أن هذه الأشياء غنائم حرب بل ربما كانت هدية أحد أمراء سوريا للفرعون المصري إذ أن أغلب هذه الأشياء يغلب عليها الطابع الآسيوي .

وقد شيد أمنمحات الثاني مجموعته الهرمية في مدينة دهشور . وقد نالت هذه المدينة شهرة خاصة في القرن الماضي إذ عثر العالم الأثري دي مورجان فيها على مجموعة رائعة من المجوهرات التي تشهد على دقة الصناعة والذوق الفني وبراعة الصانع المصري في ذلك الوقت ، جزء من هذه المجوهرات كان يتبع للأميرتين خنومت وايتا ومجموعة المجوهرات هذه معروضة الآن بالمتحف المصري .

الملك سنوسرت الثاني :

ابن أمنمحات الثاني ، ولقد إشترك مع أبيه في الحكم عامين ثم بعد ذلك حكم ١٩ سنة منفرداً . ولقد إتبع سياسة أبيه سواء الداخلية أو الخارجية ويبدو أنه فضل كأبيه حياة السلام فلم تصل إلى أيدينا نصوص تدل على أنه قام بحروب سواء في أفريقيا أو آسيا وقد إكتفى باستغلال المناجم والمحاجر سواء في سيناء أو وادي الحمامات وقد إهتم بمنطقة الفيوم وأقام فيها مشروعات رى وقد شيد هرمه عند اللاهون عند مدخل الفيوم ويبعد أنه لم يهتم بالتقاليد

الثابتة التي اعترف بها من قبله في الدولة القديمة والوسطى في تشيد الهرم إذ جعل مدخله في الواجهة الجنوبيّة (وهو غالباً في الواجهة الشمالية) مما سبب للعالم الآخرى بترى التي قام باكتشافه في عام ١٨٨٨ بعض المتابعين للوصول إلى الطريق الموصل للمدخل . وفي الناحية الجنوبيّة من الهرم وجدت أربع مقابر خصصت لدفن أفراد من أهل بيته وقد كشف بترى ومساعده جي برنتون عام ١٩١٢ في إحدى هذه المقابر مجموعة من الجواهر وأشياء شخصية للأميرة «سات حتحور إيونت» صاحبة هذه المقبرة وهي مجموعة لها قيمتها مثل مثيلاتها التي سبق العثور عليها في دهشور . هذه المجموعة محفوظة الآن - ما عدا القليل منها المعروض في المتحف المصري - في متحف المتروبوليتان بنيويورك .

وبموت سنوسرت الثاني عام ١٨٧٨ ق.م. إنّهت فترة مشرقة من التاريخ الفرعوني قام بها الملوك الأربع لهذه الأسرة بتوحيد مصر إقتصادياً وسياسياً وإجتماعياً وحاولوا ما استطاعوا تجنب الحروب مع جيرانهم وكان للفرعون في ذلك الوقت هيئته في كل مكان .

الملك سنوسرت الثالث:

ابن سنوسرت الثاني ، لم تتع له الفرصة لمشاركة والده في الحكم وقد حكم مصر فترة تصل إلى ٣٥ عاماً يستطيع فيها أن يقضى نهائياً على نفوذ حكام الأقاليم بعد أن زادت ثروتهم ونفوذهم ، فجردهم من ألقابهم التي كانت أرثاً لهم من بعدهم . وعراهم من مزاياهم فأصبحوا موظفين لا أكثر ولا أقل وبهذا عادت مصر هيبة الملك الحاكم وقدسيته .

بذل سنوسرت الثالث جهداً كبيراً ليؤكد سلطانه في النوبة فقام - بعد أن مهد بشق قناة في صخور الجندل الأول هناك - بأربع حملات تأديبية لسحق بلاد كوش وقد انتهت هذه الحملات بضم النوبة نهائياً لمصر وأصبحت بلدة سمنة جنوبى الجندل الثاني تمثل حدود مصر الجنوبية وأطلق على قلعة سمنة الموجودة هناك اسم «قوى (الملك) خع كارع» وهو إسم العرش للملك سنوسرت الثالث وأصبحت هى وقلعة قمة المقابلة لها على الضفة الشرقية تحكمان في المرات النهرية والبرية على حدود مصر الجنوبية .

وعلى لوحة تعرف إصطلاحاً بلوحة الحدود أصدر مرسوماً في العام الثامن من حكمه يمنع أهالى النوبة جنوبى منطقة سمنة أن يتخطوها شمالاً إلا إذا أتوا للتجارة أو بسبب عمل مشروع ، وكان على الدوريات المقيمة هناك بالإبلاغ عن أي تحركات مشبوهة للقبائل في هذه المنطقة .

وختتم مرسومة بقوله «أن أيّاً من أبنائي يحافظ على هذه الحدود التي أقرها جلالتي فإنه إبني وولد مني . وأما من يدمّرها ويفشل في الحفاظ عليها فليس ابنا لي ولم يولد مني» .

ونعلم أن الملك تحتمس الثالث أحد ملوك الأسرة الثامنة عشرة يعتبر الملك سنوسرت الثالث إليها حامياً لمنطقة النوبة وذلك بعد أن شاهد كل ما قام به من أعمال هناك . أما في الشمال الشرقي فقد قام سنوسرت أيضاً بحملات لتعزيز سلطان مصر سواء في فلسطين أو سوريا .

ومات سنوسرت الثالث بعد أن شيد هرمه في دهشور⁽¹⁾ ومصر في أوج مجدها وأصبحت بفضله في مأمن من الغزوات الجنوبية والشرقية . كما كان لقضائه على سطوة حكام الأقاليم أكبر الأثر في عودة المركزية للدولة ولقدسية الملك .

الملك أمنمحات الثالث :

كان لكل ما قام به والده سنوسرت الثالث سواء في الداخل من إصلاحات أو في الخارج من حروب الأثر في حياة الرخاء والسلام التي عاشها ابنه أمنمحات الثالث كملك لمصر واستمرت ٤٥ عاماً وبها كلها للنواحي الاقتصادية لنفعة البلاد .

فقد إهتم بإرسال البعثات إلى مناجم سيناء لاستغلال النحاس والفيروز إذ عثر هناك على أكثر من ٥٩ نقشاً سجلها رؤساء العمال هناك باسمه وترجع لعهده . كذلك أرسل البعثات إلى محاجر وادي الحمامات لاستخراج حجر البارزات وإلى محاجر طرة لاستخراج الحجر الجيري الأبيض وإلى النوبة لاستخراج الذهب .

وإهتم أيضاً بمشروعات الري فأكمل ما بدأه جده سنوسرت الثاني من إصلاح للأراضي التي تغمرها بحيرة ميريس Moeris (قارون حالياً) فأقام الجسور لتحديد البحيرة وأمر بتجفيف مساحات كبيرة من الأرض (٢٧ ألف فدان بالتقريب) لاستخدامها في الزراعة كما فكر في الاستفادة من المياه الزائدة

(1) Gardiner, Op. Cit., p. 144 .

- Vandier, "Reflexions Sur L'Histoire de La XII Dynastie", Revue Historique, 1958, p. 18 FF.

وذلك بتخزينها في البحيرة وتوجيهها في أيام التحارات إلى مجرى النيل وذلك بواسطة فتحات في سدود تفتح عند الحاجة إليها .

شيد الملك أمنمحات هرمين له - كما فعل سنفرو من قبل - الأول في دهشور والثاني في هوارة بالقرب من الفيوم . وكان للمعبد الجنزى لهذا الهرم شهرة واسعة في العصرين البطلمي والروماني وذلك لعظمته وتعدد حجراته فأطلقوا عليه اسم الابيرانت^(١) نسبة إلى قصر الابيرنت الذي أقامه الملك مينوس في كносوس بجزيرة كريت . إلا أن تدمير المعبد الجنزى الكامل كان العقبة الكبرى في سبيل الحصول على تفاصيل وتحطيم هذا المعبد .

وبموت أمنمحات الثالث إنتهت فترة مشرقة من تاريخ مصر وتولى الحكم بعده ابنه الملك أمنمحات الرابع الذي حكم طبقاً لبردية تورين ٩ سنوات وثلاثة شهور و ٢٧ يوم ولا نعرف بالضبط الفترة التي قضتها مع والده شريكاً في الحكم ثم أتت بعده أخته الملكة سبك نفرو وحكمت ثلاث سنوات وقد وجد إسمها على العديد من الآثار التي ترجع إلى هذه الفترة . وهكذا نرى أن الملكة سبك نفرو هي المرأة الثانية التي إستطاعت بعد نيتوكريس - أن تجعل من نفسها، ملكة مصر العليا والسفلى ، وبعدها إنهاارت الأسرة الثانية عشرة وبالتالي الدولة الوسطى^(٢) .



(١) Gardiner-Bell, "The Name of Lake Moris", JEA, 29, 1913, pp. 37-50.

- Vercouter, Op. Cit., 370 F.

- Petrie, Kahun, Gurob and Hawara, London, 1890, Pls. 25,27, Pls, 4-11.

(٢) أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٢٣٢ ، ٢٣٣ .

الفصل السابع
الفترة الانتقالية الثانية
أو عصر اللامركزية الثاني
الأسرات من الثالثة عشرة
حتى السابعة عشرة
من ١٧٨٦-١٧٦٧ ق.م.

الفصل السابع

الفترة الانتقالية الثانية أو عصر اللامركزية الثاني الأسرات من الثالثة عشرة حتى السابعة عشرة

من ١٧٨٦ إلى ١٥٦٧ ق. م.

تعرضت مصر منذ الأسرة الثالثة عشرة وطوال قرنين أى حتى الأسرة السابعة عشرة للضعف وللإنحلال وإجتازت فترة أخرى مظلمة أشد من التي إجتازتها أعقاب الدولة القديمة فتحكم فيها ملوك ضعاف أسسوا الأسرة الثالثة عشرة وهي أسرة تكونت في رأي مانيتون من ٦٠ ملكاً حكموا في طيبة فترة ٤٥٣ سنة تلتها الأسرة الرابعة عشرة وتكونت في رأي مانيتون من ٧٦ ملكاً وإنخذلوا من مدينة سخا في غرب الدلتا عاصمة لهم وحكموا ١٨٤ سنة أما الأسرة الخامسة عشرة فيرى أفيكابوس نقاً عن مانيتون أنها تكونت من ستة ملوك فقط أطلق عليهم اسم الهكسوس وحكموا فترة ٥١٨ سنة أما الأسرة السابعة عشرة فقد حكم كل من ملوك الهكسوس شمالاً وملوك طيبة جنوباً وعددهم ٤٢ ملكاً مدة ١٥١ سنة . وقد أغفلت كل من قائمة سقارة وقائمة أبيدوس هذه الفترة أما بردية تورين فقد ذكرت بعض ملوكها وأسقطت البعض الآخر^(١) .

1 - Hayes, Egypt. From the Death of Ammenes III to Seqenenre I, CAH, PAR 2,
CAMBRIDGE, 1937 .

- Gardiner, Op, Cit., pp. 141-149.

من الملاحظ أن فترة الحكم التي أعطتها مانيتون للفترة الانتقالية والتي وصلت في رأيه إلى ١٥٩٠ عاماً والتي قام بالحكم فيها عدد من الحكام وصل عددهم إلى ٢١٧ حاكماً تزكى لنا المصاعب التي واجهت مانيتون عند كتابته تاريخ هذه الفترة وهي المصاعب التي واجهت فريق من العلماء والمتخصصين لمعرفة فترة حكم كل أسرة وعدد ملوكها على أنه أصبح في حكم المؤكدة الآن أن الملكة سوبك نفرو آخر ملكات الأسرة الثانية عشرة قد ماتت في عام ١٧٨٦ كما أن الأبحاث الحديثة أكدت أن الملك أحمس مؤسس الأسرة الثامنة عشر تولى الحكم في عام ١٥٦٧ أي أن الفترة الانتقالية الثانية استمرت ما يقرب من ٢٢٠ وهي مقسمة - في رأي هييز - على الوجه التالي :

الأسرة الثالثة عشرة من ١٧٨٦ إلى ١٦٣٣ ق.م. .

الأسرة الرابعة عشرة من ١٧٨٦ بالتقريب إلى ١٦٠٣ ق.م. .

الأسرتان الخامسة والسادسة عشرة (الهكسوس) من ١٦٧٤ إلى ١٥٦٧
ق.م. .

الأسرة السابعة عشرة الطونية من ١٦٥٠ إلى ١٥٦٧ ق.م. .

ومن هنا نرى أن هناك أكثر من أسرة كانت تحكم في جزء من مصر في وقت واحد عندما كانت مصر مفككة العري وليس كما كان يعتقد مانيتون أن كل أسرة من هذه الأسرات كانت تحكم وتتحكم في جميع أنحاء مصر ثم تليها أسرة أخرى جديدة وهكذا .

على أية حال فإنه من الصعب الحديث هنا في هذه الفترة عن الأسرات

معناها التاريخي المفهوم بل في الواقع كان هناك أكثر من مجموعة من الحكام تسابقت - بسبب ضعف مصر - للوصول إلى العرش وأسسوا الأسرة الثالثة عشرة واتخذ أغلبهم اسم سبك حتب كما اشتهر من بينهم ملك عرف باسم نفر حتب وقد عثر على آثار تحمل إسمه في بابل ولعل وجه الأهمية في العثور على إسمه خارج مصر قد يدل أنه حتى تاريخ حكمه لم يدخل الهكسوس فلسطين وسوريا .

الهكسوس :

وحكم الهكسوس مصر في الأسرة الخامسة عشرة وأطلق عليها العالم الألماني أوتو إصطلاح «الهكسوس الكبار» فقد أعطوا لأنفسهم الحق بالإحتفاظ بالألقاب الملكية المصرية ويدو أنهم استطاعوا في البداية السيطرة على جميع أنحاء مصر وانتشرت أسمائهم ونخص بالذكر هنا الملك خيان والملك أبو فيس - من النوبة إلى فلسطين .

ثم بعد ذلك أتت مجموعة أخرى من حكام الهكسوس أطلق عليهم نفس العالم إصطلاح «الهكسوس الصغار» أو الضعاف وهم الذين يتسمون للأسرة السادسة عشرة ولم يستطع هؤلاء السيطرة على جميع أنحاء مصر إذ قام في هذه الفترة بيت حاكم قوى في الصعيد إتخذ من طيبة مقرا له وأسس الأسرة السابعة عشرة وأخذ على عاتقه تحرير مصر من الهكسوس .

قلنا أن الفرضي بدأت تسود مصر في الفترة التي بدأت تظهر في غرب آسيا حركة هجرة قبائل واسعة تتمى إلى العنصر الهندو أوروبي وقد وصل أثراها إلى

مصر وبدأت تشعر بها في أوائل الأسرة الرابعة عشرة وذلك بعد أن استقرت هذه القبائل في سوريا وفلسطين وأخذوا بظهور الحضارة السامية الموجودة هناك وعروفا في التاريخ باسم الـ **الهكسوس** .

فمن هم الهكسوس؟

يقول المؤرخ اليهودي جسيفوس في كتابه « ضد أيبون » ناقلاً عن مانيتون : « أنه في عهد ملك يدعى توتيمايوس لسبب لا أعلمه حلت بنا ضربة من الله وفجأة تقدم في ثقة بالنصر غزوة من الشرق من جنس خامض لاحتلال أراضينا وإستطاعوا بسهولة الإستيلاء عليها بقوتهم دون ضربة واحدة ولما تغلبوا على حكام البلاد أحرقوا مدننا بغيرة رأفة وهدموا معابد الآلهة وعاملوا الأهالي بقسوة . فلدبوا البعض وإتخذوا نساء وأطفال البعض الآخر عبيداً لهم وأخيراً عينوا واحداً من بينهم ملكاً يدعى ساليتس إتخاذ منف عاصمة له وفرض الضرائب على الصعيد والدلتا وكان يترك دائمًا الحاميّات في الأماكن الهامة .. » أما أجنسنهم فقد أطلق عليها الهكسوس بمعنى ملوك الرعاه فإن كلمة هيك تعنى في اللغة المقدسة ملك أما كلمة سوس فتعنى في اللغة العامية راعي » .

والحق يقال أن جزءاً من هذا الإشتباك سليم ونقصد به إشتباك مانيتون . فنحن الآن على يقين من أن كلمة هكسوس قد أتت من الإصطلاح المصري « حقاً خاسوت » بمعنى حكام البلاد الأجنبية وليس ملوك كما قصد مانيتون أما كلمة سوس فربما اختصاراً لكلمة « خاست » بمعنى « بلد أجنبي » .

وقد أتى الهكسوس من الشرق . من آسيا وهم خليط من عدة شعوب وقبائل مهاجرة منها العنصر السامي بجانب عناصر أخرى أهمها الكاسي والخوري وكلا الجنسين من أصل هندو - أوروبي وصل إلى أواسط آسيا ، أما المصري القديم فقد أطلق عليهم مرة « عامو » ومرة أخرى « سنيو » أي الآسيويين . هذا يعني بأن المصريين أنفسهم قد أطلقوا عليهم الأسماء المعروفة لديهم منذ الدولة القديمة والوسطى التي كانوا يطلقونها على جيرانهم من الآسيويين ، بمعنى آخر لم يعتبرهم جنس آخر كما يدعى مانيتون .

حكم الهكسوس :

هناك مصدران يمكن الاعتماد عليهما لدراسة هذه الفترة . الأول ما نعرفه عن مانيتون والثاني ما أخرجته الحفائر سواء في مصر أو خارجها من آثار تنتهي لهذه الفترة .

فمثلاً نعرف من معبد منحوت في الصخر للملكة حتشبسوت من الأسرة الثامنة عشرة في بني حسن جنوب المينا ويعرف باسم إسطبل عتبر أنها أقامت ما تهدم في الوقت الذي يحكم فيه الآسيويون في مدينة « حت وعرت » (وهي المدينة التي أطلق عليها الإغريق إسم أفاريس وتقع إلى الجنوب من تانيس (صان الحجر) بما يقرب من 12 ميل في الشمال « وكانوا يعيشون في الأرض فساداً . محظمين ما كان قائماً . إنهم كانوا يحكمون دون الإعتراف بسلطان الآلة رع ، ولم تنفذ لرع رغبته الإلهية حتى عهدى العظيم » .

(1) Gradiyer, JEA, 32, 1947, pp. 41 FF.

من هنا نرى أن النصوص المصرية قد بالغت في تصوير قسوة الهاكسوس ومقدرتهم على التخريب وعدم الإعتراف بالأله رع علماً بأن إسم رع وجد في الكثير من أسمائهم مثل عاoser - رع ، Neb Khenshu و عاقنون رع ، هذا بجانب إسمهم الأول أبو فيس .

وقد إنصبوا عبادتهم على الآلة سوتخ أحد مظاهر الأله ست المصري المعروف لنا منذ الأسرة الأولى الفرعونية . ونحن نعرف من اللوحة المعروفة اصطلاحاً باسم «لوحة عام ٤٠٠» والتي وجدتها مونتيه في حفائره في صان الحجر أن عليها نص يذكر الاحتفال بمرور ٤٠٠ عاماً على بناء معبد الأله ست في مدينة حت وعرت . ولا شك أنه حدث تطور لعبادة الأله ست في عهد الهاكسوس أن رأوا فيه صورة أخرى للأله الآسيوي بعل أو رشب . وقد حدث هذا الاحتفال بمرور ٤٠٠ عام على بناء معبد الأله ست في عام ١٣٢٠ ق.م. بالتقريب في عهد الملك حور محب من الأسرة الثامنة عشرة كما هو واضح على اللوحة نفسها . وبعملية حسابية بسيطة أى بإضافة ٤٠٠ عام إلى ١٢٢٠ نصل إلى عام ١٧٢٠ ق.م. وهو أغلب الظن بداية سيطرة الهاكسوس على مصر . وقد أمر الملك رمسيس الثاني من ملوك الأسرة التاسعة عشرة بإقامة هذه اللوحة هناك . تخليداً لهذه الذكرى .

وكان من أسباب تفوق الهاكسوس على المصريين استخدامهم للحصان والعربة وأنواع مميزة من السيف والخناجر ، هذا بجانب الدروع التي يلبسونها فوق أجسامهم ، كما أحضر الهاكسوس معهم نوعاً جديداً من الأقواس وهو ما يعرف في - رأى ولسن - بالقوس المركب وهو مصنوع من طبقات من الخشب

فيتمكن به الرمى إلى مسافات بعيدة وبقوة أشد من القوس المصري المعروف في ذلك الوقت ، كما كان لتجمعهم في معسكرات محصنة أكبر الأثر في حمايتهم ضد المصريين الذين كانوا أقل منهم تسلحاً .

وقد وصل عدد ملوك الهكسوس - في رأى مانيتون - في هذه الفترة ٨١ ملكاً أغبلها وجد منقوشاً على جمارين ومن أشهر ملوك الهكسوس الملك خيان ويبدو أنه حكم فترة طويلة وإن كانت فترة حكمه في برديه سورين يصعب قراءتها لعدم وضوحها . وقد حكم طبقاً لما ورد في تاريخ مانيتون ٥٠ عاماً وقد عثر له على آثار كبيرة نقش عليها إسمه سواء في مصر أو خارجها إذ وجد مثلاً في كносوس غطاء إناء عليه خرطوشة بالكامل «الإله الطيب ، ابن رع ، خيان» كما عثر على تمثال صغير لأسد من الجرانيت يحمل إسمه في بغداد ، وعلى ختم إسطواني في أثينا . على أن هذه الآثار رغم إنتشارها في أماكن عديدة قد لا تدل على إنتشار حكم الهكسوس في هذه الأماكن لأن أغلبها سلع صغيرة يمكن حملها من مكان إلى مكان وقد تدل في نفس الوقت على حركة تجارية واسعة إنتشرت في العصر المتأخر من حكم الهكسوس^(١) .

تحرير مصر من الهكسوس :

استمر المصريون يدفعون الضريبة إلى ملوك الهكسوس وفي نفس الوقت بدأت تستولى عليهم روح وطنية خالصة لتحرير مصر من وباء الهكسوس وذلك بعد أن تعلموا إستعمال المعدات والأسلحة الجديدة ومقاومتها وبدأت حرب التحرير تحت قيادة حكام طيبة الذين أحسوا بقوتهم وبقوة من معهم من أفراد

(1) Save - Soderbergh, The Hyksos Rule in Egypt", JEA, 17, 1951, p. 59 FF.

الشعب ويبدو أنهم عقدوا تحالفًا مع زعماء مدينة الأشمونين في مصر الوسطى وذلك للقضاء على الهكسوس .

ونعرف من بردية ساليه رقم ١ من عصر الرعامة أن الملك سقنتنre الثاني أحد ملوك الأسرة السابعة عشرة كان حاكماً قوياً في طيبة بينما أبو فيس كان يحكم في أفاريس ويحصل على الضريبة من أجزاء مصر المختلفة وقد أرسل أبو فيس للملك سقنتنre الثاني رسولاً يوضح له أن صوت أفراس النهر في طيبة تقلق نومه وهو في قصره في أفاريس ويطلب منه إسكاتها كما يطلب منه أيضاً ضرورة عبادة الآله الآسيوي سوتخ بدلاً من تعبده للأله المصري آمون رع ، وقد فكر سقنتنre الثاني فعامل الرسول معاملة حسنة ثم جمع كبار رجاله واستشارهم^(١) . وللأسف لا نستطيع تكملة النص إذ أن البردية مهشمة بعد ذلك وإن كانت مومياء سقنتنre الثاني الموجودة بالتحف المصرية خير دليل على أن صاحبها - أغلبظن - قد مات متأثراً بجرح في ججمنته نتيجة لحرب التحرير التي خاضها ضد الهكسوس وتتابع الجهاد بعد الملك سقنتنre الثاني ابنه كامس كما هو واضح من النصوص المصرية القديمة . نذكر منها هنا نصين أو بالأصح نص واحد كتب بخطين أحدهما على لوحة حجرية والآخر على لوحة خشبية ، الأول وهو منقوش بالخط الهيراطيكي على لوحة حجرية عشر عليها في حفائر الصرح الثالث بمعابد الكرنك في عام ١٩٢٥ وترجع للسنة الثالثة من حكم الملك كامس . الثاني عبارة عن النص السابق قام بنسخه أحد التلاميذ بالخط الهيراطيكي على لوحة خشبية تعرف باسم كارنفون رقم ١ ويبدو أن هذا التلميذ لم يكن مجتهداً فالنص به أخطاء لغوية عديدة .

(١) Gardiner, Late Egyptian Stories, Parag. 5 FF.

ويبدأ نص لوحة كارنوفون بالتاريخ الذي يذكر السنة الثالثة من حكم الملك كامس ثم بعد ذلك يتساءل الملك في حديث له مع كبار رجال الدولة : «أريد أن أعرف ما هي فائدة قوتي فهناك ملك في أفاريس وأخر في كوش وها أنا ذا أحكم بين أسيوي ونبي وكل منا يحكم جزء من مصر وأنا لا أستطيع الوصول إلى منف لأنه (أى ملك الهكسوس) يحتل مدينة الأشمونيين ، والتعب أحل بالناس بسبب خدمتهم للأسيويين ، سأحاربه حتى أبقر بطنه ، إن رغبتي هي أن أنفذ مصر وأسحق الأسيويين» .

وكان رد كبار رجال الدولة مفاجأة للملك إذ دل على التراخي والحرص المبالغ فيه إذ قالوا «أن احتلال الأسيويين إمتد حتى مدينة القوصية ولكننا مطمئنون هنا في مصر .. أما إذا جاء أحد وحاربنا فإننا سوف نقاومه» ، فحزن الملك من مستشاريه وتآثر من ردهم الذي يدل على جبنهم وتهاونهم في حق مصر وأعلن تصميمه على إنقاذ مصر وإستعادتها كلها ، وعندئذ يبدأ الحديث بضمير المتكلم على لسان الملك كامس فيقول «أبحرت شمالاً في عزم وقوة للقضاء على الهكسوس متذلاً لأمر الإله آمون» ويبدو أنه بدأ ببصر الوسطى ليظهرها من أذناب الهكسوس فهجم على أحد الحكام التابعين لهم في إقليم الأشمونيين ويستمر النص على لسان كامس في يقول لقد «هزته ودمرت جدرانه وذبحت رجاله .. وكان جنودي كالأسود مع فريستهم فاقتسموا فيما بينهم ممتلكاتهم فأصبح لهم عبيداً وماشية ولبناً ودهناً وعسلًا وإمتلأت قلوبهم بالفرحة» .

ويتهى نص اللوحتين الحجرية والخشبية فجأة ولكنه أعطانا صورة واضحة للبداية الفعلية للحرب ضد الهكسوس غير أن تكملة قصة الجهاد ضد الهكسوس ظهرت على لوحة حجرية أخرى تعرف باسم لوحة كامس عشر عليها رجال الآثار عام ١٩٥٤ بالقرب من الصرح الثاني بمعابد الكرنك وذلك أثناء القيام بإجمالي الترميم هناك وكانت هذه اللوحة ضمن أحجار الأساس الموجودة تحت التمثال الضخم للملك بانجيم أحد فراعنة الأسرة الحادية والعشرين .

ويذكر النص المنقوش على هذه اللوحة الهزيمة التي لحقت بالآسيويين على يد جيش مصر «لقد دمرت مدنهم وحرقت ديارهم حتى أصبحت تلالاً حمراء بسبب التخريب الذي ألحقوه بمصر» .. ثم يستمر كامس في الحديث ويلقى الضوء على نقطة هامة في تاريخ الحياة السياسية في مصر ، «لقد قبضت على أحد رسلي متوجهًا - عبر الواحات - إلى الجنوب إلى كوش حاملاً رسالة مكتوبة قال فيها «حاكم أفاريس عا وسر رع ابن رع أبو فيس تحية لك يا إبني حاكم كوش . ألم ترى ماذا فعلت مصر ضدك أن حاكهما القوى كامس قضى على في أرضك ، أحضر فوراً إنك هنا عندك ولن أتركك يعود حتى تأتى ونقسم مصر بيننا ونحتفل بالنصر» .

وبعد أن علم كامس ما كان يدبره له ملك الهكسوس أرسل حملة عسكرية إلى الواحات البحريّة فقطعت الطرق الموصولة إلى مصر الوسطى وعاد هو إلى طيبة فاستقبلوه استقبال القائد المنتصر .

على أن تحرير أفاريس عاصمة الهكسوس لم يتم على يديه ، فقد مات

الفصل السابع : الفترة الإنقالية الثانية أو عصر اللامركزية الثاني

كامس وان كنا لا نعرف تماماً ما الذي حدث له فحمل رأيه الجهاد أخيه أحمس وإستطاع أن يطرد الهكسوس من جميع أنحاء مصر .

إذ نعرف من نص منقوش على جدار أحد مقابر منطقة الكاب بالقرب من أدفو وهى مقبرة أحد قواده المعروف باسم أحمس ابن السيد إبانا الغزوات التي قامت بها مصر ضد الهكسوس للقضاء التام عليهم تحت قيادة أحمس وبعد أن سقطت العاصمة أفاريس طاردهم أيضاً حتى فلسطين⁽¹⁾ .

وإنها الفترة الإنقالية الثانية التي استمرت أكثر من قرنين ، ذاقت فيما مصر مرارة الاحتلال وحلوة النصر .



(1) Gardiner, JEA, 3, 95 FF, 5, 45 FF .

- Lacau, ASAE, 39, 245 FF .

الفصل الثامن
الدولة الحديثة
أو عصر الامبراطورية
من ١٥٦٧ إلى ١٠٨٥ هـ

**الفصل الثامن
الدولة الحبيبة
أو عصر الامبراطورية
من ١٥٦٧ إلى ١٣٢٠ ق.م**

تشمل الدولة الحبيبة الأسرات من الثامنة عشرة إلى العشرين . وقد استمرت ما يقرب من خمسة قرون ، ويطلق عليها أيضًا عصر الامبراطورية المصرية .

الأسرة الثامنة عشرة من ١٥٦٧ إلى ١٣٢٠ ق.م

لأنعرف الأسباب التي دعت مانيتون أن يبدأ أسرة جديدة مؤسسها الملك أحمس طارد الهكسوس على الرغم من كونه أخاً للملك كامس ، آخر ملوك الأسرة السابعة عشرة وأحد أبطال الجهاد ضد هؤلاء الغزاة . ولعل السبب الذي دعى مانيتون أن يبدأ بالملك أحمس أسرة جديدة ، هو أنه أنهى عصرًا قاتماً وبدأ عصرًا جديداً مزدهراً ، بعد أن ظهر البلد من وباء الهكسوس . وقد نشأت الأسرة الثامنة عشرة في طيبة وإستمرت أكثر من قرنين . ويفضل الترتيب الآتي لملوك هذه الأسرة .

- أحمس الأول - أمنحوتب الأول - تحتمس الأول - تحتمس الثاني -
- الملكة حتشبسوت - تحتمس الثالث - أمنحوتب الثاني - تحتمس الرابع -

أمنحوتب الثالث - أمنحوتب الرابع (أختناتون) - سمنخكارع - توت عنخ آمون - آى - حور محب .

الملك أحمس الأول من 1570 إلى 1546 ق.م

بعد أن قضى أحمس على الهكسوس وتبعهم حتى فلسطين وحرر البلاد منهم فكر في القضاء على نفوذ حكام الأقاليم وعلى قوتهم التي أصبحت خطراً يهدد وحدة مصر ، وذلك بعد أن عاصر حكام مملكة كوش في النوبة الذين كانوا في طريقهم للتحالف مع الهكسوس للفضاء على القوة الوطنية في مصر . ولهذا اتجه أحمس على رأس جيشه إلى الجنوب للقضاء على الثوار في النوبة . فعادت النوبة إلى مصر بما فيها من خيرات تمثل مناجم الذهب ومحاجر الديوريت ، كما أعاد تشييد الحصون هناك ونخص بالذكر هنا حصن بوهين عند الجندي الثاني ، وبهذا نجح أحمس في إعادة الأمن والطمأنينة هناك .

وقد ظهر في عهده - للمرة الأولى في التاريخ الفرعوني - لقب «نائب الملك في كوش» الذي تبلور بعد ذلك وأصبح «ابن الملك في كوش» وهي وظيفة أمر الملك أحمس يأشرأها ليكون له ممثل هناك مسئول عن هذا الإقليم وحمايته وإبلاغ الملك بكل ما يدور هناك من أحداث هامة .

وأقام أحمس حكمه على النظم العسكرية وشجع أفراد الشعب على الدخول في سلك الجندي فأحبواها بل ووجدوا فيها مجالاً للترقى بالجهد الشخصي وليس بالحسب والنسب ، وبهذا وضع أحمس الأساس الأساسية لأول جيش مصرى منظم ، وكرس فترة حكمه لإزالة الرواسب التي تركتها الغزاة الأجانب واهتم بالنوافذ السياسية والزراعية والإدارية والدينية في

الداخل ، فأعادة النظام والأمن والطمأنينة في البلاد وفي نفوس المواطنين .

إهتم أحمس بالوراثة الشرعية للسلالة الملكية ، فظهر في عهده أيضًا للمرة الأولى - لقب « الزوجة الألهية لأمون » وكان يطلق على زوجة الملك وأم أولاده التي تقوم بدور ديني مقدس في المعبد . وعلى هذا أصبح من المفروض أن يكون ولد العهد ابن أميرة ، هي في نفس الوقت بنت ملك وزوجة ملك وإبنة الزوجة الألهية لأمون وأول من اتخذت هذا اللقب هي الملكة أحمس نفرتاري أخت زوجة الملك أحمس وأم الملك أمنحوتب الأول .

وقد استغل أحمس محاجراً جديدةً من محاجر طرة لاستخراج الحجر الجيري لتشييد المعابد والمقاصير المختلفة للألهة في كل من هليوبوليس وأبيدوس والأقصر ، إذ عثر هناك على نص يذكر العام الثاني من حكمه ، ومن هنا نرى إهتمام أحمس بتشييد المعابد لإرضاء الآلهة والقائمين على خدمتها .

لم يعثر للآن على قبره ، على أن الاعتقاد السائد أنه شيد مقبرته في منطقة ذراع أبو النجا في البر الغربي بطيبة بالقرب من أجداده ملوك الأسرة السابعة عشرة ، وقد ظلت ذكراه طيبة بعد موته ، بل ألهه المصريون وكان لعبادته شأن كبير في أبيدوس ⁽¹⁾ .

و قبل أن نترك عهد الملك أحمس الأول يجب الإشارة إلى ثلاثة من سيدات هذه الأسرة ، لعبن دوراً هاماً في حروب التحرير وبعث روح المقاومة في أفراد الشعب وهن :

(1) Otto, Beiträge Zur Geschichte der Stierkult in Aegypten, 1938, PP. 30, 31.

١ - الملكة تتي شري :

هي زوجة الملك سقنتنre تاعا الأول ، وأم الملك سقنتنre تاعا الثاني وأم زوجته « افع حوتb » . والملكة تتي شري ليست من أصل ملكي ، فوالديها من عامة الشعب ، وقد عاشت فترة الجهاد في نهاية الأسرة السابعة عشرة ، فعاصرت زوجها وإنها وحفيدتها الملك كامس وماتت في عهد حفيدها الثاني الملك أحمس الأول . وقد عثر لها على تماثلين في طيبة ، كما أقام لها حفيدها أحمس - الذي ظل وفيا طوال حياته لذكرها - مقصورة في أبيدوس ليخلد إسمها عليها ، عثر فيها على لوحة تذكر أن الملك أحمس أراد تكرييم جدته وتخليل ذكرها ، فأمر بتشييد هرما في الأرض المقدسة بأبيدوس ، وذلك على الرغم من أن لها قبراً ومعبداً جزرياً في طيبة ، كما أمر ببناء مقصورة لها .. « ستحفر بحيرتها وتزرع أشجارها وتثبت قرابينها ويؤودي الكهنة فيها الطقوس الدينية لم يحدث من قبل أن فعل الملوك السابقون شيئاً من هذا النوع لأمهاتهم » .

٢ - الملكة افع حوتb

زوجة الملك سقنتنre تاعا الثاني وأم الملك أحمس الأول ، قامت بعد وفاة الملكة تتي شري بالدور النسائي الأول في الأسرة وذلك قبل أن يتزوج أحمس الملكة أحمس نفتراري .

وتذكر لوحة أحمس الأول التي عثر عليها أمام الصرح الثامن بالكرنك والتي ترجع إلى بداية حكمه ، فقرة كبيرة يجدد فيها الملك أمه ويعظمها بل ويأمر الجميع بتقديسها ، فقد كانت « سيدة المصريين وسيدة جزر

البحر المتوسط .. زوجة ملك وأخت ملك وأم ملك .. العظيمة التي تهتم بشئون المصريين .. هي التي جمعت شمل الجيش وحمت الناس وأعادت الهاجرين وجمعت المهاجرين ، هي التي هدأت ثورة المصريين في الصعيد وهي التي قضت على العصابة في مصر .. الزوجة الملكية إعْج حوتب لها الحياة » .

من النص السابق يتضح لنا الدور الهام التي قامت به الملكة إعْج حوتب لحماية مصر وذلك - أغلبظن - عندما فلت الزمام من أيدي الحكام بعد موت الملك سقنترع الثاني أو بعد موت ابنه الملك كامس . وهناك احتمال بأن إعْج حوتب كانت موجهة لابنها الملك أحمس في بداية حكمه على جميع أنحاء مصر ، بدليل أنها وجدنا نقشا يحمل اسمها بجانب اسمه في بوهين عند الجند الثاني .

٣ - الملكة أحمس نفرتاري

السيدة الثالثة وهي زوجة الملك أحمس الملكة أحمس نفرتاري التي ذكر إسمها ورسمت ونقشت صورتها في أكثر من مكان : في سيناء ، في طرة وفي التوبة ، وعلى أكثر من لوحة ، منها ما وجد في أبيدوس ومنها ما وجد في الكرنك .

ولانعلم الأسباب التي جعلتها تصل إلى مصاف الآلهات هي وإنها الملك أمنحوتب الأول . إذ بدأ المصريون منذ أواخر الأسرة الثامنة عشرة حتى نهاية الدولة الحديثة ينظرون إليها نظرة تعبد وتقديس . وقد أشاد الملك أمنحوتب الأول بها وعظمها وذكرها في نقوشه وأقيم لها معبداً في البر الغربي في طيبة

واعتبرت هي وإنها منحوتب الأول إلهين حاميين للجبانة . كما اعتبرت حامية للفنانين في العصور المتأخرة وأقيمت لها طقوس خاصة بمدينتهم دير المدينة في البر الغربي بطيبة .

الملك أمنحوتب الأول من ١٥٤٦ إلى ١٥٢٦ ق.م

تولى الملك أمنحوتب الحكم بعد وفاة أبيه الملك أحمس ، وقد حكم عشرين عاماً وسبعة شهور طبقاً لما ورد في تاريخ مانيتون قضاها في توطيد أركان مملكته . إذ نعرف من تاريخ حياة القائد المصري أحمس ابن إباجا الذي نقشه على جدران مقبرته بمنطقة الكاب ، أنه عاصر وأشترك في الحروب تحت قيادة كل من أحمس وأمنحوتب الأول وتحتمس الأول ، كما نعرف من هذه النقوش أن الملك أمنحوتب قد قام بحملة عسكرية للقضاء على الثوار في النوبة ، فنعمت البلاد بالهدوء والطمأنينة في عهده .

إتجه بعد ذلك أمنحوتب الأول إلى إقامة المباني الدينية في طيبة من صالات للأعمدة ومقاصير للآلهة ، نذكر منها هنا المقصورة التي أبقى عليها الزمن وهي مصنوعة من الألبستر ، وقد عشر المهندس الفرنسي شفريري على أحجارها كاملة داخل الصرح الثالث بالكرنك . وقد أعاد شفريري بناءها في المنطقة التي يطلق عليها إصطلاحاً « المتحف » وتقع شمالي بعد الفناء الأول بمعابد الكرنك . والمقصورة مخصصة لاستراحة المركب المقدس للآلهة آمون وتتميز المقصورة ببناؤها ومنظارها الجميلة . التي منها ما يمثل موكب المركب المقدس للآلهة آمون رع طيبة .

لأنعرف الأسباب التي دعت المصريين إلى اعتبار الملك أمنحوتب الأول

مؤسسًا لطيبة ، بل أن الفنانين والصناع في دير المدينة اعتبروه حاميًا لهم ورفعوه هو وأمه إلى مصاف الآلهة والآلهات ، وكانت تقدم لهما الدعوات والقراين في المواسم والأعياد .

وقد فضل أمونحوتب الأول منطقة ذراع أبو النجا في البر الغربي بطيبة ليكون مقراً أبدياً له وكان أول من نفذ أسلوباً جديداً يفصل بين المقبرة الصخرية حيث توجد المومياء والمعبد الجنزري حيث تقام الطقوس الجنزية .

ولم ينجب الملك أمونحوتب الأول ذرية من الذكور من زوجته الشرعية الملكية إبعح حوت ، ولكنه أنجب من زوجته الثانية الغير شرعية إبنة تحتمس الذي يستطيع أن يتولى الحكم بعد وفاة أبيه وذلك بزواجه من الوارثة الشرعية للبلاد الأميرة أحمس التي كانت تنتهي أغلب الظن للعائلة المالكة .

الملك تحتمس الأول من ١٥٢٥ إلى ١٥١٢ ق.م

يستولي تحتمس الأول على عرش مصر بعد وفاة الملك أمونحوتب الأول ، على الرغم من أن والدته « سنى سنب » لا يجري في عروقها الدم الملكي ، فلم تكن زوجة شرعية لملك أو إبنة ملك ، ولكنه يستطيع أن يستولى على العرش وذلك بزواجه من الأميرة أحمس التي كانت - كما أوضحتنا من قبل - سيدة من أصل عريق وتنتمي - أغلب الظن - إلى العائلة المالكة . وقد حكم طبقاً لما ورد في تاريخ مانيتون الثاني عشرة سنة وتسعة أشهر .

ونعرف من نقش يرجع للعام الثاني من حكمه وجد على صخرة أمام جزيرة تومبوس عند الجندل الثالث ، أنه قام بحملة عسكرية لتأمين الحدود

الجنوبية وصلت في عهده إلى جنوبى نباتا بمسافة ٢٠٠ كم عند الجندي الرابع وذلك بعد العثور على بقايا قلعة مصرية في كنيسة كورجوس هناك .

بعد ذلك وجه الملك نشاطه إلى أisia الصغرى فتوجه إلى نهرينا وهو الاسم المصري القديم لبلاد النهرين وقاتل الأعداء وأسر العديد منهم ، وعاد بعد أن ترك هناك لوحة حجرية تسجل باسمه هذا النصر ، وقد ورد ذكرها في حوليات الملك تختمس الثالث عند حدثه عن حملته العسكرية الثامنة أنه أقام لوحة حجرية بجانب الملك تختمس الأول هناك .

وإن كانت حدود مصر الجنوبية وصلت في عهد تختمس الأول إلى الجندي الرابع ، فقد وصلت حدودها الشمالية ، لأول مرة في التاريخ الفرعوني ، إلى « المياه التي تجري بالعكس ، منحدرة ناحية الجنوب » وذلك إشارة إلى نهر الفرات الذي يجري من الشمال إلى الجنوب بعكس نهر النيل .

وأهتم تختمس الأول بتشييد المباني الدينية ، فأقام الصرح الخامس بمعابد الكرنك ثم شيد أمامه شرقا صالة ذات أعمدة أوزيرية ثم بعد ذلك شيد الصرح الرابع غربا ثم أقام مسلتين ، مازالت أحدهما قائمة في مكانها حتى الآن .

وكان الملك تختمس الأول هو أول من إتخذ وادى الملوك مقرا لمقبرته الملكية ، وكان في ذلك الوقت منطقة لا يطرقها إنسان أو حيوان ، جدباء ليس بها ماء ولا نبات ، بمعنى آخر تعتبر أحسن مكان لإخفاء المقبرة . وقد تكتم تختمس الأول سر بناء هذه المقبرة تكتما شديداً يدلنا عليه النص الموجود على لوحة في مقبرة المهندس « إنيني » بمنطقة شيخ عبد القرنة بالبر الغربي بطيبة ، يقول النص : « لقد أشرفت على حفرة مقبرة جلالته الصخرية

وحدي ، لا من شاف ولا من سمع » . ولعل الأهمية التاريخية لهذه المقبرة تتلخص في أنها تعتبر بدأة لطراز جديد من المقابر الملكية التي شيدت في وادي الملوك ويطلق عليها إصطلاحاً المقابر ذات المحور الواحد وهي تبدأ بدخل على هيئة سلم منحدر ومنه إلى غرفة غير مستقيم يوصل إلى حجرة مربعة بها سلم آخر يوصل بدوره إلى حجرة الدفن البيضاوية الشكل التي تجده في نهايتها التابوت المصنوع من الحجر الرملي الأحمر ومزين بصورة للآلهة إيزيس عند القدم والآلهة نفتيس عند الرأس وكانت به موبياء تحتمس الأول . (وقد نقلت بعد ذلك إلى مقبرة إبنته حتشبسوت ثم بعد ذلك إلى خبيثة المواميات بالدير البحري) . أما المعبد الجبلي للملك فقد أمر تحتمس الأول بإقامته بالقرب من الأرض المزروعة على البر الغربي لطيبة .

الملك تحتمس الثاني من ١٥١٢ إلى ١٥٠٤ ق.م

تولى العرش الملك تحتمس الثاني بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الأول ، وهو ابن من زوجة ثانية هي موت نفرت ، على أن شرعنته للحكم أنت من زواجه من اخته غير الشقيقة حتشبسوت بنت كل من تحتمس الأول والملكة أحمس .

ونعلم من لوحة أقامها الملك تحتمس الثاني في العام الأول من حكمه وهو في طريقه من أسوان إلى فيلة أنه قام على رأس جيشه للقضاء على الثوار في التوبة وتمكن من القضاء عليهم جميعاً ولم يبق سوى أحد أطفال الزعيم التوبى الذي أحضره معه إلى طيبة كأسير .

ونعلم أيضاً من تاريخ حياة القائد أحمس بن نختت الذي أمر بنقشه على

جدران مقبرته بمنطقة الكاب والذى عاش وخدم فى عهود الملوك إبتداء من أحمس حتى تحتمس الثالث ، أن الملك تحتمس الثاني توجه بشخصه لأخضاع قبائل الشاسو وهم البدو سكان شمال شرق وجنوب فلسطين وأسر العديد منهم .

وقد شيد مقبرته فى وادى الملوك وهى غير منقوشة ويبدو أنها لم تكمل وتحوى تابوتا خاليا من النصوص . وقد عثر على موميات الملوك تحتمس الأول والثانى والثالث كلها محفوظة فى خبيثة الدير البحرى ، كما عثر أيضاً على معبدة الجنزى وهو معبد صغير ، فقير فى بناءه .

مات تحتمس الثانى بعد فترة حكم قصيرة وكان لايزال فى الثلاثين من عمره ، وقد ترك إبنا من زوجة ثانية هو تحتمس (الثالث فيما بعد) من زوجته إيزيس وبنت هى نفرو رع من أخته وزوجته حتشبسوت .

الملكة حتشبسوت من ١٤٨٢ إلى ١٥٠٣ ق.م

تولى تحتمس الثالث عرش مصر بعد وفاة والده تحتمس الثانى ، على أن شرعيته للحكم أنت تحقيقا لنبوءة للاله آمون الذى اختاره ليجلس على عرش البلاد بعد وفاة أبيه . ويحتمل أن تحتمس الثالث قد تزوج أيضاً من إبنة حتشبسوت نفرو رع ليؤكد حقه فى وراثة العرش . وكان تحتمس الثالث عند تتووجه صغير السن ، وكانت حتشبسوت زوجة أبيه ، وأم زوجته - فى حالة زواجه من إبنتها نفرو رع - وعمته فى آن واحد إمرأة قوية ناضجة طموحة وتحمل الألقاب « إبنة ملك ، وأخت ملك والزوجة الملكية والزوجة الالهية لأمون » ، فاستطاعت بقوتها وشخصيتها منذ البداية أن تتولى شئون البلاد وأن

تدبر دفة الأمور ^(١) ، ولم تكن حتّسبوت المرأة التي تكتفى بهذا ، فتمكنـت في العام الثاني من حكم تختـسـ الثالث من أن تتحـيـ عن العـرـشـ نـهـائـياـ بل وأرغـمـتهـ علىـ الـاعـتكـافـ ، وأـمـرـتـ بـتـوـيجـهاـ بـموـافـقـةـ الـآـلـهـ آـمـونـ وـرـغـبـهـ كـماـ هوـ منـقـوشـ عـلـىـ جـدـرـانـ مـعـبـدـهاـ الجـنـزـىـ بـالـدـيرـ الـبـحـرـىـ بـطـيـبـةـ . وأـصـبـحـتـ حتـّسبـوتـ مـلـكـةـ عـلـىـ مـصـرـ وـقـامـتـ بـدـورـ الـآـلـهـ حـورـوسـ وـمـثـلـهـ عـلـىـ الـأـرـضـ وإنـتـخذـتـ لـقـبـ اـبـنـ السـمـسـ بـلـ وـتـشـبـهـتـ بـمـظـهـرـ الرـجـالـ وإـرـتـدـتـ زـيـهمـ كـماـ إـسـعـمـلـتـ الذـقـنـ الـمـلـكـيـةـ المـسـتعـارـةـ الـخـاصـةـ بـالـمـلـوكـ .

حـكـمـتـ حتـّسبـوتـ عـشـرـينـ عـاـمـاـ ، كـرـسـتـ كـلـ جـهـودـهاـ فـيـهـمـ لـلـإـنـشـاءـاتـ الـعـمـارـيـةـ وـذـلـكـ غـيـرـ حـمـلـةـ عـسـكـرـيـةـ وـاحـدـةـ أـرـسـلـتـهـاـ إـلـىـ النـوـبةـ لـلـقـضـاءـ عـلـىـ الـثـوـارـ هـنـاكـ .

أـمـرـتـ حتـّسبـوتـ فـيـ الـعـاـمـ السـادـسـ أوـ السـابـعـ مـنـ حـكـمـهـاـ بـاـبـحـارـ خـمـسـ سـفـنـ ضـخـمـةـ إـلـىـ بـلـادـ بـوـنـتـ ، أـرـضـ الـبـخـورـ قـرـبـ الصـومـالـ ، لـإـحـضـارـ مـتـجـاجـاتـ هـذـهـ الـبـلـادـ إـلـىـ مـصـرـ تـحـتـ قـيـادـةـ الـقـائـدـ نـحـسـىـ وـبـدـأـتـ الـرـحـلـةـ الطـوـيـلـةـ مـنـ أـحـدـ مـوـانـىـ الـبـحـرـ الـأـحـمـرـ بـالـقـرـبـ مـنـ وـادـيـ الـجـاسـوسـ . وـقـدـ صـورـتـ هـذـهـ الـرـحـلـةـ الـبـحـرـيـةـ التـىـ تـعـتـبـرـ مـنـ أـهـمـ النـقـوشـ لـدـرـاسـةـ بـلـادـ بـوـنـتـ وـمـنـتـجـاتـهـاـ عـلـىـ جـدـرـانـ مـعـبـدـهاـ الجـنـزـىـ بـالـدـيرـ الـبـحـرـىـ ^(٢) . كـمـاـ أـرـسـلـتـ حتـّسبـوتـ بـعـثـةـ إـلـىـ مـحـاجـرـ أـسـوانـ لـإـحـضـارـ الـزـوـجـ الـأـوـلـ مـنـ مـسـلـاتـهـاـ ، فـقـدـ تـرـكـ لـنـاـ الـمـهـنـدـسـ مـسـتـمـوـتـ هـنـاكـ فـيـ أـسـوانـ نقـشاـ يـوـضـعـ أـنـهـ هـوـ الـذـىـ كـانـ مـسـئـولـاـ عـنـ قـطـعـ الـمـسـلـيـنـ «ـلـلـزـوـجـ الـأـلـهـيـةـ وـالـزـوـجـةـ الـمـلـكـيـةـ الـعـظـمـيـةـ حتـّسبـوتـ»ـ . وـفـيـ الـعـاـمـ الـخـامـسـ

(1) Sethe, Das Hatshepsut - Problem, Berlin, 1932.

(2) Naville, The Temple of Deir El-Bahri, 1896.

عشر من حكم تحتمس الثالث أى الثالث عشر من حكم حتشبسوت ، أمرت الملكة أحد كبار موظفيها المدعو « أمنحوتب » بالذهب على رأس بعثة إلى أسوان للإشراف على قطع زوج آخر من المسلات . وقد ترك لنا الموظف « أمنحوتب » نقشين يؤكد بهما قيامه بهذا العمل ، أحدهما بمقبرته بطيبة والآخر في جزيرة سهيل ، (أربعة كيلو مترات جنوبى أسوان) . إحدى هاتين المسلتين ما زالت مقامة للآن في معابد الكرنك ويصل ارتفاعها إلى ٢٩,٢٥ متر وهى من الجرانيت الوردى ويصل وزنها ٣٢٣ طنا وقد أقيمت على قاعدة مربعة ، يصل طول الضلع فيها إلى ٢,٦٥ متراً ، وقد سجل على قاعدة المسلة قصة هاتين المسلتين ، اللتين أمرت بتشييدهما والوقت الذى تم فيه قطعهما والسبب الذى أقيمتا من أجله . وتأكد لنا النقوش التى وجدت على جدران معبد سرابيط الخادم ، وهى أهم مناطق مناجم الفيروز بسيناء أن الملكة حتشبسوت قد إستغلت هذه المناجم خير إستغلال .

يعتبر سنتنوموت المهندس والمربي الذى أشرف على تربية إبنته نفرو رع هو أشهر الموظفين فى عهد حتشبسوت ، ويبدو أنها إصطفته بدليل أنه قد سمح لنفسه بنقش صورته على جدران أكثر من مشكاة بعدها الجنزى خلف الباب مباشرة حتى لا ترى عند فتح الباب الخشبي للمشكاة أو للمقصورة ، وإن كان لا نعلم للآن الأسباب التى دعته إلى نقش صورته فى هذه الأماكن المقدسة ، فهو لا يتتمى للسلالة الملكية ويشغل فقط وظيفته كمهندس ومربي ، وقد يكون هذا من الأسباب التى دعت حتشبسوت عند إكتشافها لهذه الصور أن تأمر بكشطها وتشويها . أو أن أنصار الملك تحتمس الثالث قاموا بهذا التشويه بعد وفاتها .

لانعرف للآن كيف انتهت حياة حتشبسوت ، هل ماتت مorte طبيعية ؟ أم كانت نهايتها محزنة ، إذ لم يعثر على جثمانها في مقبرة من مقبرتها في طيبة ، سواء الموجودة في سكة طاقة زايد أو المحفورة في وادي الملوك ، كما لم يعثر عليها أيضاً في خبيثة المومياوات بالدير البحري . أما معبدها الجنزى فهو المعبد المشهور الآن باسم معبد الدير البحري بالبر الغربى بطيبة .

الملك تحتمس الثالث من ١٤٥٠ إلى ١٥٠٤ ق.م

تولى الحكم منفرداً بعد وفاة حتشبسوت أو بعد إبعادها عن العرش والقضاء عليها وعلى كل من يوالياها وكان غضبة تحتمس الثالث الإنقاومة واضحة في ما تبقى من عهد حتشبسوت من آثار ، فقد حطم أتباع تحتمس الثالث تماثيلها وكشطوا أسماءها وشوهوا صورها . وقد يعتبر تحتمس الثالث بداية حكمه منذ توليه العرش بعد وفاة أبيه تحتمس الثاني ، بل نعرف أيضاً أن بعض قوائم الملوك مثل قائمة الكرنك وقائمة أبيدوس قد أسقطا عن عدم فترة حكم حتشبسوت لاعتبارها خارجة عن التقاليد المصرية وإغتصابها عرش مصر .

وبدأ تحتمس الثالث يهتم بالسياسة الخارجية بالبلاد بعد أن أهملتها حتشبسوت عشرين عاماً كاملة ، خاصة أن الأوضاع السياسية في آسيا الصغرى بدأت تتغير ، إذ أن هجرات الحورين بدأت منذ القرن الثامن عشر ق.م من أواسط آسيا ، وهم شعب غير معروف للآن إلى أي جنس ينتمي ، والبعض الآخر يعتقد أنهم ينتمون للجنس الآرئي . هذه الهجرات المتتابعة ، استقر البعض منها في مناطق الهلال الخصيب وكونوا بعض الدوليات في بعض المدن السورية واستوطن البعض الآخر أطراف العراق وكون دولة الميتانيين كما استقر قبائل منهم في الأناضول وكونوا دولة الحيثيين ، وكان يجاور دولة الميتانيين من

الجنوب دولة أشور ، أما مملكة بابل فكانت مستقرة في الجزء الجنوبي على مقربة من الخليج الفارسي كل هذا يستغرق ثلاثة قرون إلى أن وصلنا إلى القرن الخامس عشر ق.م ، وكانت خطورة دولة الميتانين في شمال شرق الشام ، وقرب نهري الخابور والفرات هو تحكمها في مداخل الهجرات سواء في شمال سوريا وأطراف العراق .

وإسْتَطَاعُ أَمْرَاءُ دُولَةِ الْمِيَتَانِينَ مِنَ التَّحَالُفِ مَعَ أَمْرَاءِ فَلَسْطِينِ وَسُورِيَا تَحْتَ أَمِيرِ مَدِينَةِ قَادِشِ الواقعة على نهر العاصي ، وعندما علم تحتمس الثالث بهذا إضطر الملك للقيام بحملته الأولى لتوطيد مملكته في آسيا الصغرى ، بعد أن لاحظ أن النفوذ المصري بدأ يتدحرج في سوريا وأن الأمراء هناك بدأ كل منهم يستقل بولاية « فلم يتأنّر جلالته من التقدّم إلى بلاد الشام ليقتل الخائنين الذين فيها وليكافئ الموالين له » فقام على رأس جيشه من القنطرة وقطع مسافة ١٥٠ ميلاً في عشرة أيام وصل بعدها إلى غزة حيث إحتفل هناك ببداية السنة الثالثة والعشرين من حكمه ، ثم قطع ثمانين ميلاً أخرى في إحدى عشرة يوماً بين غزة وإحدى المدن عند سفح جبال الكرمل ، وهناك عقد تحتمس الثالث مجلس الحرب مع ضباطه بعد أن علم أن أمير قادش قد جاء إلى مدينة مجدو في فلسطين وجمع حوله ٣٣٠ أميراً بجيوشهم وعسكروا في المدينة المحسنة هناك ليوقفوا تقدم تحتمس الثالث وجيشه من الدخول إلى مجدو . وقد استقر رأي تحتمس الثالث من أن الجيش يسلك أقصر الطرق أو أخطرها وأبعدها عن تفكير العدو . فقد كان هناك ثلاث طرق للوصول إلى مجدو ،

إثنان منها يدوران حول سفح جبال الكرمل والثالث عمر ضيق ولكنه يصل
مباشرة إلى مجدو^(١).

وفي فجر اليوم التالي قام تحتمس الثالث على رأس قواته بالهجوم على
شكل نصف دائرة - منفذًا حرب المفاجأة - على مدينة مجدو ، فتفرق
الأسيويون المدافعون عنها وفروا هاربين وتركوا وراءهم عرباتهم الكبيرة
ومعسكرهم الملئ بالغنائم ، ليدخلوا المدينة المحسنة لينجوا بأرواحهم ولكن
الجنود زملاءهم من الأسيويين أغلقوا أبواب المدينة على أنفسهم ، وقد أوضح
النص المصري أنه « إذا لم يتوجه جنود جلالته بقلوبهم للاستيلاء على ما خلفه
العدو لاستولوا على مجدو في تلك اللحظة » وقد كلفت هذه الغلطة الجيش
المصري سبعة شهور أخرى ، حاصر فيها مدينة مجدو حتى استسلمت ،
وأرسل الأمراء الموجودون بداخلها أولادهم حاملين الأسلحة لتسليمها للملك
تحتمس الثالث ولكن أمير قادش استطاع الهرب بعد المعركة .

وأختلف تحتمس الثالث عن حتشبسوت في إدارة شئون الدولة ، فقد
كانت حتشبسوت مهتمة بالشئون الداخلية في البلاد وتتفاخر بما تبذله من جهد
في إصلاح الأمور الداخلية بمصر أما تحتمس الثالث فقد كان قائداً ومحارباً
لايضارع ، يهتم بحملاته الحربية وإنصاراته بل وتسجيلها على جدران صالة
الحوليات بمعابد الكرنك . وكان تحتمس الثالث أول من أصطحب معه في
حملاته الحربية كتبة وعلماء لتسجيل كل ما يدور في هذه الحروب على ملفات
البردي ويؤرخون كل ما يحدث .

(1) Edgerton, The Tutmosid Succession, Chicago, 1993.

- Petrie, History of Egypt, II, P. 99 FF.

وقد قام تحتمس الثالث بعدد من الحملات العسكرية وصل عددها إلى ستة عشرة حملة ، ذكرنا منها حملته الأولى المشهورة على مدينة مجدو التي قام بها في العام الثاني والعشرين من بداية حكمه . وفي العام الثلاثين من حكمه قام بحملته السادسة التي إستطاع أن يدمر فيها مدينة قادش ويستولى عليها ، كما قام في حملته الثامنة في العام الثالث والثلاثين من حكمه للقضاء « على ذلك العدو الخاسئ في النهرين » ويقصد هنا الملك الميتاني الذي فكر أن يبسط سلطانه على البلاد الواقعة غرب نهر الفرات . فأعاد له تحتمس الثالث ما إستطاع من قوة وعبر على رأس جيشه نهر الفرات وطارد ملك الميتاني الذي فر من أمامه مذعورا . وقد ترك تحتمس الثالث هناك لوحة على الضفة الشرقية لنهر الفرات لتسجيل نصره وتخليده .

ونعلم من نقش لوحة جبل برقل أن الجيش المصري وصل في العام السادس والأربعين من حكمه إلى جبل برقل عند الجندل الرابع عند مدينة نباتا التي كانت تمثل الحدود الجنوبية في عهده حيث أقام هناك بعض المعابد والقلاع .

ومن أشهر الموظفين في عهده وزير المعروف باسم « رخميرو »⁽¹⁾ الذي ترك لنا في مقبرته بجبانة شيخ عبد القرنة سجلا حافلا بكل ما كان يقوم به ويشرف عليه من أعمال بل وترك لنا نصا يذكر الوصايا التي أعلنها الملك تحتمس الثالث عند تنصيبه وزيرا له وهي تعتبر بحق الدستور الذي يحدد الصلة بين الحاكم والمحكوم .

(1) Davies, The Tomb of Rekh - mire at Thebes, 2 vols. NY, 1933.

وقد ترك تحتمس الثالث العديد من الآثار التي تخلد إسمه . فقد شيد في الكرنك مجموعة من المباني نذكر منها صالة الحوليات ، الصرحين السادس والسابع والمباني التي أقامها حول مسلة حتشبسوت لإخفائها والصالة المعروفة باسم (آخ منو) أو صالة الاحتفالات . كما أقام زوجين من المسلات وقد نقلوا جميعاً الآن من أماكنهم وأصبحوا سفراً لنا في لندن وفي نيويورك وفي روما وفي إسطنبول . هذا بجانب العديد من المعابد الصغيرة المشيدة في أماكن مختلفة من أنحاء مصر ، نذكر منها معبده في كل من أبيدوس ، فقط ، أرمنت ، الكاب ، الفتدين ، سمنة وأخيراً في جبل برقل^(١) .

وقد أمر تحتمس الثالث بحفر مقبرته في وادي الملوك بالبر الغربي بطيبة وقد زينت جدران حجرة الدفن بنصوص ومناظر - للمرة الأولى - من كتاب ما هو موجود في العالم الآخر ، وقد كتبت هذه النصوص بالخط المختصر وهو الخط الوسط بين الهيروغليفى والهيراطيقى حتى تبدو حجرة الدفن كبيرة ضخمة مفتوحة مليئة بالنصوص والمناظر من كتاب الموتى .

الملك أمنحوتب الثاني من ١٤٥٠ إلى ١٤٢٥ ق.م

تولى الحكم الملك أمنحوتب الثاني بعد وفاة أبيه الملك تحتمس الثالث ، فقد سجل نقش على جدار في مقبرة القائد « آمون - ام حب » في طيبة أن الملك تحتمس الثالث « صعد إلى السماء وإنحدر مع الآله رع وإندمجت أعضاؤه الطاهرة مع الذي خلقها . فلما جاء اليوم الثاني وأشرقت

(١) سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ١٦٠ - ١٦٥ .

الشمس جلس على عرش أبيه الملك منحوب (الثاني) واتخذ لنفسه الألقاب الملكية .

وتربى الملك أمنحوبث الثاني تربية رياضية عسكرية - كما هو مسجل على أكثر من لوحة وأثر سواء بالنص أو بالصورة - إذ نرى صورته على أحد جدران مقبرة الضابطين بطيبة وهو الذى كان يشرف على تربية أمنحوبث العسكرية ويعلمه الرماية ، وهو يوجه الحديث لأمنحوبث قائلاً : « شد القوس حتى أذنك مستعملاً كل ما فى ذراعيك من قوة وثبت السهم .. يا أمير أمنحوبث ». ونعرف أيضاً من لوحة حجرية للملك أمنحوبث الثاني والتي عثر عليها سليم حسن بجوار تمثال أبو الهول عام ١٩٣٦ أنه كان مولعاً بمارسة أنواع مختلفة من الرياضة البدنية ، وشغوفاً بالفروسية ، مفتوناً بشبابه وقوته عضلاتاته ، فلما بلغ الثامنة عشرة كان قد أتقن كل فنون الـ . الحرب مونتو .

اضطرب أمن حرب الثاني في العام الثالث من حكمه للقيام على رأس جيشه بحملة حربية إلى سوريا وذلك بعد أن ثارت بعض الولايات هناك بعد توليه عرش مصر وهي ثورات غالباً ما تحدث لجس نبض الملك الجديد ، فإن أخفق في القضاء على العصابة ، إستطاعت هذه الولايات من أن تخلص من سيطرة الحكم المصري وإن قضى عليهم فلم يخسروا شيئاً . إذ تسجل لوحة من الجرائم عشر عليها في معابد الكرنك أن الملك قضى على الشوار ونكل بهم أشد تكيل كما نعرف من لوحتا عمداً والفتين بالنوبة « أن جلالته عاد سعيداً إلى أبيه آمون بعد أن قتل بيديوس قتاله الرؤساء السبعة

الذين كانوا في منطقة نحس وعلقهم مقلوبين على سفينة جلالته .. وقد علق منهم على واجهة سور طيبة وأرسل السابع ليعلق على جدار سور نباتا ليكون عبرة تريرهم قوة جلالته » وكان نتيجة ذلك - كما هو مذكور على لوحة الكرنك - أن « أتى إليه رؤساء دولة الميتاني وجزيئهم فوق ظهرهم عسى أن ينتهي لهم جلالته نسمة الحياة » . كما ذكرت النصوص أيضاً بأن الملك أمنحوتب قام بحملة ثانية إلى سوريا في العام السابع من حكمه وحملة ثالثة للقضاء على الفتنة في فلسطين في العام التاسع من حكمه .

ومن أشهر الموظفين في عهدة قن آمون الذي شيد مقبرته في جبانةشيخ عبد القرنة والتي تميزت بجدرانها بالمناظر المختلفة ولعل أهمها الهدايا التي يقدمها قن آمون لملكه أمنحوتب الثاني بمناسبة العام الجديد .

وقد أمر أمنحوتب الثاني بحفر مقبرته في وادي الملوك بطيبة على نفس نظام مقبرة والده تحتمس الثالث ويعتبر قبره من أجمل ما خلفه فراعنة الأسرة الثامنة عشرة من المقابر في طيبة .

الملك تحتمس الرابع من ١٤٢٥ إلى ١٤١٧ ق.م

توفي الملك أمنحوتب الثاني في العام السادس والعشرين من حكمه ، وتبعه ابنه الملك تحتمس الرابع الذي حكم فترة تسعة سنوات ، عاشها في سلام ، وإن كان قد قام بعد توليه العرش مباشرة بحملة للقضاء على الثورة التقليدية في سوريا ثم بعد ذلك قام في العام الثامن من حكمه بحملة إلى التوبة للقضاء على الثوار هناك .

ومن أشهر الآثار الباقية من عهده ، اللوحة الجرانيتية التي ترجع للعام الأول من حكمه وهي المقاومة للآن بين مخالب تمثال أبو الهول بالجيزة . ويقص علينا تحتمس الرابع من خلال نص منقوش عليها ، أنه ذهب عندما كان شابا ليحتمي بظل أبو الهول وذلك بعد رحلة صيد مرهقة فغلبه النعاس فرأى فيما يرى النائم الآله حور - أم - آخت (المسجد في تمثال أبو الهول) يبشره بتاج مصر عندما يحرره من الرمال التي عليه . ويبدو أن الملك تحتمس الرابع قد نفذ للأله حور - أم - آخت رغبته بعد توليه العرش مباشرة . هذه القصة تؤكد أن تحتمس الرابع لم يكن الوريث الشرعي ولهذا اختلف هذه النبوة لكي يفسر لنا أن اختياره قد تم بواسطة الآله حور أم - آخت .

وقد خطى تحتمس الرابع خطوة جريئة في السياسة الخارجية وهي أنه تزوج من إبنة الملك الميتاني « أرتاتاما » وهي خطوة لها أكثر من مدلول ، إذ أن هذا الزواج الدبلوماسي يؤكد إعتراف فرعون مصر بدولة الميتاني ، وفي نفس الوقت يعلن إنهاء حالة الحرب بين مصر ودولة الميتاني وأصبحت من الآن مملكة الحبيتين هي العدو المشترك لمصر والميتانيين وقد أطلق المصريون على هذه الأميرة الميتانية إسماً مصرياً هو « موت أم أويا » وهي التي أصبحت فيما بعد أم الفرعون المصري أمنحوتب الثالث الذي خلف والده تحتمس الرابع على عرش مصر .

وقد بدأ في عهد الملك تحتمس الرابع الأهتمام بتزيين مقدمة العربة الحربية للملك بمناظر تمثل ساحة القتال وهي المناظر التي زينت بها بعد ذلك واجهات صروح المعابد في الدولة الحديثة وما بعدها . وقد عثر على عربة تحتمس الرابع في مقبرته بطيبة وهي معروضة الآن بالمتحف المصري .

وقد أمر الملك بتشييد مقبرته في وادي الملوك أما معبده الجذري فهو مخرب تخربياً كاملاً وقد وجد على أحد جدران مقبرة تحتمس الرابع نص بالخط الهيراطيقى يرجع لعهد الملك حور محب الذى أصدر التعليمات إلى المشرف على أعمال الجبانة في ذلك الوقت المدعو «معيا» وإلى مساعدته «جحوتى مس» بإعادة «دفن الملك تحتمس الرابع في المسكن المقدس بالبر الغربى» مما دعا إلى نقل موامياء تحتمس الرابع مع موامياء أخرى إلى قبر منحوب الثانى حتى عشر عليهم في عام ١٨٩٨ وقد يدل هذا أن مقبرة تحتمس الرابع قد نهبت بعد وفاته مما دعى الملك حور محب بأن يأمر بإعادة دفنه .

الملك منحوب الثالث من ١٤١٧ إلى ١٣٧٩ ق.م

خلف تحتمس الرابع على عرش مصر ابنه الملك منحوب الثالث . وقد إدعى - كما ادعت حتشبسوت من قبل على جدران معبدها في الدير البحري - أنه ابن الآله آمون رع وقد سجل هذه الأسطورة على جدران حجرة الولادة بمعبد الأقصر فنرى هناك صورة الآله آمون رع وقد تجسد في شخصية تحتمس الرابع الذي يجتمع بزوجته الملكة «موت - أم - أويا» لإنجاب ولى العهد الأمير منحوب .

وقد تزوج الملك منحوب الثالث في السنة الثانية من حكمه من سيدة من عامة الشعب ، ليست من السلالة الملكية وكان لها أثراً كبيراً في تاريخ الامبراطورية سواء في حياة زوجها أو حياة إبنتها أختانهن . لقد كانت زوجته «تي» سيدة لها طموحها وقوتها شخصيتها فاستطاعت أن تتحكم في سير الأمور والأحداث في الدولة . وقد أستن منحوب الثالث سنة جديدة وهي الاهتمام

بتسجيل الأحداث الهامة على ظهور جuarين كبيرة نسبيا ، فهناك مثلاً الجدول التي يطلق عليها إصطلاحاً جدول الزواج وهي تسجيل زواج أمنحوتب الثالث من « تى » وقد نقش عليها « .. الملك أمنحوتب المعطى له الحياة والزوجة الملكية العظيمة « تى » لها الحياة « يويا » هو اسم والدتها ، وهي زوجة ملك عظيم تمت حده الجنوبية إلى كاري (بالقرب من نباتا) والشمالية إلى (بلاد) نهرين » ونعرف الآن بعد إكتشاف مقبرة والديها أن الأب كان يعمل كاهناً في معبد الآلهة مين في مدينة أخميم وأن الأم كانت تحمل لقب كبيرة حريم آمون .

ويبدو أن الملكة « تى » كان لها نفوذ كبير وتأثير قوى على الملك أمنحوتب الثالث فقد مثلت بجانبه بنفس حجمها إذ شاهد في المتحف المصري تمثال ضخم يمثل الملك وزوجته تى جالسين جنباً إلى جنب وهو تقليد لم يتبع من قبل عهده بل وذكرت معه على الجuarين التذكارية . إذ أنه من الطريف أن نرى إسم الملكة « تى » وإنما والديها مسجلًا على جuarين زواجه من كيلوخيا إبنة الملك الميتاني « شوتارنا » والذي تم في العام العاشر من حكمه « في العام العاشر من حكم جلاله الملك أمنحوتب .. والزوجة الملكية الكبرى تى لها الحياة « يويا » هو اسم ابيها و « تويا » هو اسم أمها .. لقد احضرت بلالته « كيلوخيا » إبنة سيد نهرين شوتارنا و ٣١٧ من سيدات حريمها » .

وكان أمنحوتب الثالث يلبى - أغلب الظن - كل طلبات زوجته الملكة تى إذ نعرف من نقش على جuran آخر أنه أمر أن تحرف لها بركة كبيرة مساحتها ٣٧٠٠ × ٧٠٠ ذراع مصرى (الذراع المصرى ٥٢ سم) لكي تتذرة فيها

بزورقها هي ووصيفاتها . وقد تم حفر البركة في أسبوعين . وهو أمر قد يصعب تصديقه وخاصة إذا أخذنا في الاعتبار أن البركة المشار إليها هي بركة هابو الواقعة في البر الغربي بطيبة⁽¹⁾ .

ونعرف أيضًا من نقش على جuran رابع أن الملك كان في بداية حكمه مولعاً بصيد الأسود إذ يذكر النقش أن الملك أمنحوتب إسططاع في العشر سنوات الأولى من حكمه من صيد ١٠٢ من الأسود المت渥حة ، وهي رواية أيضًا ليس من سبيل إلى تصديقها أو تكذيبها .

كل هذا يوضح لنا حياة الترف والدعة والاستغراق في الملذات والميل إلى حياة النعومة التي عاشها الملك وأتباعه . فقد فاضت خزائن الدولة بعد أن يستتب الأمن في الامبراطورية وتجمعت في مصر ثروات العالم القديم لإرضاء فرعونها وبدأت مصر تجني ثمار حروبيها التي خاضها سواء في آسيا الصغرى أو في النوبة . كل هذا نراه واضحًا في الفن وفي العمارة ، ففي العمارة الدينية عندما نشاهد معبد الأقصر سواء في تخطيطه أو في جمال نقوشه ومناظره . وفي مقابر الأفراد عندما نشاهد بعض المقابر التي ترجع لعصره مثل مقبرة الوزير « رعمس » ومقبرة « خرو - اف » وهو أحد كبار رجال الدولة في عهد أمنحوتب الثالث وكلها تشهد بجمال المناظر ورقتها وتدل على براعة الفنان المصري الذي يستطيع أن يسجل هذه الروائع من رسوم ونقوش ملونة أو غير ملونة على جدران مقابر هذا العصر .

(1) Gardiner, op, cit, PP. 37 FF

Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1894 .

تمثالاً ممنون :

أما في العمائر الجزرية فلم يبقى من المعبد الجزرى للملك - الذى يستعمل في عصر الأسرة التاسعة عشرة كمحجر - إلا تمثالى ممنون ، وقد أشرف على إقامتهما المهندس أمنحوتب بن حابو ، ويصل ارتفاع الواحدة منها إلى ٢٠ متر بالتقريب .. ويمثل كل منهما الملك أمنحوتب الثالث جالساً على كرسى العرش وقد أدى الزلزال الذى حدث عام ٢٧ ق.م إلى سقوط الجزء الأعلى من التمثال الشمالى ، وقد أعيد ترميمه بطريقة غير علمية فى عهد الامبراطور سبتيميوس سفيروس حوالى عام ٢٠٠ ق.م وأصبح لهذا التمثال الشمالى شهرته الأسطورية بعد حدوث هذا الزلزال ، إذ كان يصدر منه - نتيجة للتتصدع الذى حدث به - صوتاً غريباً لمرور الرياح من خلاله ، يزداد فى هدوء الفجر ، ولهذا أطلق الأغريق عليه اسم ممنون وهو ذلك الملك الأثيوبى الأسطورى الذى قاد الأثيوبين لمساعدة أهل طروادة عند حصارها . فقتله أخيلوس فطلبت أمه إلهة الفجر الآلهة إيوس من الآلهة زيوس باكية أن يميز ابنها عن بقية البشر ، فكان يظهر لها فى الفجر (عن طريق الصوت) فكانت تبكي عند سماعه وكانت دموعها الندى . وقد إختفى هذا الصوت بعد ترميم التمثال.

ومن أشهر مهندسى الملك أمنحوتب الثالث المهندس أمنحوتب بن حابو وكان من عائلة بسيطة مقرها مدينة بنها وقد بدأ حياته كاتباً في الجيش ثم مستشاراً للملك وكان مسؤولاً عن الإعداد لاحتفالات عيد «السد» ومات وهو في سن الثمانين وقد عثر على العديد من تماثيله وكان الوحيد من أفراد الشعب

الذى شيد له معبدا فى طيبة الغربية وقد عبد فى العصور المتأخرة كمثل طيب للوزير وللطبيب .

فى عام ١٨٨٧ عشر فى تل العمارنة على ألواح طينية يطلق عليها اصطلاحا رسائل قل العمارنة وهى عبارة عن مجموعة رسائل من ديوان أمنحوتب الثالث وإبنة أخناتون ، وهى تتضمن الرسائل المتبادلة بين كل من الفرعونين وبين ملوك وولاة عهديهما فى الشام . وهناك إحتمال بأن هذه ألواح ما هي إلا صورة طبق الأصل للخطابات التى أرسلت للأحتفاظ بها فى أرشيف الدولة . هذه ألواح مكتوبة - عدا خطابين فقط باللغة الحيثية - باللغة البابلية التى كتبت بالخط المسماوى على ألواح من الطمى غير المحروق .

ويبدو أن اللغة البابلية كانت في ذلك الوقت هي اللغة الدبلوماسية . ومن أهم الموضوعات التى تتناولها هذه الرسائل هي الهدايا والهبات المتبادلة بين مصر والحكام الأجانب والزواج الدبلوماسي بين ملك مصر وإبنة أحد حكام الميتاني . ومن الطريف أن الملك أمنحوتب الثالث كان يرحب بالأميرات من غير المصريات للإنضمام إلى حريمه ولكنه اعتذر عندما طلب منه ملك بابل المعاصر له إبنته ورد عليه قائلا : « لم يسبق من قديم الأزل أن أعطيت أميرة مصرية إلى أى إنسان » .

حكم أمنحوتب الثالث ٢٨ سنة ، لم يرسل خلالها حملة واحدة عسكرية إلى آسيا الصغرى لتوطيد حكم مصر هناك ، وإن كان قد أرسل فى العام الخامس من حكمه أحد قواده المدعو « مرى مس » لإخماد الثورة فى التوبية . وقد إحتفل الملك أمنحوتب الثالث ثلاث مرات بعيد السد ، فى السنوات ٣٠

و ٣٤ و ٣٧ من حكمه وقد أشرف على الإعداد لها مهندسه ومستشاره
أمنحوتب بن حابو .

مات أمنحوتب الثالث في السنة الثامنة والثلاثين من حكمه ودفن في قبره
بroadي الملوك الغربي .

الملك أمنحوتب الرابع - أخناتون من ١٣٧٩ إلى ١٣٦٢ ق.م

أثبتت الحفائر والأبحاث الحديثة أن الملك أمنحوتب الرابع لم يشترك مع أبيه أمنحوتب الثالث في الحكم ، بل إستولى على العرش بعد وفاته مباشرة . وتوضّح لنا مراسلات تل العمارنة السابقة الذكر أن الملكة تى - أم أمنحوتب الرابع قد أرسلت للملك الميتاني توشراتا خطاب تبلغه فيه بموت زوجها أمنحوتب الثالث وترجوه أن يستمر في صداقته وعلاقته الودية مع إبنتها فرعون مصر الجديد أمنحوتب الرابع وقد أجاب توشراتا على خطاب « تى » بأن عليها أن تقنع إبنتها بالمحافظة على هذه العلاقات الودية بين مصر ودولة الميتاني وقد يستدل من هذه الخطابات أن أمنحوتب الرابع لم يعتلي عرش مصر إلا بعد وفاة والده أمنحوتب الثالث وفي نفس الوقت برهان على قوة نفوذ الملكة تى سواء في السياسة الداخلية أو الخارجية . كما أثبتت النتائج الحديثة لمشروع معبد أخناتون أن الملك أمنحوتب الرابع لم يكن شريكاً لوالده في الحكم أيضاً ، إذ لم يذكر إسم والده أمنحوتب الثالث على أحجار المعبد المكتشفة حتى الآن (٣٥٠ حجر) والذى شيده الملك أمنحوتب الرابع في بداية حكمه في طيبة . فلو كان أمنحوتب الرابع شريكاً مع والده في الحكم لوجد إسم والده في الحكم مكتوباً أو صورته منقوشة على أحجار هذا المعبد ، كذلك أكدت

الأبحاث التي قام بها دونالد ردفورد أيضًا عدم إشتراك منحوتب الرابع مع والده في الحكم .

بدأ منحوتب الرابع الحكم في طيبة^(١) وكان عمره لا يزيد عن ستة عشرة عاما فعاونته أمه تى في السنوات الأولى من حكمه . وقد بدأ حياته مثل أسلافه من الملوك في ذلك الوقت بتقديم الولاء لأله الدولة آمون بل وإتخاذ لنفسه الألقاب الخمسة التقليدية المتوارثة . ثم تزوج من نفرتيتى وهي إمرأة معروفة بجمالها وجاذبيتها وإن كانت جنسيتها للاآن موضع نقاش بين الآثريين فمنهم من يعتقد أنها مصرية ومنهم من يرى أنها ميتانية وإن كان الرأى المقبول الآن أن نفرتيتى هي ابنة الضابط « آى » الذي ترك لنا مقبرة تحمل اسمه منحوته في الصخر في جبانة تل العمارنة ولم يدفن فيها وهو نفس الشخص الذي تولى الحكم بعد ذلك باسم الملك آى وحفر لنفسه مقبرة ملكية في وادي الملوك الغربي . إذ نرى على جدران مقبرته في تل العمارنة أن زوجته تفخر بأنها مرضعة نفرتيتى ويعتقد أنها ربما تكون زوجة « آى » الثانية التي تزوجها بعد وفاة والدة نفرتيتى ، زوجته الأولى التي ماتت ونفرتيتى طفلة صغيرة فقادت الزوجة الثانية بإرضاعها وخاصة أننا لمجد على جدران نفس هذه المقبرة إسم اخت نفرتيتى المدعوة « موت نجمت » .

(1) Aldred, Akhenaten, 1972

- Weigal , The Life and Times of Akhenaton, London, 1934 .

- Peet, Akhenaten, Ty, Nefertete, in Brunton, Kings and Queens of Ancient Egypt, 1925.

- سيد توفيق ، إختاتون - الملك الاله ، مجلة كلية الآثار ، العدد الأول ، يناير ١٩٧٦ .

وما كادت الأمور تستتب لاختناتون حتى بدأ يفكر في دينه الجديد والدعوة له ، إلى إله واحد يكمن في قرص الشمس أطلق عليه آتون ، ولم يكن آتون هذا سوى صورة جديدة لأخذ ظواهر الشمس المختلفة المعروفة من قبل إنخدت إسماً جديداً ظهر أول ما ظهر في الدولة الوسطى وعلى وجه التحديد في الأسرة الثانية عشرة بمفهومين الأول كوكب الشمس والثاني الآله المقيم في هذا الكوكب واستمر آتون بهذين المعنين حتى جاء اختناتون وحرره من المعنى الأول وإنختار له المعنى الثاني بل وحلت كلمة آتون محل إله (نتر) في اللغة المصرية القديمة . ويبدو أن كهنة الآله آمون في بداية الأمر قد إضطروا إلى أن يسمحوا للملك ببناء معبد لالله آتون بعد أن لاحظوا أن آتون لم يكن سوى صورة أخرى لالله مدينة عين شمس القديم رع . ودخل آتون الكرنك معقل الآله آمون . وشيد اختناتون له معبداً ضخماً شرق معبد آمون في الكرنك ، وفسر كهنة آمون هذا الرضى على أساس أن إلههم هو الآله الأكبر آمون - رع الله الدولة المحبوب في جميع أنحاء مصر بل وخارجها وأن آتون لم يكن في هذه الفترة في رأيهم إلا إليها جديداً يبحث عن أتباع له ومتعبدين وهكذا دخل آتون حرم الكرنك واعترف به بين آلهة المصريين .

أولى اختناتون كل إهتمامه إلى الدعوة لعبادة آتون وإنختاره كأله لنفسه وعكف على عبادته وإنخذ لنفسه لقب « الخادم الأول لالله رع حور آختى الذي يهنا في الأفق باسمه النور (شو) الموجود في آتون » ، ليكون الوحيد الذي يقوم بخدمة الآله آتون . فقد كان اختناتون وعائلاته فقط هم الذين يتبعدون لالله آتون أما رعيته فكانوا يتبعدون لاختناتون نفسه كأله حاكم . فقد ذكرت النصوص أن هناك كاهناً يقوم على خدمة الملك في حياته يحمل نفس

اللقب الذى حمله أخناتون بالنسبة لآتون وهو « الخادم الأول للأله نفر - خبرو رع - ان - رع » وهو إسم العرش للملك أخناتون .

بدأ كهنة آمون يعرفون أن الأله الجديد يختلف - سواء في شكله أو تعاليمه - عن الآلهة المصرية فهو لم يجسد في صورة بشرية إلا في بداية الأمر وفي حالات نادرة ولا هو متجسد في صورة حيوانية كأغلب آلهتهم بل هو الحرارة الكامنة في قرص الشمس التي تهب الناس الحياة وتغمرهم بالسعادة وقد فضل أخناتون له الصورة التي أقرتها الماعت (إلهة الحق والصدق والعدل) وشاهدتها عيناه مع بعض الإضافات الفنية ذات الصبغة الدينية فتجده صوره كقرص للشمس يتوسطه الصل الملكي ويخرج من القرص الأشعة على شكل خطوط تنتهي كل منها يد إنسانية يمسك البعض منها أحد رموز إحداهم للحياة والآخر للسعادة ، متوجهين بهما إلى أنف الملك وأنف الملكة فقط . وقد يعني هذا أن الأله آتون يصبح نعمته عليهما وهما بدورهما يهبانها إلى أفراد الشعب المعبدين . وقد ذكر إسم آتون أولاً ككل الآلهة المصرية بدون الخرطوش ، ثم ظهرت مرحلة ثانية هي الأولى من نوعها في التاريخ الفرعوني وهي وضع الأسم الكامل لآتون داخل خرطوشين تماماً مثل أسماء الملوك المصريين أي عومن آتون كملك مصرى ، بل وتأكيداً لهذا المعنى ظهرت مرحلة جديدة هي إضافة الأدعية التي غالباً ما تضاف إلى أسماء فراعنة مصر إلى إسم آتون مثل « فليعطي الحياة إلى الأبد » .

أصبحت نوايا أخناتون الآن واضحة أمام الكهنة فأخذوا يحيكون له المؤامرات والدسائس للقضاء عليه وعلى دينه الجديد ، ولم يمنعه هذا من الأستمرار فيه وأعلنها حرباً لا هوادة فيها على آمون وكهنته وغير إسمه من

أمنحوتب يمعنى (الآله آمون راضى) إلى أختاتون أي (المفید للآله آتون) . ثم تبع إسم آمون على جميع المعابد والأماكن المقدسة ومحاه ليس في طيبة فقط بل في أغلب أنحاء مصر حتى في اسمه نفسه الذى غيره - كما ذكرت في العام السادس من حكمه . ثم أعلن دينه الجديد ديناً للدولة ولكن لم يستطع البقاء في طيبة بعد ذلك فتركها وذهب إلى مكان جديد شيد لنفسه ولعائلته ومن تبعه وأطلق عليه « أفق آتون » وهي المدينة المعروفة بـ تل العمارنة على البر الشرقي للنيل بالقرب من ملوى .

وفي تل العمارنة أقام أختاتون أربعة عشرة لوحة منقوشة منقوشة في الصخر لتحديد غرباً وشرقاً حدود عاصمته الجديدة كما أقام هناك المعابد للآله آتون ، كما أمر بتشييد مقبرة ملكية جماعية له ولأفراد عائلته . أما مقابر الأشراف في عهده فهي منقوشة في صخر الجبل الشرقي في تل العمارنة . وهي مميزة عن مقابر النبلاء في طيبة . فجدران مقابر الأشراف في العمارنة مزينة بالمناظر العديدة لـ الملك وأفراد عائلته بأحجام كبيرة أما أصحاب المقابر فقد صوروا بأحجام صغيرة ، أما في طيبة فقد زينت جدران مقابر الأشراف بالمناظر الدنيوية والدينية والجزئية وقد أتخد المتوفى صاحب المقبرة في جميع هذه المناظر مكانته بحجم كبير واضح .

يعتقد البعض أن الفن الآتونى في عهد أختاتون يمثل الحقيقة التي عاش فيها الملك ، فتماثيله الضخمة الموجودة حالياً بالمتحف المصري تظهر « الماعت » (أى الحقيقة) بطريقة مبالغ فيها ، فهي تظهر الملك بجسدة ضعيف ووجهه التحيل ذي التفاصيل الرقيقة وعينيه التأملتين وفخذيه المتكورتين ، يعنى آخر

تظهر الملك في شكله الذي يمثله - أغلبظن - في الواقع وليس في ذلك الإطار الذي يظهر الفرد في أحسن صورة وهو الفن الذي كان متبعاً من قبل عهده ثم يتبع أيضاً بعد عهده على أن هناك مناظر تؤكد أن فنانى عصر آخناتون قد بدأوا أيضاً في بداية حكمه بتصويره داخل ذلك الإطار المثالى وهي صورة قد لا تتنطبق على ما يمثله في الواقع .

لم يكن آخناتون ملكاً محارباً فأهمل السياسة الخارجية للإمبراطورية وبدأت مصر في عهده تفقد سيطرتها على الجزء الشمالي من إمبراطوريتها ، فقد إهتم آخناتون بدينه وعقيدته وأهمل رسائل الحكام الذين يستغفرون به ويطلبون منه العون ولم يهتم بمقابلة الرسل الذين أتوا من آسيا لمقابله . فاستغل الملك الحيشي سوبيلوليماس الموقف وأحتل سوريا كلها ويسقط سيطرته على دولة الميتاني . كل هذا ولم يتحرك فرعون مصر للدفاع عن إمبراطوريته ، فسقطت المدن الفينيقية الواحدة تلو الأخرى حتى أن أهالى إحدى المدن وهم أهالى بلدة تونيب أرسلوا أكثر من عشرين رسالة لفرعون مصر يستجدون به « والآن فإن مدتيتك تونيب تبكي ودموعها تسيل ولا ناصر لها . لقد أرسلنا عشرين رسالة إلى مولانا فرعون مصر ولا من مجتب » .

مات آخناتون وهو لا يزال شاباً في الثانية والثلاثين من عمره ، مات الملك الآله ولهذا لم يستطيع أتباعه من الاستمرار في دينهم . فقد مات آخناتون ومات معه دينه وعقيدته إذ بموته فقدت الرعية الرمز الحى الذى يتبعون إليه وبالتالي فقدوا وسيلة الاتصال بالآله آتون .

نشيد أتون :

وإليكم نشيد أتون وهو منقوش على جدران مقبرة آى فى تل
العمارنة^(١).

«أنك تشرق جميلا فى آفق السماء

يا آتون الحى يا بدء الحياة

أنك إذا أشرقت من جبل النور الشرقي

ملات كل بلد بجمالك ومحبتك

أنك جميل . أنك عظيم

أنك تتلالاً عاليا فوق كل بلد

أن أشعتك تحيط بالأراضى كلها وبكل شئ خلقته

لأنك رع ، وتستطيع الوصول إلى نهايتها

وتحتستطيع أن تجعل كل بلد أسيرا لك

أنك الآله الذى دان الجميع بحبك

أنك نام ولكن أشعتك على الأرض

(1) White, "Ikhnaton, The Great Man and the Culture Process" JAOS, LXIII,
1948, 91 FF.

- أحمد فخرى ، مصر الفرعونية ، ص ٣٢٦ ، ٣٠٩ - ٣٢٩ .

- Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, PP. 288 - 291.

أنك تشرق على وجوه الناس
ولا يستطيع أحد منهم أن يتكون بسر قدومك

* * * *

حينما تغيب في أفق السماء الغربي
أظلمت الأرض وأصبحت تبدو كأنها ميتة
فيستقر الناس في حجراتهم وقد غطوا رؤوسهم
وإنخفض صوت زفيرهم
ولاترى عين عيناً أخرى
ويتسدل اللصوص إلى المنازل
ويولون الفرار دون أن يتبه أحد إليهم
أما السباع فهي تخرج من عريتها
والثعابين تناسب وتلدغ
ويخيم الظلام ويعم الأرض السكون
عندما يذهب خالقها ليستريح في أفقه الغربي

* * * *

وإذا أصبح الصباح تشرق متالقاً في الأفق

وعندما تضيئ كأتون أثاء النهار
يتبدد الظلام ويستيقظ كل من القطرين مهلاً
ويصحو الناس ويقفون على أقدامهم
ثم ينتشرون في الأرض يباشر كل منهم عمله
وترتفع أذرعهم متبعدين لشروعك
فيغتسلون ويلبسون ملابسهم
أما الماشية فهي فرحة في مروجها
والأشجار والنباتات فهي تزدهر
لأنك أنت الذي توظفهم
والطيور فهي ترفف تاركة أوكيارها
وتسبح أجنحتها بحمدك
وتقفز الحملان على أقدامها
وكل ما يطير أو يحط
أنهم يعيشون لأنك أشرقت من أجلهم

* * * *

وتبحر السفن شمالاً وجنوباً

وتعج الطرق بالناس

أما الأسماك في النهر فهي تقفز أمامك

أن أشعنك تنفذ إلى أعماق البحر

أنك تعطى الحياة للجنين في أحشاء النساء

وأنك تصنع من النطفة الرجال

وأنك أنت الذي يعني بالطفل في بطن أمه

وتسكن روعه فلا يبكي

أنك بثابة المربية للجنين وهو لا يزال في بطن أمه

أنك تهب نسمة الحياة لكل إنسان خلقته

عندما ينزل (الطفل) من بطن أمه ليتنفس

في اليوم الذي يولد فيه ،

تفتح فمه ، وتمده بكل ما يحتاج إليه

وإذا صاح الفرخ في بيضته

فإنك تهب الهواء ليبقيه حيا

ثم تمده بالقوة حتى يثبت بيضته

ويخرج منها وهو يوصومن إذا ما حان موعده

ويسعى على قدميه إذا خرج منها

* * * *

ما أكثر مخلوقاتك

وما أكثر ما خفى علينا منها

أيها الآله الواحد الذي لا شبيه له

لقد خلقت حسبما تهوى أنت وحدك

خلقتها ولا شريك لك

خلقتها مع الإنسان والحيوان كبيرة وصغيرة

خلقتها وكل ما يسعى على قدميه فوق الأرض

وكل ما يحلق بجناحيه في السماء

خلقت بلاد سوريا والنوبة ومصر

وأقمت كل إنسان في مكانه

ودبرت لكل إنسان ما يحتاج إليه

وجعلت لكل منهم أيامه المعدودة

لقد تفرقت ألسنتهم باختلاف لغاتهم

كما اختلفت أشكالهم وألوان أجسادهم

لأنك أنت الذي يميز أهل الأمم الأجنبية

* * * *

لقد خلقت النيل في العالم السفلي
ودفعت به إلى أعلى حسب مشيتك
ليحفظ أهل مصر أحياء
وذلك لأنك أنت الذي خلقتهم لأجل نفسك
وأنت سيدهم جميعا ، الذي يشغل نفسه من أجلهم
أنت يا شمس النهار
يا عظيما في جلالك

* * * *

أنت الذي يعطي الحياة لكل البلاد الأجنبية البعيدة
لقد جعلت نيلا يهبط إليهم من السماء
وجعلت له أمواجا تتدافع على الجبال كالبحر
لتروى حقولهم التي في قراهم
ما أعظم تدبيرك يا سيد الأبدية
وهبت نيل السماء لشعوب الجبال
أنت الذي صنعت الدنيا بيديك
فأحييت حيوانها وكل من يسعى فوق أقدامه
أما النيل فهو يخرج لمصر وحدها من العالم السفلي

* * * *

تغذى أشعتك كل حديقة
ويحييا وينمو كل نبات إذ ما أشرقت عليه
لقد خلقت الفصول لكي تخبي كل مخلوقاتك
وجعلت لهم الشتاء ليتعرفوا على بردك
ثم جعلت لهم الصيف ليذوقوا حرارتك
لقد خلقت السماء البعيدة لتشرق فيها
وحتى ترى كل ما صنعت
ذلك عندما كنت وحيدا
أنت الوحيد الذي يشرق في صورته كآتون الحق
ساطعا متأللا رائحا وغاديا
لقد خلقت من نفسك تلك الأشكال التي تعد بالمليين
مدننا وقرى وقبائل وجبالا وأنهارا
كل العيون ترنو إليك
لأنك أنت آتون الذي يشرق في النهار على الأرض

* * * *

أنك في قلبي

وليس هناك من يعرفك

غير إبنك « نفر - خبرو - رع - وع - ان رع » (أختاتون)

أنك أنت الذي ثقفته بتدبيراتك وقوتك

أنك أنت الذي أمددته بالحكمة

* * * *

أنت الذي صنعت الدنيا بيديك

وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم

إذا ما أشرقت عاش الناس

وإذا ما غربت ماتوا

أنك أنت الحياة

ولا يحيا الناس إلا بك

تستمع العيون بجمالك حتى تغرب

فإذا غربت في الأفق الغربي

ترك الناس أعمالهم كلها

ولكن عندما تشرق ثانية

يزدهر كل شيء لأجل الملك
لأنك أنت الذي خلقت الأرض
وأنت الذي خلقت الناس لأجل ابنك
الذي ولد من صلبك
ملك مصر العليا ومصر السفلی
الذي يحيا على الحق
سيد الأرضين « أخناتون »
الذي يحيا إلى الأبد
وكذلك من أجل كبرى الزوجات الملكية محبوبته
سيدة الأرضين « نفر - نفرو - آتون - نفرتيسى »
التي تحيا وتزدهر دائماً وإلى الأبد .

* * *

ديانة آتون :

بالرغم من أن أختانون فشل في حركته وبالغ أعداؤه - وفي مقدمتهم كهنة أمون - في القضاء على آثاره وعلى ذكره وإعتبروه ملحدا خارجا على الدين وأسقطوا إسمه وإسم عائلته من قوائم الملوك ، فإن ما وصل إلى أيدينا كاف لإعطائنا صورة عن هذه الحركة الدينية وما فيها من آراء .. وللإحاطة بأهم مبادئها نذكر النقاط الآتية :

أولاً : كانت « ماعت » (ويمكن ترجمتها الحقيقة أو العدل أو الأصول أي القواعد التي يجب أن تتبع) هي الأساس الذي ارتكزت عليه ديانة آتون ، وقد طلبت من الناس أن يجعلوها نصب أعينهم وأن يسموا الأشياء بأسمائها ولا يتتجروا إلى النفاق والمداهنة .

وكان أثر هذا المبدأ كبيراً على الفن فتحرر الفنانون من القواعد القدية وأخذوا يرسمون الملك وزوجته وأولاده في مواقف لم يحلم برؤيتها أحد من قبل ، نراها مرسومة على جدران المعابد أو المقابر مثل مدعاة فرعون لزوجته أمام الناس في الطريق وتقبيل أولاده ، أو تصويره وهو يأكل بشراهه على إحدى موائد الطعام .

ثانياً : كره أختانون تصوير إلهه على صوره من الصور سواء أكانت إنسانية أو حيوانية وجعله فقط قرص الشمس التي تعطى أشعته الحياة للناس أجمعين .

ثالثاً : كان آتون هو الآله الواحد الأحد الذي لا شريك له ، ولكن مثل هذا التعبير كان يطلق على عدد غير قليل من الآلهة منذ أقدم العصور ومنها

أمون ولهذا لم يكن جديداً على الديانة المصرية ولكن الجديد هو تحرير عباده آلهة أخرى في الوقت نفسه .

رابعاً : ومن أهم النقاط في هذه الديانة أن أخناتون كان وحده إبن آتون وهو الذي كان مكلف بعبادته . أما الناس فكانوا يعرفون آتون بعبادتهم لإبنه ورسوله أخناتون ، وهذه النقطة بالذات هي التي وقفت حائلًا بين الناس وبين الاستمرار في هذه الديانة بعد موت أخناتون .

خامسًا : لم تكن ديانة آتون لمصر وحدها بل كانت للعالم كله فبسبب هذا الآله عاشت الأسماك في البحار والوحش في الأدغال والزواحف في جحورها والنبات في الحقول .

سادساً : لم يكن هناك معنى لبناء معابد مغلقة ذات حجرات وأبهاء تستهوي بهيكل قليل الضوء وإنما كان المعبد مكوناً من بهو كبير يتوسطه مذبح ليتمكن كل شخص من الاستمتاع بضوء الشمس والتطبع إليها .

سابعاً : كان أخناتون هو الرسول والوساطة بين آتون والناس ولكن لم يمنع ذلك من وجود كهنة لآتون .

ثامناً : إذا دققنا في فحص ديانة آتون لوجدنا أنها أول محاولة للاتجاه نحو التوحيد ونحو التخلص من عبادة آلهة متعددة في وقت واحد .

تاسعاً : ليس هناك شك في أناشيد أخناتون لإلهه كانت ذات أثر مباشر على المزامير وأن المزמור ١٠٤ يكاد يكون منقولاً عن النشيد الكبير وليس من قبل توارد الخواطر . أما كيفية وصول هذا النشيد إلى العبرانيين ؟ فمن

المحتمل أن يكون قد حفظ في آسيا ويقى في آدابها تناقله الأجيال حتى جاء الوقت الذي بدأ فيه العبرانيون بتدوين التوراة في القرن ٨ ق.م وما تلاه من قرون .

عاشرًا : لم يتخذ أتون زوجة ولم يكن للنساء شأن أو حتى في كهنوته ، كما أن « نفرتيتى » لم يقرن إسمها بأى وظيفة في معبد أتون ، ولم يكن لها في هذا الدين أي شأن خاص أكثر من أنها زوجة « أختاتون » العظيم .

الملك توت عنخ آمون من ١٣٦١ إلى ١٢٥٢ ق.م

أشرك أختاتون زوج إبنته الكبرى مريت أتون المعروفة باسم سمنخ كارع معه في الحكم في السنوات الأخيرة من حياته ، وإن كنا لانعلم للان صلة القرابة بين أختاتون وسمنخ كارع . على أنه من المؤكد أن سمنخ كارع عاد إلى طيبة في السنة الثالثة من حكمه بعد وفاة أختاتون إذ نعرف من نص بالخط الهيراطيقى في مقبرة با ارى (رقم ١٣٩ في طيبة) مؤرخ من تلك السنة أن أحد الكهنة وكاتب القرابين المقدسة للأله آمون في معبد سمنخ كارع في طيبة يرفع صلواته إلى الأله آمون . ويبدو أن سمنخ كارع قد إنفرد بالحكم سنة واحدة بعد وفاة أختاتون ومات وتولى بعده عرش مصر طفل صغير في الثامنة من عمره هو الملك توت عنخ آمون ولا نعرف للان مدى قرابته للبيت المالك وإن كان هناك إحتمال بأنه أخ للملك سمنخ كارع ، وأنه استطاع الوصول إلى عرش مصر بزواجه من الابنة الثالثة لاختاتون وهي « عنخ - اس - ان - با اتون » وهو اسم قد يعني أنها تعيش للأله آتون . وقد عاونه « الأب

الالهي آى » في تصريف شئون الدولة . وقد اضطر توت عنخ آمون بعد سنتين من اعتلاه عرش مصر إلى أن يتوجه لعبادة الأله آمون رب طيبة ، كما اضطر إلى تغيير إسمه من « توت عنخ أتون » آى الصورة الحية لأتون إلى « توت عنخ آمون آى الصورة الحية لأمون » ، كما غير إسم زوجته إلى « عنخ - اس - ان - آمون » آى هى تعيش للأله آمون وهناك إحتمال أنه ترك تل العمارنة وأتى إلى طيبة . كل ذلك لإرضاء تلك القوة المتركزة في كهنة آمون الذين أسكرتهم خمرة النصر وبدأوا بدورهم يمحون ما تصل إليه أيديهم من آثار عهد آخناتون .

وكان على توت عنخ آمون - كما ذكرت - أن يرضى الكهنة والهتمم فاضطر - كما هو منقوش على لوحة عشر عليها في معابد الكرنك - من إصلاح ما خرب من معابد الألهة ، بل وأن يضاعف أملاك المعابد من الذهب والفضة وأن يزيد عدد الكهنة القائمين على خدمتها على أن تحسب أجورهم من ثروة سيد الأرضين .

وأمر توت عنخ آمون بتسجيل إحتفالات عيد الأوبت على جدران صالة الأربع عشر أسطونا في معبد الأقصر وهي تمثل الأحتفال الذي كان يقيمه المصريون مرة كل عام عندما يخرج الأله آمون رع في موكيه لزيارة حرمه في معبد الأقصر .

ومات توت عنخ آمون وهو في ريعان الشباب ، إذ أن الأبحاث التي تمت على مومياءه تؤكد أنه مات في العام الثامن عشر من عمره آى أنه حكم عشرة سنوات كاملة . ولعل شهرة توت عنخ آمون ترجع إلى إكتشاف مقبرته

كاملة^(١) دون أن تمسها أيدي لصوص المقابر في ٤ نوفمبر عام ١٩٢٢ ، بكل ما فيها من ثروة تدل على البذخ والإسراف الذي عاش فيه ملوك الأEmpاطورية . ويجب أن يؤخذ في الاعتبار بأن توت عنخ آمون لم يكن ملكا له مكانته التاريخية وكان له كل هذه الثروة من الآثار الجزرى ، فماذا لو قيس بغيره من الملوك وفي هذه الحالة قد يستطيع الإنسان أن تخيل ما يجب أن يكون عليه الآثار الجزرى بالنسبة للملوك العظام أمثال تحتمس الثالث وأمنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني . وقد دفن توت عنخ آمون في مقبرة صغيرة - أغلب الظن - لم تكن معدة له وقد أشرف على إعداد الجنازة وطقوسها الملك الذي تولى عرش مصر من بعده الكاهن « آى » الذي كان يحمل اللقب الكهنوتي « الأب الالهى » وقد صور على جدران مقبرة توت عنخ آمون بلباس الكهنة ويقوم بطقسة فتح الفم لسميماء الملك المتوفى توت عنخ آمون . وأصبح ملكا لمصر وحكم فترة أربعة سنوات ودفن في مقبرته بوادي الملوك الغربي .

الملك حور محب من ١٣٤٨ إلى ١٣٢٠ ق.م

يعتبر كاتب كل من قائمة أبيدوس وسقارة الملك حور محب أول ملك شرعى بعد الملك أمنحوتب الثالث وتجاهل عن عمد كل من أخناتون وسمنخ كارع وتوت عنخ آمون وأى الموصومين بالآتونية .

كان حور محب هو اليد المحركة في عهد الملك « آى » وكان يشغل وظيفة القائد الأعلى للجيوش المصرية فاستطاع بسهولة من أن يعتلي عرش مصر بعد

(1) Carter, The Tomb of Tut-Ankh-Amen, 3 Vols London, 1923 - 1933.

- Noblecourt, Tutankhamen, 1963 .

وفاته وذلك لعدم وجود الوريث الشرعي . وقد استطاع حور محب من أن يكتسب شرعنته بزواجه من الأميرة موت نجمت⁽¹⁾ اخت الملكة نفرتيتى وأن يعيد الأمان للبلاد بقوة السلاح . وأعتبر حور محب آخناتون وأتباعه من الملحدين وأمر بهدم ما شيدوه من معابد ومقاصير وأستغل أحجارها حشوا لصروحه الثلاثة التي أقامها في معابد الكرنك وهي الثاني غربا والتاسع والعasier جنوبا ، ولم يكن حور محب يعلم أنه بهذا العمل الانتقامي أنقذ هذه المعابد وحفظ لنا أحجارها من الفناء .

وقد شيد حور محب في بداية حياته مقبرته في منف عندما كان ضابطا ولكنه تركها وشيد أخرى تليق بملكه كملك للبلاد في وادى الملوك ، وإن كان العمر لم يمتد به حتى يستكمل نقوشها ومناظرها . كما نعرف أيضاً من تمثال جميل له ولزوجته في متحف تورين قصة ذهابه إلى طيبة ليتزوج رسميا هناك . وهناك أيضاً لوحة الكرنك وإن كانت مشوهة إلا أنها تقص علينا الإجراءات التي اتخذها حور محب لحماية الفقير من الغنى والضعف من القوى وذلك لتأمين العدالة في البلاد . وهي النصوص التي يطلق عليها اصطلاحا قوانين حور محب⁽²⁾ .

مات حور محب في العام السابع والعشرين من حكمه ودفن بقبره بوادي الملوك .

(1) Pfluger, Horemheb, 1936.

(2) Van De Walle, Le Decret d'Horemheb, CdE, No. 44, 1944, PP 230 - 238 .

الأسرة التاسعة عشرة

من ١٣٢٠ إلى ١٢٠٠ ق.م

الملك رمسيس الأول من ١٣٢٠ إلى ١٣١٨ ق.م

يعتبر حور محب واسطة العقد بين عصرين ، عصر العمارة الذي انتهى بوفاة الملك آى ، وعصر الرعامة الذى يبدأ بالملك رمسيس الأول (باللغة المصرية القديمة رع مس سو آى الاله رع هو الذى أنجبه) مؤسس الأسرة التاسعة عشرة . ويبدو أن الملك حور محب لم يكن له وريث من الذكور فاختار زميلاً إنخرط معه فى سلك الجنديه هو رئيس الرماة « بارع مس سو » وكان كبير السن . ونعرف من تمثالين له عشر عليهما أمام الصرح العاشر بمعابد الكرنك ، يمثلانه فى وضع كاتب ملکى جالس القرفصاء ، الألقاب العديدة التى كان يحملها قبل توليته عرش مصر ذكر منها « رئيس مشاة سيد الأرضين - الوزير - ونائب ملك مصر العليا والسفلى ». وهناك إحتمال أن الملك حور محب قد قلد هذه الوظائف لشقيقه فيه وتوطنه لتوليته العرش من بعده . كما نعرف من آثار له أيضاً أنه منح لقب « ابن الملك » فى أواخر أيامه قبل توليته العرش فهو كما نعرف ليس إينا ملك ، بل كان ابن أحد الضباط المدعو سيتى من أبناء الدلتا .

تولى بارع مس سو عرش مصر بعد وفاة حور محب ، فأسقط أداة التعرف (با) من اسمه فأصبح رع مس سو وهو ما نطلق عليه الآن رمسيس وأمر بوضع إسمه داخل الخرطوش الملكي . وقد حكم فترة قصيرة هي فى رأى مانيتون - نقاً عن المؤرخ اليهودى يوسف - سنة واحدة وأربعة شهور . وتعتبر آثار

رمسيس الأول قليلة جداً ، إذ كل ما تم العثور عليه للآن بعض النقوش التي ترجع لعهده على الصرح الثاني ، بمعابد الكرنك . بجانب لوحة تذكر العام الثاني من حكمه كانت في معبد بوهين إلا أن الذي أقامها - أغلب الظن - هو ابنه سيتي الأول الذي أقام أمامها لوحة أخرى ترجع للعام الأول من حكمه وربما يكون هذا دليلاً على إشتراكه في الحكم مع والده في أواخر أيامه . وقد دفن رمسيس الأول في قبره - الذي لم يستكمل - بوادي الملوك .

الملك سيتي الأول من ١٣١٨ إلى ١٣٠٤ ق.م

تولى الحكم بعد والده رمسيس الأول ويبدو أنه كان مشتركاً معه في الحكم في أواخر أيامه ، وكان لقبه « النبي » هو « وهم - مسوت » أي تكرار الولادة بمعنى عصر البعث أو عصر النهضة . فقد بدأ سيتي الأول عصراً جديداً في تاريخ مصر فقد إهتم فيه بالفلكلور وأرخ سنوات حكمه الأولى باسم سنوات النهضة ، إذ تذكر النصوص على سبيل المثال « السنة الثانية من عهد تكرار الولادة للملك سيتي الأول » على أنه يجب أن نلاحظ أن هذه الأسرة إنجهاها جديداً لم يكن متبعاً من قبل نراه واضحاً في أسماء ملوكها أمثال رمسيس وسيتي ومرنبتاح فقد إنجها ملوكها إلى آلهة الشمال رع (في رمسيس) وست (في سيتي) وبتاح (في مرنبتاح) ولعل السبب الرئيسي في هذا هو أن منبع هذه الأسرة هو الدلتا وليس الصعيد كما كان الحال بالنسبة للملوك الأسرة الثامنة عشرة الذين إنجهاوا من آمون (في أمنحوتب) وجحوتى (في تحتمس) حامياً لهم .

نعرف من المناظر والنصوص المنقوشة على الجدران الشمالية والشرقية الخارجية لبعض الأساطين بالكرنك حروبه في فلسطين وسوريا⁽¹⁾ ويعتبر سيتى من أوائل الملوك الذين سجلوا ما قاموا به من أعمال حربية بحجم كبير على جدران المعابد . ففي العام الأول من حكمه ، قام سيتى الأول على رأس جيشه ليستعيد ما فقدته مصر في آسيا بعد أن وصله تقرير يؤكد أن بدو فلسطين (الشاسو) يدبرون ثورة للخلاص من سيطرة مصر فذهب إلى هناك وقضى عليهم وقد سار بجيشه في طريق حورس وهو الطريق الحربي المستمد في سيناء من ثارو (القسطرة) حتى مدينة رفح وكانت أول قرية في فلسطين . وفي الطريق أمر سيتى ببناء وتجديد نقاط الحراسة لحماية الطريق من بدو الصحراء . نعرف منها « مجدل (أى قلعة محصنة) » سيتى الأول » كما أمر بحفر الآبار لتكون موردا للمياه فهناك « بئر سيتى مرنباتاح » وقد إستطاع سيتى أن يقضي على الثوار ويؤمن الطريق بل وتابع سيره حتى وصل إلى لبنان وإنتصر عليها بل وأمر أميرها بإحضار كميات ضخمة من أخشاب الأرز لمصر . كما قام بحملة أخرى على قادش على نهر العاصي وسحق أعدائه هناك وترك لوحة بها تسجيل وتخليد هذا النصر . كما أن هناك على جدران بهو الأساطين بالكرنك مناظر ونصوص تصوّر حروبه مع ليبيا وملكة الحيثيين . بعد ذلك قام الملك في العامين الرابع والثامن من حكمه بحملتين للقضاء على الثوار في التوبه .

وأصدر سيتى الأول مرسوماً الهدف منه حماية الممتلكات الدينية في

(1) Petrie, A History of Egypt, III, 1927, P, 2, 5 FF.

- Montet, Kemi, 4, 1933, PP. 191 - 215 .
- Breasted, ARE. III, Parag 101 .

أبيدوس من إستغلال موظفي الدولة وهو إن دل على شيء يدل على ضعف النظام بين موظفي الحكومة في هذه الفترة وشدد سيتي العقوبات على الاستغلاليين والفسدين فنرى مثلاً أن عقاب الموظف الذي ينقل بعض الممتلكات بدون وجه حق هو قطع الأنف والأذنين وأن من يسلب راعياً يعاقب بالضرب مائة عصا ... إلخ .

وقد إشترك سيتي الأول في إقامة بهو الأساطين العظيم في الكرنك الذي تبلغ مساحته ٥٤٠٠ متر مربع وفيه ١٣٤ أسطوانة في ستة عشر صفاً ، على أن الصفين الرئيسيين اللذين يتواطئان هذا بهو الضخم شكلت رؤوس تيجانهم على هيئة زهرة بردى يانعة ويبلغ ارتفاع الأسطوان ٢١ متر وجدران هذا بهو وسقفه وما به من أساطين كلها مزينة بالنقوش والمناظر ، النصف الشمالي من هذا بهو يتبع إلى سيتي الأول والنصف الجنوبي يتبع إلى الملك رمسيس الثاني على أن أغلب المناظر الموجودة هناك - بجانب الحرية تمثل الملك في علاقاته المختلفة مع الآلهة والآلهات .

كما شيد الملك سيتي الأول معبداً في المدينة المقدسة أبيدوس وأطلق عليه « بيت ملايين السنين » وهو يعتبر بحق من مفاخر العمارة المصرية إذ تزين جدرانه نقوش دقيقة ومناظر جميلة تميز بتفاصيلها وجمال لوانها وتتمثل الطقوس المختلفة التي يقوم بها الملك أمام الآلهة والآلهات كما يتميز هذا المعبد أيضاً بوجود سبعة مقاصير لآلهة وألهات مصر خصصت واحدة منهم للملك نفسه باعتباره واحداً منهم .

مات سيتي الأول بعد أن حكم ١٤ عاماً ودفن في مقبرته المشهورة بوادي

الملوك والتي تعتبر من أكبر وأفخم المقابر الملكية إذ يزيد طولها عن مائة متر داخل صخر الجبل وهي مزينة بالمناظر والتصووص الدينية والملكية المعروفة في ذلك الوقت . أما معبد الجنزى فقد شيده في القرنة في البر الغربى لطيبة ولا زالت بقاياه موجودة حتى الآن .

المملك رمسيس الثاني من ١٣٠٤ إلى ١٢٣٧ ق.م

أشهر ملوك الأسرة التاسعة عشرة ، تولى الحكم بعد وفاة والده سيتى الأول وقد حكم مصر ٦٧ عاما ، أقام خلالها العديد من المعابد والمنشآت التي خلدت إسمه على مدى العصور . وقد ذكر نص في معبد الملك سيتى الأول بأبيdos أن الملك سيتى الأول قد أشرك معه ابنه رمسيس (الثاني) في الحكم ، ولم يعترض رمسيس الثاني بهذه الفترة وإنما يعتد بدأ حكمه بعد وفاة والده مباشرة وبجلوسه على عرش مصر منفردا .

نقل رمسيس الثاني العاصمة إلى بلدة في شمال شرق الدلتا أطلق عليها برميسو أي دار رمسيس ويعتقد البعض أنه أقامها على أنقاض عاصمة الهكسوس أفاريس (١٢ ميل جنوب تانيس) ، ويفضل البعض الآخر من العلماء والمتخصصين أن مدينة تانيس عاصمة الأسرة الحادية والعشرين هي التي قامت على أنقاض مدينة « برميسو » وهي الآن مدينة صان الحجر شمال شرق الدلتا ولعل ما يؤكد هذا هو البقايا الأثرية العديدة التي يرجع أغلبها إلى عهد الملك رمسيس الثاني والتي عثر عليها في مدينة تانيس .

بدأ الملك رمسيس الثاني حياته بالقتال مع أحد طوائف شعوب البحر الذين يطلق عليهم اسم « الشرادنا » والذين أعطوا إسمهم بعد ذلك لسردانيا

وأصبحت موطنًا لهم . ونعرف من لوحة عثر عليها في تاتيس وترجع للعام الثاني من حكمه أنهم « قدموا في مراكب حربية من وسط البحر ولم يستطع أحد ردهم » فأضطر رمسيس الثاني أن يقاتلهم - أغلب الظن - عند أحد مصبات فروع النيل ويهزمهم ويقتل العديد منهم فأستسلم الباقى فأخذهم أسرى حرب ثم بعد ذلك أصبحوا جنودا في جيشه ولما تأكد من إخلاصهم ضمهم - بعد عامين - إلى حرسه الخاص ، فنراهم مصوريين بخوذاتهم ذات القرون ودروعهم المستديرة وسيوفهم الضخمة .

ونعرف من نص منقوش على لوحة ترجع لعهده ، عثر عليها بالقرب من العلمين حيث أقام رمسيس الثاني هناك قلعة لتأمين الحدود الغربية من رحفل الليبيين ، أنه إضطر للقتال معهم عندما بدأوا يزحفون على حدود مصر الغربية .

بعد أن ظهر رمسيس الثاني الدلتا شماليًا من الشرданا وغرباً من الليبيين نجده إتبع سياسة والده في الاحتفاظ بحدود إمبراطوريته في آسيا . ففي العام الرابع من حكمه قام بحملة عسكرية وصلت إلى نهر الكلب (شمال بيروت) ، وبهذا إستطاع أن يحتل شاطئ مملكة أمورو وبالتالي التحكم في نهر الكلب الذي يعتبر - في ذلك الوقت - من أهم وسائل نقل المعدات المختلفة الآتية من البحر المتوسط إلى داخل البلاد . وقد ترك رمسيس الثاني لنا هناك لوحة صخرية تحمل إسمه لتسجل هذا النصر . كان من نتيجة هذه الحملة العسكرية أن انضم أمير مملكة أمورو - وهي المملكة التي يتنازع على السيادة عليها كل من مصر وملكة الحيثيين - المدعو بنتشينا إلى مصر ولم يخضع لتهديدات ملك الحيثيين مواتاً .

كان انضمام مملكة أمورو إلى الجانب المصري من الأسباب التي أدت إلى قيام الملك الحيثى « مواتالى » بجمع جيش كبير بالتحالف مع ممالك أجنبية مختلفة وذلك للقضاء على النفوذ المصري بأسيا . وعلم رمسيس الثاني بهذا ، فقام على رأس جيشه فى العام الخامس من حكمه لمحاربة ملك الحيثيين ومن معه وكانت معركة قادش الشهيرة التى أمر رمسيس الثاني بتسجيلاها بحجم كبير على واجهات وجدران أكثر المعابد التى شيدت فى عهده . فنراها بالنص والصورة على صرح معبد الأقصر وعلى جدران معابد الكرنك وأبیدوس ومعبد الجنتزى المعروف باسم الرامسيوم بالبر الغربى بطيبة ثم على جدران معبده الضخم الذى كان منقورا فى الصخر والمعروف باسم معبد أبو سنبل الكبير كما نعرف أيضاً تفاصيل هذه المعركة من نص مكتوب على إحدى البرديات .

وقد قام رمسيس الثاني ومعه عشرين ألفا من الجنود والضباط بعد أن قسمهم إلى أربعة جيوش ، أطلق عليها أسماء آلهة مصر الرئيسية آمون ورع وبتاح وست ووصلوا حتى لبنان ومنها إلى وادى نهر العاصى . وهناك تمكן الجنود المصريون من القبض على جاسوسين من البدو من أتباع الملك الحيثى مواتالى ، الذى أرسلهما ليتبعا تحركات الجيش المصرى . ويبدو أنهما كانوا من المدربين على القيام بمثل هذه الأعمال ، فقد إستطاع خداع القيادة العسكرية المصرية بإعترافات زائفة متفق عليها مع الملك الحيثى . فقد إعترفا - بعد الضرب القاتل - بأن الملك الحيثى تقهقر بجيوشه إلى حلب عندما وصلته أخبار تقدم الجيوش المصرية ، وذلك على عكس الحقيقة التى تقول أن الملك الحيثى وجيوشه التى وصلت إلى ٢٥٠٠ عربة حربية بكل منها ثلاثة جنود

والتي كانت مختبئة وراء مدينة قادش لفاجحة الجيوش المصرية ، قد أعدوا كمينا للقضاء على الملك رمسيس الثاني وجيوشه . وعند سماع رمسيس الثاني لإعترافات الجاسوسين ، فلم يتحقق من أقوالهما من رجال مخابراته كما هو متبع ، بل أسرع على رأس جيش أمون لكي يلحق بجيوش العدو بدون أن تلحق به باقي جيوشه فعبر نهر العاصي وعسكر مع حرسه الخاص وجيشه أمون في شمال غرب قادش ولم يكن يعلم أن الملك الحيثى وجيوشه كانوا خلف التلال في الجهة الشمالية الشرقية واستطاعوا أن يقومون بحركة إلتفاف حتى وصلوا إلى الجنوب . وما أن بدأ الجيش الثاني ، جيش رع ، بعبور نهر العاصي حتى إنقضوا عليه وفرقوا شمله . وكان لهذا الهجوم المفاجئ أثره الكبير في تفتت الجيشين رع وأمون وفوجئ رمسيس الثاني بعد أن إنقضت عنه جيوشه ولم يبقى معه إلا حرسه الخاص ، وخاصة أن الجيش الثالث للأله بتاح والرابع للأله ست كانوا بعيدين عنه ، وتمكن بشجاعته ومن معه من الحراس من أن يجمع أفراد جيشه وأن يفتح ثغرة بين جيوش العدو وأن ينجو بنفسه ومعظم جيشه وخاصة أنه في نفس الوقت وصلت قوة عسكرية من الشباب وإنضمت لرمسيس الثاني فتغير سير المعركة وأصبحت لصالح فرعون مصر ولعل السبب في هذا هو إنشغال جنود الأعداء بنهب المعسكرات المصرية .

على أية حال فقد إستطاع رمسيس الثاني بشجاعته أن يحفظ جيشه من هزيمة محققه وبالتالي أن يفسد على الأعداء خديعتهم وخطتهم . بعد ذلك تذكر النصوص المصرية أن ملك الحيثين أرسل لرمسيس الثاني خطابا يلتمس منه العفو وأن يمنع رعاياه نسيم الحياة . وقد فضل رمسيس الثاني - بعد

استشارة ضباطه - أن يقبل خضوع العدو . وعاد إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه ^(١) .

بعد ذلك تذكر النصوص المصرية أن ملك الحيثين أرسل إلى « رمسيس الثاني » خطابا يلتمس منه العفو وأن يمنع رعاياه نسيم الحياة وقد فضل « رمسيس » أن يقبل خضوع العدو وعاد إلى مصر دون أن يضم مدينة قادش إلى أملاكه . هذا من وجهة نظر النصوص المصرية ، أما وجهة نظر الحيثيين فتذكر هزيمة المصريين وأن جيوش الملك الحيثى لاحقت مؤخرة الجيش المصرى حتى دمشق . وقد يختار المؤرخون بين الروايتين فالبعض يميل إلى الرواية المصرية ، والبعض الآخر يفضل الرواية الحيثية ، على أنه من الطبيعي أن يحتفظ كلا الملوكين المصرى والحىثى لنفسه بكرامته .

كانت معركة قادش من الأسباب التى دعت « رمسيس الثاني » للقيام بمحاولة أخرى لإستعادة إمبراطوريته فى آسيا ، فبعد أن أعاد تنظيم جيشه قام فى العام الثامن من حكمه بحمله عسكرية إلى فلسطين وسوريا فأحمد الثورات هناك وأعاد الاستقرار للبلاد .

وظللت حالة التوتر مستمرة بين المصريين والحيثيين إلى أن أدرك الطرفين أن السلام خير لهما فأبرما معااهدة « أمن وأخوه وسلام » ونعرف تفاصيل هذه المعااهدة من النصوص المصرية والمسمارية ، ولعل أهم ما تضمنه هذه المعااهدة هو قيام حلف هجومى دفاعى بين « رمسيس الثاني » والملك الحيثى

(1) Schmidt, Ramesses II, 1943.

- Noblecourt, Rameses Le Grand, Paris, 1976.
- Breasted, The Battle of Kadesh, Chicago, 1903 .

« خاتوسيلى الثالث » ، كما تضمنت أيضاً حسن معاملة اللاجئين ومعاملتهم عند عودتهم كمواطنين وليس ك مجرمين ، بعد أن بدأ تبادل الخطابات الودية بين حكام الدولتين بل وأكثر من هذا فقد قام « خاتوسيلى الثالث » بزيارة وديه مصر .

ويبدو أن من بين أسباب هذه المراسلات رغبة رمسيس الثاني في زواج دبلوماسي من إبنة خاتوسيلى الثالث والذى تم فى العام الرابع والثلاثين من حكمه . وقد أمر رمسيس الثاني بتمجيل هذا الحادث السعيد فى أكثر من مكان وعلى أكثر من لوحة . فقد سجل هذا الزواج على جدران معابد الكرنك وأبو سنبل الكبير وتذكر النصوص أن فرعون مصر «رأى - فى إبنته الملك الحيشى - أنها جميلة الوجه كأنها إلهة . . . ولقد وقع جمالها فى قلب جلالته وأحبها أكثر من أى شئ آخر » بل ومنحها الاسم المصرى ماحور نفرو رع . وبهذا أصبح المكان قلبا واحدا كأنهين وعاشت الدولتان فى سلام ولو إلى حين .

إحتفل رمسيس الثاني بالعيد الثلاثيني (الحب سد) الأول بعد ثلاثين عاما من حكمه وكرره فى العام الرابع والثلاثين - وإحتفل به للمرة الثالثة فى العام السابع والثلاثين من حكمه وظل يحتفل بهذا العيد حتى إحتفل بعيد السد الحادى عشر فى العام الحادى والستين من حكمه ، وهناك إحتمال بأنه إحتفل قبل موته بالعيد الثالث عشر من أعياد السد .

كما نعرف من مناظر معبد وادى السبوع بالنوبية أن ذرية رمسيس الثاني تزيد عن المائة ، وقد يرجع هذا لكثره زوجاته سواء الشرعيات أو (الثانويات) . ولعل من أشهر أولاده الأمير خع ام واس الذى إهتم بترميم الآثار وكان كاهنا للأله بتاح والأمير مرنبتاح الذى تولى الحكم من بعده .

وقد خلد رمسيس الثاني نفسه بما أقامه من معابد ومقاصير وتماثيل ولوحات في أنحاء مصر المختلفة . نذكر منها الجزء الأمامي من معبد الأقصر وتكميلاته لبها الأساطين بمعابد الكرنك . ومعابده في كل من أبيdos والنوبة ولعل من أشهرها معبد أبو سنبل الكبير الذي كرسه لعبادة كل من أمنون وبتاح والملك رمسيس الثاني نفسه ومعبد أبو سنبل الصغير الذي كرسه لعبادة الآلهة حتحور وزوجته الملكة نفرتاري . هذا بجانب معبد الجوزي الذي شيده في البر الغربي بطيبة ويعرف باسم الرامسيوم نسبة إليه . ولم يكتفى رمسيس الثاني بكل هذا بل إغتصب العديد من التماثيل وخلي اسمه عليها .

حفر رمسيس الثاني مقبرته في وادي الملوك وإن لم يعثر بداخلها على مومياءه التي وجدت في خبيثة الدير البحري وهي محفوظة الآن بالمتاحف المصري أما زوجته نفرتاري فقد دفنت في مقبرتها الشهيرة بوادي الملوك بطيبة الغربية .

الملك مرنبتاح من ١٢٣٦ إلى ١٢٢٣ ق.م

هو الأبن الثالث عشر للملك رمسيس الثاني وذلك طبقا لقائمة أسماء أبناء رمسيس الثاني التي نقشت على أحد جدران معبد الرامسيوم . ويبدو أن أخوهه الأثنى عشرة الأكبر منه سنا قد ماتوا في عهد أبيهم . فتولى العرش بعد وفاة رمسيس الثاني وأصبح ملكا على مصر .

بدأ حياته بإرسال شحنات من الحبوب إلى الحيثين عندما أصابهم القحط وهددتهم المجاعة وذلك وفاء للمعاهدة التي أبرمها والده معهم . جنح مرنبتاح إلى سياسة الدفاع عن أرض مصر وحدودها أولا ثم الدفاع عن أطراف

الأمپراطورية ، ثانية على أن الخطر الذى كان يهدد مصر فى عهده لم يكن من الشرق أو من الجنوب بل أتى هذه المرة من الغرب من ليبيا . فقد بدأت هجرات القبائل من شمال أفريقيا ومن الصحراء الغربية تتجه إلى حدود مصر الغربية بنساواهم وأطفالهم للبحث عن الطعام وذلك بسبب القحط الشديد الذى ألم ببلادهم وقد أتوا بقيادة - « مرى » رئيس قبيلة الليبو (ليبيا) وقد أتى ومعه أولاده وزوجاته الأثنى عشر وقد يدل هذا على نية الاستيطان فى وادى النيل ، ولهذا إضطر الملك مرنبتاح فى العام الخامس من حكمه أن يرسل حملة عسكرية للدفاع عن حدود مصر الغربية وذلك بعد أن أعد لهم جيشا قويا من المشاة والمركبات الحربية فاستطاع فى معركة الست ساعات من أن يقتل ٦٠٠٠ وأن يأسر ٩٠٠٠ وكانت هذه الهزيمة القاسية عقابا لهم وردعا لأمثالهم . وقد ذكرت النقوش المصرية التى ترجع لعهده تفاصيل هذا القتال على أحد جدران معابد الكرنك ، وقد أمر مرنبتاح بإستغلال ظهر لوحه حجرية من عهد الملك أمنحوتب الثالث ليسجل عليها أن الخبر قد حل بالتحنون (= ليبيا) وأن « إسرائيل قد خربت ورالت بذرتها » وهذه هي المرة الأولى التى يذكر فيها اسم إسرائيل على لوحه مصرية .

مات مرنبتاح ودفن بمقبره بوادى الملوك ، وقد عثر على مومياءه فى مقبرة أمنحوتب الثانى التى استخدمت بعد ذلك كمقبرة جماعية لمجموعة من مومياوات الملوك لحمايتها .

بعد موته حدثت هزة عنيفة فى مصر وتولى بعده مجموعة من الملوك لأنعرف ترتيبهم على وجه التحديد إلا أن الآراء تتجه الآن إلى أن

«أمون مس» قد إغتصب الحكم لنفسه وحكم فترة تصل إلى خمس سنوات ودفن في قبره بوادي الملوك . ثم تولى الحكم بعده ابن مرنبتاح هو الملك سيتي الثاني وحكم سبع سنوات وترك لنا بجانب قبره في وادي الملوك مقصورة في الفناء الأول بمعابد الكرنك . وكانت زوجته «تا - وسرت» هي اليد المحركة لشئون الدولة في عهده ، وبعد وفاته إستطاع «سي - بتاح» - الذي يحتمل أن يكون إينا للملك سيتي الثاني من زوجة ثانية - أن يتولى الحكم ويحتمل أن تاوسرت شاركته في الحكم الفترة التي عاشها والتي استمرت سبع سنوات بعد ذلك إنفردت تاوسرت بالحكم لمدة عامين . وقد اتخذت - كما فعلت حتشبسوت من قبل - الألقاب الملكية ، كما اصطفت مثلها أحد رجالها المدعو «باي» الذي ربما كان سورى الأصل . وقد شيد مقبرته بجانب مقبرتها بوادي الملوك . وبوفاة تاوسرت عام ١٢٠٠ ق.م تنتهي الأسرة التاسعة عشرة .

مشكلة فرعون الخروج :

و قبل أن نترك أيام حكم هذا الملك يحسن بنا أن نشير إشارة عابرة إلى موضوع كثيراً ما نصادفه مقررنا بإسم هذا الفرعون وهو موضوع خروج بنى إسرائيل من مصر ، فمنذ العثور على إسم إسرائيل على لوحة إنتصاراته إعتقد الكثيرون أن الخروج حدث في عهده ، ولكن هذا الرأى لم يوجد سندًا من التاريخ وظللت الآثار المصرية على صمتها تجاه هذا الأمر .

ولكن تحقيق هذا الموضوع من تاريخ العبرانيين وإحتساب الزمن ثم ما جاء من نتائج التنقيبات الأثرية في فلسطين جعل خروج بنى إسرائيل في عهد «مرنبتاح» أمر غير مؤكدة ويجب أن يكون في عهد الأسرة ١٨ ، ولهذا نرى

كثيراً من أسماء الفراعنة تتردد في الابحاث المختلفة فبعض الباحثين يرى أن فرعون الخروج كان «تحتمس الثالث» وبعضهم يرى أنه كان إينه «أمنحوتب الثاني» كما أن هناك من يقول أنه كان «أمنحوتب الثالث»، ووصل الأمر ببعضهم إلى القول بأن خروجهم من مصر كان على أثر موت إخناتون وحاولوا أن يربطوا بين خروجهم وثورة إخناتون الدينية.

بل ظهر رأى آخر وهو أن خروج بني إسرائيل من مصر لم يكن في عهد «مرنبتاح» وإنما كان قبله بنحو ٤٠٠ سنة إذ كان في عهد الهكسوس .. وكل ما نستطيع أن نؤكد أنه لم يظهر في الآثار المصرية أو الآثار الفلسطينية ما يحدد وقت الخروج تحديداً تماماً ، وسيظل هذا الموضوع مفتوحاً للمناقشة حتى ظهور أدلة جديدة ، ومع ذلك فيما زال للرأي القائل بخروجهم من مصر أيام «مرنبتاح» أنصار كثيرون من بين علماء الدراسات التورانية^(١).

(1) Unger, Archaeology and old Testament, Michigan , 1945.

- أحمد فخرى ، المرجع السابق ، ص ٣٥٩ - ٣٦٠ .

- يرمى مهران ، مصر ، ج ٢ ، من ص ٤٤٥ ، إلى ص ٥١٠ .

الأسرة العشرون
من ١٢٠٠ إلى ١٠٨٥ ق.م

الملك رمسيس الثالث من ١١٩٨ إلى ١١٦٦ ق.م

لأنعرف كيف إننتقل الحكم من الأسرة التاسعة عشرة إلى الأسرة العشرين . ولأنعرف ما الذي حدث بعد وفاة الملكة تاوسرت ولكننا نعرف - من الوثائق - أن سنت نخت قد أسس الأسرة العشرين ، ويبدو أنه كان أحد كبار الضباط في هذه الفترة ، فياغتصب العرش لنفسه ولعائلته من بعده وقد حكم فترة تصل إلى عامين توفي بعدها ودفن في مقبرة تاوسرت التي إغتصبها لنفسه لتكون مقره الأبدي .

تولى بعده الحكم ابنه رمسيس الثالث الذي يعتبر آخر فراعنة مصر العظام وقد جلس على عرش مصر في فترة كانت مصر في أشد الحاجة لابن من أبناءها الأقوياء لحمايتها من زحف الغزاه وإتخاذ رمسيس الثالث من رمسيس الثاني مثلاً أعلى له فأخذ يحاكيه في إسمه ولقبه وفيما شيده من معابد وما عليها من مناظر بل وأطلق إسمه على أولاده تيمناً به .

بدأ رمسيس الثالث سنين الأولى بحماية أرض مصر من الأخطار التي تهددها ، إذ بدأت هجرات من شعوب البحر والشعوب الليبية تزحف على مصر فإذا ضطر رمسيس الثالث في العام الخامس من حكمه أن يصد بجيشه هذه الهجرات الليبية التي حاولت من قبل الأستيطان في مصر في عهد مرتباخ

(1) - Erichsen , Papyrus Harris , I, B. A. , V, 1933 .

الذى هزمها شر هزيمة . فقد حاولت هذه الشعوب الليبية فى عهد رمسيس الثالث أن تواصل زحفها إلى الدلتا بل وخررت بعض مدنها . وقد تمكن رمسيس الثالث من أن يوقف زحفها ويقضى عليها ويقتل ١٢٥٣٥ منهم وقد ترك رمسيس الثالث تفاصيل هذا القتال بالكلمة والصورة على جدران معبده الجنزى بمدينة هابو بطيبة الغربية .

وفي العام الثامن من حكمه قام رمسيس الثالث على رأس جيوشه البرية والبحرية للدفاع عن مصر وحمايتها من شعوب البحر التى نزلت من آسيا الصغرى وجزر بحر إيجه فاجتاحت مملكة الحيثيين وقضت عليهم وكانت هذه الهجرات تتكون من شعوب مختلفة أهمهم شعب البلست الذى ميز كل منهم ريشة على رأسه وشعب الثكر الذى ليس كل منهم خوذة ذات قرنين . وقد استمروا فى زحفهم فخرموا شاطئ مملكة أمورو وقضوا على الفوذ المصرى فى سوريا ثم وصلوا بعد ذلك إلى فلسطين ومنها بالبر والبحر إلى مصر . فقد فضل البعض منهم الطريق البرى فسلكوه بعرباتهم الحربية التى تجراها الجياد ثم يتبعهم نسائهم وأطفالهم بعرباتهم التى تجراها الثيران ، وفضل البعض الآخر الطريق البحرى . فركبوا سفنهم حتى وصلوا إلى مصابات نهر النيل . وقد استطاع رمسيس الثالث بخططه أن يتصر عليهم برأ وبحراً ، فقد استطاع الجيش المصرى فى ذلك الوقت من أن يقضى على تجمعاً للعدو .

وإن كانت النقوش المصرية قد ذكرت المعركة البرية بایجاز فقد أفادت سواء بالكلمة أو الصورة فى تفاصيل المعركة المائية التى شاهدتها على أحد جدران معبد مدينة هابو ولعل مناظر هذه المعركة تعتبر الأولى من نوعها التى

تمثل المعارك المائة في تاريخ الحضارة المصرية^(١) . وبهذا إستطاع رمسيس الثالث من أن ينقد مصر من خطر داهم كان أن يقضى عليها وفي العام الحادى عشر من حكمه اضطر رمسيس الثالث أن يقوم على رأس جيشه للقضاء على الليبيين بزعامة «مششر» الذين وصلوا إلى الفرع الكانوبى للنيل بنساوهם وأطفالهم ، فقضى على ٢١٧٥ منهم وأسر ٢٠٥٢ كما إستولى على كل ما معهم من الماشية .

أما عن الحالة الداخلية في مصر فتعرف تفاصيلها من نتائج الحفائر ومن بردية هاريس رقم (١) المحفوظة الآن بالمتاحف البريطانى والتى ترجع لعهد رمسيس الثالث هذه البردية توضح لنا ما وصلت إليه الحالة الاقتصادية في مصر ونصيب معابد الآلهة منها . إذ نعرف أن مجموع ما يمتلكه معبد آمون من أراضي زراعية وصل إلى ١٠٪ من مجموع الأراضي في حين أن نصيب جميع الآلهة الأخرى لا يزيد عن ٥٪ من هذه الأراضي . فقد كان يتبع معبد آمون في طيبة بمفرده ٨٦٤٨٦ خادماً و ٤٢١٣٦٢ رأساً من الماشية كبيرة وصغيرها وكان عدد الأرغفة التي تقدم في الأعياد ٢٨٤٤٣٥٧ والطيور ١٢٦٢٥ كما كان يمتلك مناجم للذهب والفضة هذا فضلاً عن العديد من المصانع التي تتبع له . وقد يوضح هذا مدى ما وصل إليه نفوذ كهنة آمون في عهد رمسيس الثالث^(٢) .

إنتهت حروب رمسيس الثالث بإنتهاء العام الحادى عشر من حكمه ونعرف

(1) - Nelson, " The Naval Battle Picture at Medinet Habu " , JNES , 2, 1943,
pp, 45 - 4 .

(2) - Erichsen, Papyrus Harris , I. B. A. , V, 1933 .

من نتائج الحفائر التي قامت في مدينة العمال المعروفة باسم دير المدينة بالبر الغربي بطيبة صورة واضحة للحياة الاجتماعية للعمال الذين قاموا على إكتافهم أغلب ما شيد من معابد ومقابر فلقد سكن هذه المنطقة فئة من الفنانين والنحاتين والحجارين والعمال بوجه عام الذين عملوا إبتداء من الدولة الحديثة وعلى وجه الخصوص في الأسرتين التاسعة عشرة والعشرين في خدمة الجبانة حيث توجد مقابر الملوك والأشراف . ونعرف من الأعداد الوفيرة من الأستراكا التي عثر عليها وما سجل عليها من نصوص . صوراً من حياتهم وشكاواهم بل وإضرابهم عندما تأخرت رواتبهم الشهرية من التموين الذين يعيشون عليه . ولعل أخطر من هذه المؤامرة التي ذكرتها أكثر من بردية والتي قامت بها بعض من نساء القصر بإشراف الملكة تى للقضاء على رمسيس الثالث وتولية إبنتها بتاورت على عرش مصر . وقد وصلت أخبار هذه المؤامرة إلى رمسيس الثالث الذي أمر بمعاقبة الملكة تى وكل من إشترك معها من نساء القصر ورجال القصر . ورغم ذلك كله فإن صافا للرجل يجب ألا ننسى أنه كان في صدر أيامه آخر الملوك العظام الذين حاربوا ولم يفرطوا في الامبراطورية ، وكان أيضاً آخر البنائين الذين تركوا آثار خالدة على الدهر ، وكان أيضاً آخر الرجال المحترمين في مصر القديمة .

استمر رمسيس الثالث يحكم فترة 31 سنة ، يستطيع في خلالها من أن يشيد العديد من المباني لعل أهمها هو المعبد الذي شيده للإله آمون رع جنوب الفناء الأول من معابد الكرنك وهو من الناحية المعمارية يعتبر المعبد النموذجي لمعابد الآلهة في الدولة الحديثة فهو يتكون من صرح يليه فناء مفتوح ثم بهو للأعمدة وأخيراً قدس الأقدس المكون من ثلاثة حجرات لثالثة طيبة المقدس

الإله أمون الأب والآلهة موت الأم والألهة خنسو الإبن . هذا بجانب معبده الجنزى الشهير بمدينة هابو ونعرف من النقوش التى وجدت على محاجر الحجر الرملى بمنطقة جبل السلسلة (شمال كوم امبو) أن الملك أرسل فى عامه الخامس ٣٠٠.. رجل لقطع نقل الأحجار اللازمة لهذا المعبد . وقد إحتفل رمسيس الثالث أغلب الزمن بعيده الثلاثينى الأول ومات فى العام الحادى والثلاثين من حكمه ودفن بمقبرته بوادي الملوك .

خلفاء رمسيس الثالث :

أتى بعد الملك رمسيس الثالث ثمانية ملوك ، اتخذوا جميعاً إسم رمسيس إبتداءً من الرابع حتى الحادى عشر واختلفوا في فترة حكم كل منهم وتشابهوا في ضعفهم وخضوعهم لكهنة الآلهة أمون . ولهذا فضلوا الإقامة في الدلتا للبعد عن نفوذ الكهنة في طيبة وقد استمر حكمهم جميعاً ثمانين عاماً وقد لاحظنا أن بداية ضعف السلطة الملكية وإنهايار الحالة الاقتصادية وزيادة نفوذ كهنة الآلهة أمون كان واضحاً في السنوات الأخيرة من حكم رمسيس الثالث وبدأت الأمور تسير من سيء إلى أسوأ إلى أن اغتصب العرش رمسيس الرابع وظل يحكم ست سنوات حاول فيها أن يحسن حالة البلاد وأن يقيم المنشآت الدينية وغيرها ، إذ تذكر نقوش محاجر وادى الحمامات أنه أرسل في العام الثالث من حكمه بعثة مكونة من ٨٣٦٨ رجل إلى هناك لاحضار الأحجار اللازمة لهذه المنشآت ولم يطل به العمر ليتابع إقامتها ودفن في قبره بوادي الملوك ولعل شهرة المقبرة الملكية لرمسيس الرابع ترجع إلى أنه عثر على تحطيط معماري لها ، موضح عليه الإصطلاحات الهندسية بالخط الهيرواطيقى مسجلاً على بردية محفوظة الآن بمتحف تورين .

تولى الحكم بعده رمسيس الخامس وقد حكم فترة أربع سنوات فقط ، ونعرف من بردية ولبور Wilbour أنه تم في العام الرابع من عهده مسح شامل لأراضي مصر الزراعية إبتداء من الفيوم حتى المنيا بمصر الوسطى وتذكر البردية أن أغلب هذه الأراضي كانت تتبع معابد الآلهة وبالتحديد معبد آمون في طيبة كما أوضحت البردية الهيكل الاجتماعي ونظم الضريبة الزراعية في هذه الفترة من تاريخ مصر كما نعرف أيضاً أن الكاهن الأول لأمون في الفترة من رمسيس الرابع حتى السادس كان «رمسيس نخت» وكان والده هو المسئول عن الضرائب وتحصيلها في مصر . وقد حفر رمسيس الخامس مقبرته في وادي الملوك .

جاء بعده رمسيس السادس وحكم 7 سنوات وإغتصب مقبرة رمسيس الخامس وأضاف إليها ولعل ما يميز هذه المقبرة في مناظرها ونقوشها التي تعطينا فكرة عن تصورات هذا العصر عن الحياة في العالم الآخر باللهته وجنته وجحيمه والمقدمة محفورة بالقرب من مقبرة توت عنخ آمون بوادي الملوك .

ولا نعرف كيف استطاع رمسيس السادس من أن ينتهي من إنجازها على الرغم من ضخامتها وأن يأمر برسمها ونقشها وتلوينها حتى ظهرت رائعة فريدة في أسلوبها كل هذا في فترة السبع سنوات التي حكمها رغم سوء الحالة الاقتصادية الواضح في مصر . ثم تبعه ملك ضعيف آخر هو الملك رمسيس السابع وحكم عامين ثم تولى رمسيس الثامن الذي استمر حكمه ست سنوات وللآن لم يعثر على قبره في وادي الملوك .

خبينة الدير البحري :

جلس على عرش مصر بعد ذلك الملك رمسيس التاسع واستمر يحكم

أكثر من عشرين عاماً ولعل شهرته ترجع للبرديات التي تتحدث عن سرقات مقابر الملوك التي حدثت في عهده^(١) . وقد وصل الفساد الإداري ذروته في العام السادس عشر من حكمه وبدأ العصابات في طيبة تتوجه لسرقة المقابر وما بها من ذهب وفضة ولم تسلم مقابر فراعنة مصر العظام أمثال أمنحوتب الثالث وسيتي الأول ورمسيس الثاني من عبئهم . وببدأ الناس يفقدون إيمانهم باللهائهم وبخلوكهم وحكامهم . إذ تسجل إحدى هذه البرديات كيف أن «باسر» عمدة مدينة الأحياء المثلثة في الضفة الشرقية لطيبة تقدم بـ تقرير للوزير «خع أم واست» الذي كان ينوب عن الملك رمسيس التاسع يبلغه فيه عن السرقات التي تحدث في مدينة الموتى (الضفة الغربية لطيبة) تحت سمع وبصر عمدتها «باروعا» فأمر الوزير بتشكيل لجنة للتأكد من صحة ما جاء بالتقرير . وقد سجلت هذه اللجنة النتائج التي وصلت إليها على أكثر من بردية لجعل أهمها هي بردية «أبوت» التي أبقاها لنا الزمن لتعرف منها تفاصيل هذه السرقات وما تم بخصوصها فقد إعترف اللصوص بإنها كلام لقديسية مومياوات فراعنة مصر كبيرهم وصغيرهم مما إضطر ملوك الأسرة الحادية والعشرين من الكهنة أن ينقلوا - سراً بعض مومياوات فراعنة الدولة الحديثة لحمايتها من عبث اللصوص إلى أكثر من مخبأ . فنقلوا ١٣ مومياء إلى مقبرة أمنحوتب الثاني ثم اختاروا مقبرة لم تسم بالدير البحري ووضعوا فيها ٤ مومياء أخرى وهي ما يطلق عليها اصطلاحا خبيثة الدير البحري .

وظلت مومياء الملوك في مخابئها إلى أن تم التوصل إلى مومياوات الدير

(1) - Peet , The Great Tombstones Of The 20 th Dynasty , Oxford , 1930 - Capart
- Gardiner, JEA, 22, 1936, pp. 186 - 189 .

البحري وإلى الموتى المحنطة في مقبرة أمنحوتب الثاني وهم جمِيعاً الآن
بصالحة الموتى بالمتحف المصري⁽¹⁾.

عرفنا كيف أن الأزمة الاقتصادية بدأت تطحن في البلاد في نهاية حكم رمسيس الثالث واستمرت وإزدادت في عهد من تبعه من الرعاع من حتى بدأ العمال ينفجرون من قسوة الحياة إذ ارتفعت أسعار الحبوب إلى خمسة أمثالها. وفي هذه الفترة جلس رمسيس العاشر على عرش مصر وحكم ٨ سنوات ونعرف أن الجموع في عهده قد أنهك العمال مما جعلهم يتربون عن العمل وكانت الخطوة الثانية أن عبروا النيل ليقدموا شكراتهم إلى رئيس كهنة آمون الذي رفض الشكاوى لعدم الاختصاص كما وضح أنه ليس في استطاعته إعطائهم من الحبوب الخاصة بالمعبد ليدفع عنهم غائلة الجموع ، ولكنهم لم يتحركوا من أماكنهم حتى صباح اليوم التالي مما إضطر رئيس الكهنة أن يرسل أحد كبار موظفيه مع نائب مدير الشونة الملكية قائلاً : «إذهبوا إلى غلال الوزير وأعطوا رجال الجبانة مؤوتهم منها».

كان الملك رمسيس الحادى عشر هو آخر ملوك الأسرة العشرين وقد استمر حكمه ٢٨ سنة وقد إزدادت في عهده قوة ونفوذ وجراة كبير كهنة آمون الكاهن أمنحوتب الذي تولى هذا المنصب بعد وفاة والده الكاهن رمسيس نخت . وقد حاول الكاهن أمنحوتب بعد أن تكبدت بين يديه ثروة البلاد وإزداد نفوذه وكثير أتباعه أن يقوم بانقلاب ولكنه أجهض في وقته بمعاونة نائب الملك في كوش المدعو «بانحسى» وقضى على أمنحوتب وتولى بعده حريحور

(1) Maspero, Les Momies Royales de Deir - el - Bahari (M. A. F.C.I) , 1889 .

منصب كبير كهنة آمون وكان هذا في العام التاسع عشر من حكم الملك رمسيس الحادى عشر . ويبدو أن حريحور بدأ حياته فى سلك الجندي وترقى فيها إلى أن وصل إلى منصب «قائد جيوش مصر العليا والسفلى» ثم أصبح «نائب الملك فى النوبة» وتابع طموحه فوصل إلى منصب وزير وأخيراً حقق أمنيته وأصبح رئيس كهنة آمون فى طيبة وذلك بعد موافقة كل من الإله آمون والإله خنسو على ترشيحه فى هذا المنصب . وتجراً حريحور - كما تشهد بهذا مناظر معبد خنسو فى منطقة معابد الكرنك - أن يسمح لنفسه أن يصور فى نفس مرتبة الملك ويحجمه بل نراه يلبس تاج الوجهين ويعتبر نفسه ملكاً فى طيبة على الأقل وأمر بوضع إسمه داخل الخرطوش الملكى وإضافة الألقاب الملكية بل وأطلق على فترة حكمه إصطلاح «عصر النهضة» وأخذ يؤرخ الحوادث طبقاً لهذا العصر ورضى رمسيس الحادى عشر بالأمر الواقع مغلوبًا على أمره . وتنتهى الأسرة العشرون وبالتالي عصر الدولة الحديثة .

الفصل التاسع
الفترة الانتقالية الثالثة
من ١٠٨٥ إلى ٦٦٤ ق.م.

الفصل التاسع
الفترة الانتقالية الثالثة
من ١٠٨٥ إلى ٦٦٤ ق.م.

تشمل الفترة الانتقالية الثالثة الأسرات من الحادية والعشرين إلى نهاية الرابعة والعشرين وهي الفترة التي فصلت بين آخر عصر الرعامسة وعصر النهضة الأثيوبية في الأسرة الخامسة والعشرين وقد استمرت هذه الفترة أكثر من أربعة قرون ، سادها الضعف والأضمحلال والتنازع على السلطة فقدت مصر نفوذها في الخارج .

الأسرة الحادية والعشرون من ١٠٨٥ إلى ٩٤٥ ق.م.

تولى الحكم بعد وفاة رمسيس الحادي عشر الملك سمندس وأسس الأسرة الحادية والعشرين التي استمرت ما يقرب من ١٤٠ سنة وقد حكم سمندس طبقاً لما جاء بتاريخ مانيتون ٢٦ عاماً . وقد بدأت الأوضاع السياسية في البلاد تتغير إبتداء من هذه الأسرة فقد فقدت مصر سيادتها في آسيا وأصبح نفوذها في النوبة يكاد يكون معدوماً . وهكذا إنكمشت مصر إلى حدودها الطبيعية وفقدت كل إمبراطوريتها . بل وأكثر من هذا فقد كان يحكم مصر بيتان مالكان أحدهما في تانيس (صان الحجر في شرق الدلتا) ويحكم منه الملك سمندس الذي كانت له الكلمة العليا في الدلتا ومصر الوسطى والآخر في طيبة التي تعتبر طوال عصر هذه الأسرة عاصمة - من الناحية العملية - لمصر العليا ويحكم منه كبير كهنة آمون الملك حريحور .

وتذكر النقوش التي ترجع لعهد سمندس بأنه أرسل ٣٠٠٠ رجل إلى محاجر منطقة الجبلين بمصر العليا وذلك لإحضار الأحجار الازمة لترميم المعابد والمنشآت الدينية والجنتية في مدينة الأقصر . إنقل العرش بعد وفاة سمندس إلى الملك بسوسينس الأول الذي استمر عهده نصف قرن بالتقريب في تانيس . وفي طيبة كان خليفة حريحور هو ابنه بعنخي الذي فضل الاحتفاظ باللقبين الكهنوتي ونائب الملك في كوش وتنازل عن الألقاب الملكية ولم يسمح بوضع اسمه داخل الخرطوش الملكي وقد يستطيع بسوسينس الأول من أن يوثق العلاقات الودية بين البيتين الحاكمين في تانيس وطيبة وذلك بزواج إبنته ماعت كارع من أكبر أولاد الكاهن بعنخي المدعو باسمهم وهو الذي خلف أبيه في وظيفة الكاهن الأكبر لأمون بل وأعلن نفسه ملكاً على طيبة كما فعل حريحور من قبل . وبعد وفاته تولى ابنه «مساهاحتا» ومن بعده أخوه «من خبر رع» في وظيفة الكاهن الأكبر لأمون .

وفي تانيس تولى الحكم بعد الملك بسوسينس الأول ملك يدعى نفركارع وجاء بعده الملك «أمون أم ابنت» وتنتهي الأسرة بحكم الملك بسوسينس الثاني . وقد وفق الآثرى مونتىه فى الكشف عن مقابر بعض ملوك هذه الأسرة فى تانيس .

وهكذا ظلت مصر طوال هذه الأسرة تحكم من يتبين منفصلين أحدهما فى تانيس والأخر فى طيبة ولم تثبت الوثائق حتى الآن أى صدام بينهما .

ويبقى فى هذه الأسرة الإشارة إلى رحلة الكاهن «ون أمون» إلى لبنان وهى تعطينا صورة واضحة عن انهيار نفوذ مصر فى آسيا فى هذه الفترة .

ون آون :

كلف حريحور الكاهن ون آمون بالذهب إلى لبنان لإحضار أخشاب الأرز اللازمة للمركب المقدس للإله آمون ، فسافر ومعه القليل من الأواني الذهبية والفضية وتمثال للأله آمون ليبارك به ويسهل له مهمته . فلما وصل إلى تانيس أبلغ سمندس بتكليف حريحور ، فساعده في السفر فوق ظهر سفينة تجارية سورية . وفي الطريق إستطاع أحد البحارة من شعب «الشكر» سرقة بعض الأواني الفضية التي كان يحتفظ بها ون آمون ليقدمها هدية إلى أمير جبيل (بيبلوس) نظير خشب الأرز . وعندما وصلوا إلى مدينة صور تقدم بشكوى إلى أميرها الذي كان من شعب «الشكر» أيضاً ليعيد إليه مسروقاته ولكن الأمير تأسف بأن لاسلطان له على السفن الأجنبية التي تقف في مينائه . وفي أثناء سفره بالبحر من صور إلى جبيل وجد ون آمون كيسابه ٣٠ دين (الدين = ٩١ جرام) من الفضة تخص أحد أفراد الشكر فأخذها لنفسه حتى يعيدها إليه ماسروقه منه . وعندما وصل إلى جبيل تقدم إلى أميرها «ذكر بعل» بشكوى طالباً حمايته وإسترداد ماسروق منه . ولكن الأمير رفض مقابلته بل وطلب منه مغادرة الميناء . وظل الحال على هذا ٢٩ يوماً إلى أن إستطاع بعدها ون آمون أن يقابل أمير جبيل الذي سأله عن مهمته فأوضح له «لقد جئت في طلب الخشب اللارم لسفينة آمون رع ملك الآلهة ، لقد فعل أبوك ذلك وفعل جدك من قبله وستفعله أنت أيضاً» فتهكم الأمير عليه وطلب منه أثمان هذه الأخشاب وأفهمه أنه ليس تابعاً لمصر وأنه ليس هناك ما يجبره على إرسال هذه الأخشاب دون دفع ثمنها . وأخيراً وصل ون آمون معه إلى إتفاق

بأن يرسل رسول إلى الملك سمنس وهو كفيل بدفع ثمن هذه الأخشاب فوافق أمير جبيل وأعطيه ما يريد من أخشاب الأرض .

إن قصة ون آمون تعطينا صور مختلفة تماماً وتشير إلى إنهيار نفوذ مصر في تلك البلاد وتوضح أن الوقت قد انتهى الذي كان يأتى فيه أمراء دول خرب لسيا يسجدون فيه لملك مصر ليمنحهم نسيم الحياة .

الأسرات ٢٢ - ٢٤

من ٦٦٤ - ٩٤٥ ق.م

الليبيون :

يستقر الليبيان في شمال الصحراء الغربية ، وكانوا يعيشون على الرعي ، ويعتقد بعض العلماء أنه كانت لهم بعض الصفات الجنسية للمصريين القدماء ، الذين عاشوا في الدلتا في العصر الحجري الحديث ، وتوارد الآثار المصرية أن علاقة مصر بالليبيين ، لم تخلو من المصادمات منذ أوائل الأسرة الأولى الفرعونية على الأقل ، ولعل السبب في ذلك هو فقر بلادهم الذي إضطرهم إلى محاولة التسلل إلى وادي النيل ، لسهولة الحياة فيه نسبياً . وقد حارب الملك «حور عحا» الليبيين في شمال غرب الدلتا ، وتبعه الملك «جد» من ملوك الأسرة الأولى أيضاً ، كما توضح المناظر التي على جدران معبد «ساحورع» من الأسرة الخامسة إنتصاره عليهم ، وقد تكررت هذه المناظر بعد ذلك على جدران المعبد الجنزى للملك «بىپى الثانى» من الأسرة السادسة .

وفي الدولة الوسطى يقص علينا سنوهى أن الملك أمنمحات قد أوفد جيشاً إلى أرض الـ «تحو» (أى أرض الليبيين) ، وكان بقيادة ابنه الإله الطيب سنوسرت ، «الذى عاد ومعه أسرى «تحنو» (إسم آخر لليبيين) وجميع أنواع الماشية التي لا تخصى» .

وفي الدولة الحديثة نشاهد مناظر ردع الليبيين في معابد الكرنك يقوم بها سيتى الأول ، ونراها في بيت الوالى وأبى سنبل ويقوم بها رمسيس الثانى .

وتتحدث النصوص المتأخرة عن الإلهة «نيت» الليبية في سايس وعن الآله حورس الليبي على الحافة الغربية للدلتا ، والسبب في ذلك هو إستيطان بعض القبائل الليبية هذه المنطقة ، وكان من عادتهم عمل وشم على أذرعهم ، يمثل رمز الآلهة «نيت» تيمناً بها .

وقد أطلق المصريون على الليبيين اسم الـ «تحنو» في الدولة القديمة وظهر إبتداء من الأسرة السادسة أقوام آخرن عرفوا باسم «تحو» ، وكان المقصود بهم الجنود الليبيون وبعض سكان شمال الصحراء الغربية ، وقد تميزوا بعيونهم الزرقاء وبشرتهم البيضاء وشعرهم المائل للحمرة . وكان المحاربون منهم يضعون ريشتين في شعر رؤوسهم ، كما كانت لهم لحي مدببة الطرف ، وفي نهاية الأسرة الثامنة عشرة ظهرت قبيلة أخرى عرفت باسم ماشوش وفي عهد «مرنبتاح» إتحدت القبائل تحت رعامة قائدتهم «مرى» زعيم قبيلة «ليبو» (وهو الاسم الذي اشتق منه إسم ليبيا الحالى) وتجمعوا بالقرب من حدود مصر الغربية ولهذا إضطر مرنبتاح بالقيام بحملة لحماية حدوده الغربية وهزمهم شر هزيمة وقد استمرت معهم المرووب في عهد رمسيس الثالث .

بدأ الليبيون بعد ذلك يدخلون مصر في هجرات فردية أو كجندود مرتزقة وبدأ عددهم يزداد وأخذوا يفسحون الطريق لابناء بلدتهم للعمل في مصر ، وبذلك نالوا بالسلم ما لم ينالوه بالحرب .

وقد تمكن الماشوش من أن يصبحوا قادة في الجيش أو من كبار الكهنة وقد إستطاع زعيمهم «شاشانق» الذي كان يحمل لقب «رئيس ما الكبير» أو رئيس الماشوش الكبير من أن يخطط للأستيلاء على عرش مصر بدون سفك الدماء .

فتمكن من أن يزوج إبنته الأمير «وسركون» إلى الأميرة «ماعت كارع» إبنة بوسينس الثاني آخر ملوك الأسرة الحادية والعشرين وبهذا وطد شاشانق علاقته بالبيت المالك . وتولى عرش مصر بعد وفاته وأسس الأسرة الثانية والعشرين .

ولم يعتبر المصريون بأن هذا الحاكم الجديد يمثل سيطرة أجنبية ، فقد تصر الليبيون واستقرت جاليتهم في أهناسيا والفيوم وتمرّز البعض منهم في تل بسطة (الزقازيق) الذي اتخذها ثانى ملوك هذه الأسرة عاصمة له ولعل هذا هو السبب الذي دعى مانيتون من أن يطلق على ملوك هذه الأسرة «ملوك بوباسطة» .

تمّصر الليبيون وتبينوا العادات والتقاليد المصرية واعتنقوا ديانة المصريين القدماء وأمنوا بها بل بالغوا فيها أحياً . فنجد أن شاشانق - قبل ولايته لعرش مصر - يطلب من بوسينس الثاني أن يسمح له بburial of his father (اغرود) في الجبانة المقدسة بأبيدوس طبقاً للطقوس المصرية فيحقق له الملك هذه الرغبة ثم يشيد شاشانق مقصورة جنائزية لوالده ويأمر بوقف أراضي زراعية للصرف عليها وتعيين حراس لحمايتها .

أما طيبة - الدولة الكهنوتجية - فترددت بالتسليم بسلطان شاشانق ولهذا إضطر الملك الجديد أن يعين إبنه «إيوبوت» في منصب كبير كهنة الآلهة أمون وبهذا أصبحت مصر كلها تحت رايته .

ونعرف من لوحة حجرية عشر عليها في الواحة الداخلية بأن شاشانق قد أرسل في العام الخامس من حكمه حملة عسكرية أخرى إلى فلسطين وأخضع

حملة إسرائيل وبهذا استعادت مصر جانباً من نفوذها السياسي والتجاري القديم . ومن أهم الآثار التي تركها لنا التقوش التي تذكر تفاصيل حملته في فلسطين التي أمر بتسجيلها على واجهة مدخل أقامة غرب الصرح الثاني بمعابد الكرنك ويعرف الآن باسم بوابة بوباسطة .

عندما تولى وسركون الأول عرش مصر بعد وفاة أبيه شاشانق الأول عين ابنه المدعو شاشانق أيضاً في منصب كبير كهنة أمون في طيبة بدلاً من أخيه «إيوبوت» وذلك لكتلة تظل وراثة العرش في عائلة وسركون الأول . وفضل الكاهن شاشانق أن يضع اسمه داخل الخرطوش الملكي وأن يعامل معاملة الملوك بل واستطاع أن يورث منصبه من بعده إلى «ابنه حور - سا - إيزيس» الذي يتبع منهج والده ووضع اسمه داخل الخرطوش الملكي وبهذا تمكّن شاشانق الثاني من أن ينتقل منصب كبير كهنة أمون إلى أحد أبناءه وليس إلى أحد من أبناء الملك الحاكم كما كان متبيعاً من قبل .

وبعد وفاة الملك وسركون الأول إنستقل العرش إلى الملك تكلوت الأول ومنه إلى الملك وسركون الثاني الذي عين أبناءه في الوظائف الهامة في الدولة فأصبح البعض منهم في وظيفة الكاهن الأول في طيبة وفي منف وفي تانيس والبعض الآخر أصبح قادة للفرق العسكرية . وعلى الرغم من هذا لم تستقر الأمور في الدولة وبدأ التزاع يظهر بين الفرعين الحاكمين : الفرع الحاكم في الشمال والفرع الكهنوتي في طيبة . مما اضطر وسركون الثاني لإشراك ابنه تكلوت الثاني في الحكم ليضمن له وراثة العرش . وكان تكلوت الثاني قوياً فقد إستطاع - بعد أن انفرد بالحكم - من أن يفرض نفوذه بالقوة في كل

من طيبة والدلتا ، ثم أتى من بعده شاشانق الثالث الذى إستطاع بعد كفاح من أن يستبعد الوريث الشرعى للبلاد وهو الأمير وسركون ابن الملك تكلىوت الثانى .

تعتمد معلوماتنا عن هذه الأسرة على نتائج الحفائر وعلى مخالفه لنا ملوكها من نقوش ومناظر على جدران معابد الكرنك وعلى اللوحات الحجرية التي وجدت بدافن عجول أبيس (السرابيوم) فى سقارة والتى تدل على إهتمامهم بالعقائد المصرية .

يذكر مانيتون أن مؤسس الأسرة الثالثة والعشرين هو الملك «بيوباستس» (بارى باستت) الذى إستطاع فى هذه الفترة من الضعف والتفكك ، وإزدياد نفوذ حكام الأقاليم ، والتباين بين الحكام وقيام الثورات من أن يتزعز لنفسه العرش ويؤسس أسرة جديدة مركزها تل بسطة بل وإستطاع أن يفرض نفوذه على غرب الدلتا وذلك فى الوقت الذى يحكم فيه شاشانق فى تانيس وبهذا أصبحت الدلتا تحكم من بيتن حاكمين أحدهما فى تانيس والأخر فى تل بسطة . أما طيبة - المملكة الكهنوتية فكانت للآن بعيدة عن أحداث الشمال .

تعتبر الفترة الانتقالية الثالثة من الفرات الغامضة المربكة للمؤرخين وذلك لقلة ما خلفته لنا من أثار ولكرة تتبع ملوكها وتشابه أسمائهم ولكرة البيوت الحاكمة التى كانت تحكم مصر .

ولن نكثر تفاصيل هذه الفترة بل سنكتفى بذكر أهم حدث فى هذه الأسرة وهو أن الملك وسركون الثالث إستطاع أن يخلع على إبنته «شب - ان -

أوبيت» الزوجة الالهية لآمون»، أي أصبحت كبيرة لكافئات طيبة وتمتعت بنفوذ وقديس أكبر من نفوذه وقدسيته كبيرة لكهنة طيبة .

ساد الضعف والانهيار والتنازع إلى السلطان بين قادة الجيش وكبار الكهنة في هذه الفترة حتى تمكن بيت ثالث في الشمال في صان الحجر في غرب الدلتا من أن يؤسس الأسرة الرابعة والعشرين تحت قيادة الملك تف نخت ، وبهذا أصبحت تحكم مصر بيت وعائلات مختلفة ، أحدهما في صان الحجر وأخر في أهناسيا وثالث في الأشمونيين ورابع في تل بسطة وخامس في تانيس ، هذا بالنسبة للدلتا أما الصعيد فكانت تحكم فيه طيبة التي كانت بعيدة عن أحداث الشمال . وقد حاول تف نخت جهده لتجميع أقاليم مصر تحت رايته فزحف إلى مصر الوسطى ولكنه إصطدم بجيوش الملك النوبى بعنخى التي تمنت من القضاة على هؤلاء الحكام الضعاف وبهذا أنقذ بعنخى مصر من أزمتها وأنهى عصر الفترة الانتقالية الثالثة وأسس الأسرة الخامسة والعشرين .



الفصل العاشر
العصر المتأخر
من ٣٣٢ إلى ٧٨٠ ق.م.

الفصل العاشر العصر المتأخر من ٧٨٠ إلى ٣٣٢ ق. م.

يشمل هذا العصر الأسرات من الخامسة والعشرين حتى نهاية التاريخ الفرعوني ، ولعل اختيار إصطلاح العصر المتأخر هنا يشير إلى الأسرات الأحدث أي المتأخرة من حيث الزمن : وإن كان ينطبق عليها أيضاً صفة التأخر من حيث الحضارة .

الأسرة الخامسة والعشرون النوبية (الكوشية)

من ٨٧٠ إلى ٦٥٦ ق. م.

نباتا :

وصلت حدود مصر الجنوبية في عهد التحامية إلى مدينة نباتا التي تقوم على سفح جبل برقل عند الجندل الرابع . ومنذ ذلك الحين أصبحت نباتا تحت النفوذ المصري وقد أقام تحتمس الثالث وغيره من فراعنة مصر هناك المعابد والمباني ذات الطابع المصري ولهاذا أطلق على هذه المدينة في الأسرة الثامنة عشرة إسم تحتمس الثالث ثم إشتهرت بعد ذلك بإسم نباتا . وقد تميزت بصبغتها المصرية بل وعبدت هناك آلهة المصريين .

بدأ نفوذ الإله آمون في طيبة يكبر وقوتهم تظهر وثروتهم تزيد إبتداء من

أواخر الأسرة العشرين ، فحكموا ليس في طيبة فحسب بل وصل نفوذهم إلى أقصى حدود مصر الجنوبيّة ، فكانت النوبة تحت سيطرتهم بل وتشبعت بدينهما ولهذا كان للأله آمون السيادة سواء في طيبة أو في النوبة . وظل الحال هكذا إلى أن تولى عرش مصر الملك شاشانق الأول فأبعد الكهنة عن قلعتهم طيبة وعين إبنته كيراً لكهنة آمون . ولهذا يعتقد بعض المتخصصين أنه ابتداء من عهد شاشانق الأول بدأ الكهنة يتوجهون بثروتهم إلى الجنوب حيث استقروا في نباتا وجعلوا منها مركزاً هاماً لعبادة الإله آمون وخاصة أنها كانت محطة تجارية هامة بين مصر والسودان .

الملك بعنخي : من ٧٤٧ إلى ٧١٦ ق. م.

متى بدأت الأسرة النوبية تحكم في نباتا ومن هو أول ملوكها بالتأكيد ؟ لأنعلم . وإن كنا نعرف بأن هناك ملك يدعى كاشتا ، حاول النوبيون في عهده الزحف على مصر العليا . كما نعرف أيضاً أن الملك كاشتا إستطاع أن يقنع « الزوجة الالهية لأمون » الكاهنة « شب - إن أوبيت » إبنة وسركون الثالث من أن تتبنى إبنته « آمون رديس » لكي ترث هذا المنصب الهام بعدها وبالتالي نفوذها الكهنوتي ثم ثروة آمون .

تولى بعنخي الحكم في مملكة نباتا بعد وفاة أبيه كاشتا وقد أصبح من القوة بحيث أخذ يتطلع إلى عرش مصر وقد ساعده على ذلك إضمحلال مصر السياسي والتطاحن القائم بين أمراء الأقاليم . فقام بحملة عسكرية على مصر نعرف أخبارها من نص - بأسلوب إنساني جميل - على لوحة حجرية عشر عليها في نباتا عام ١٨٦٢ م وترجع للعام الحادي والعشرين من حكمه .

وتفص علينا هذه اللوحة كيف أن بعنخي قد أرسل جيشاً إلى الشمال عندما علم أن «تف نخت» قد فرض حمايته على الأشمونيين وأهناسيا بل وزوده بتعليمات لأحترام قدسية المعابد والظهور قبل الدخول إلى هياكلها . وقد يستقبل هذا الجيش في طيبة استقبالاً كبيراً ثم تابع سيره إلى الشمال فوصل إلى الأشمونيين ومنها إلى أهناسيا وكان النصر حليفه أينما حل . وقد استطاع حاكم مدينة الأشمونيين المدعو غرود من الفرار ثم العودة ثانية إلى مدينته فأعاد تحصينها ونظم طريقة الدفاع عنها ولهذا فلم يتمكن جيش بعنخي عند عودته من الشمال من إقتحامها وإكتفى بمحاصرتها . ولم تسع هذه الأنباء بعنخي فقام بنفسه من نباتاً على رأس جيش كبير حتى وصل إلى طيبة وإحتفل هناك مع المصريين بعيد الأوابيت ثم تابع مسيرته حتى وصل إلى الأشمونيين فأقام الأبراج العالية التي تعلو أسوار المدينة وظل جنوده يرسلون سهامهم إلى جنود غرود الذين أنهكهم الجموع . فلم يجد الحاكم غرود أمامه إلا الاستسلام للملك بعنخي بل وأهداه فرساً من أحسن خيوله وذلكر لعلمه بمحبة الملك التوفى للجياد . فغفى بعنخي عن غرود وجده من أمواله ومتلكاته ثم تتبع سيره إلى أهناسيا ومنها إلى منف . وكان تف نخت قد سبقه إليها ف Hutchinsona ونظم دفاعها ولهذا قاومته إلى أن انتصر عليها .

وما أن سقطت منف حتى جاء بقية أمراء طيبة يقدمون فروض الولاء والطاعة للملك بعنخي . بل وإعترف به كهنة عين شمس فرعوناً لمصر ومؤسسًا للأسرة الخامسة والعشرين وإن كان مانيتون قد بدأ هذه الأسرة بأخيه شباباكا لم يجد تف نخت فائدة من مقاومة الملك بعنخي فاستسلم في بادئ الأمر وطلب المغفرة وقدم له فروض الولاء والطاعة فغفى عنه الملك .

إكتفى بعنخي بالسيطرة على أمراء الأقاليم وترك من يثق فيهم يحكم إقليميه وعاد هو إلى نباتا ليصبح ملكاً على مصر والسودان «جعلنى أمون إله نباتا ملكاً على جميع القبائل . كل من أقول له : أنت ملك يكون ملكاً . وكل من أقول له : لست ملكاً - لا يكون ملكاً . وجعلنى أمون إله طيبة ملكاً على مصر . وكل من أقول له لا تتخذ مظهر الملك فهو لا يتخذ مظهر الملك . وكل من أمنحه رضائى لن تمى مديتها إلا بيدى الآلهة المحليون يصنعون الملوك . والشعب يصنع الملوك . أما أنا فإن أمون هو صانعى» .

انتظر تف نخت حتى عاد بعنخي إلى نباتا وبدأ يوطد سلطانه مرة أخرى ، فاعطى لنفسه لقب «حاكم الأرضين وسيد مصر العليا والדלתا» وإستمر يحكم في الشمال فترة عشر سنوات منذ عودة «عنخي» إلى نباتا .

خلفاء بعنخي

عاد بعنخي إلى نباتا واستقر هناك حتى وفاته عام 716 ق.م. ثم جاء أخوه «شاباكا» من بعده وأصبح فرعوناً على مصر إبتداء من عام 716 ق.م. بالتقريب وبدأت الأحوال في آسيا تتغير وبدأت مصر تساعد الدوليات السورية والفلسطينية لكي تستمر في مناورة الدولة الآشورية - (وهي دولة كانت تحتل جانبي نهر دجلة وإشتقت إسمها من أشور وهو أهم الهمم القومى وأقدم مدنهم) وذلك لكي تبعد عنها شبح الحرب معها . وعندما علم الملك الآشوري «تاجلات بيلاسر الثالث» بهذا قام على رأس جيشه وأحمد الثورة في هذه الدوليات .

بعد وفاة الملك النوبى «شاباكا» عام 702 ق.م. تولى الحكم بعده الملك

«ساباتاكا» واستمر ١٢ عاما (من ٧٠٢ إلى ٦٩٠ ق.م) ثم تولى عرش مصر من بعده أخ له هو الملك طاهرقا الذي حكم مصر ٢٦ عاما (من ٦٩٠ إلى ٦٦٤ ق.م.) وأصبح من مشاهير هذه الأسرة وذلك لما قام به من إنشاءات معمارية في مصر والنوبة . إذ نعرف أنه أقام في القناة الأولى بمعابد الكرنك صالة للأساطين تتكون من عشرة أساطين ضخمة ذات تيجان على شكل زهرة البردي المفتوحة ويصل ارتفاع الأسطون إلى ٢١ مترا ولم يبقى منها إلا الأسطون الضخم المعروف بأسطون طاهرقا كذلك عشر في معبد آمون بمدينة قاوا بالنوبة على خمس لوحات حجرية ترجع لفترة حكمه وتقض علينا ما قدّمه الملك طاهرقا من قرابين إلى الآله آمون سيد «جم أتون» بجبل برقل . ولعل من الأحداث السعيدة التي تمت في العام السادس من حكمه هو ارتفاع فيضان النيل إلى ٢١ ذراع وذلك نتيجة لغزارة الأمطار في الجنوب وقد اعتبر طاهرقا هذه الظاهرة دليلا على محبة الآلهة له . ومن أشهر رجال الدولة في عهده «متومحات» الذي ترك له طاهرقا إدارة الشئون الداخلية ووجه نشاطه هو لحماية مصر من الخطر الخارجي الذي يهددها .

كان الملك «سنحريب» هو الذي يحكم دولة أشور في عهد الفرعون طاهرقا . وما أن علم بأن مصر تساعد الدوليات السورية والفلسطينية بقوات مصرية ونوبية حتى سارع بجيشه إلى منطقة الخطر واستولى على المدن الساحلية في فلسطين . ثم تابع سيره إلى بيت المقدس حيث تحصن خلفاء مصر هناك فاستعصت عليه فترك حامية لتحاصرها وتتابع بقية جيشه مسيرته لمهاجمة مصر وحصلت المعجزة إذ تفشي وباء الطاعون في جيشه فعاد إلى نينوى عاصمة بلاده .

وتولى الحكم بعد «سنهريب» في أشور الملك «أسرحدون» الذي قام على رأس جيشه للقضاء على مصر حتى يضع حداً لتدخلها المستمر في شؤون مستعمراته في سوريا وفلسطين فوصل إلى منف عام ٦٧١ ق.م. واستولى عليها وعلى ما بها من ثروات وأصبحت الدلتا تحت سلطانه . وبعد سنوات قليلة عاد «طاهرقا» ومعه جيش كبير فإستعاد منف وهزم الجيش الأشوري المقيم فيها ، وما أن وصلت هذه الأخبار إلى الملك «أسرحدون» حتى جاء مسرعاً على رأس جيشه للقضاء على طاهرقا ولكن المنية عاجلته وهو في الطريق .

ولم يستقر الأشوريين في الصعيد بل إكتفوا بالحصول على الجزية ولم يهدأ المصريون فاجتمعوا حول «نكاو» أمير سايس (صا الحجر في غرب الدلتا) الذي قاد الثورة ضد الغزاة ولكنه لم ينجح ، ثم أعيد ثانية حاكماً لكل من منف وسايس وذلك لاستغلال عداء أسرته للأسرة الحاكمة النوبية .

تولى بعده الملك «أشور بانيبال» عرش أشور وقد حملة على مصر للقضاء على المصريين الذين أعلنوا الثورة ضد غزاتهم ولم يكتف باحتلال الدلتا بل وصل إلى طيبة ودخلها دخول الفاتح المتصر فلجأ طاهرقا إلى نباتا وظل بها حتى مات .

هذا الحال في الدلتا إلا أن الصعيد كان يغلب ، فحمل راية الجهاد «تأنوت أمون» (من ٦٦٤ - ٦٥٦ ق.م.) الذي خلف طاهرقا وجمع جيوشة من أبناء السودان وإنضم إليه أبناء مصر من كل مكان يصل إليه ، حتى وصل إلى منف فحررها من أيدي الغزاه ودخلها دخول الفاتح المتصر . وما أن علم «أشور بانيبال» بهزيمة جيشه في مصر ، حتى أصدر أوامره إلى بعض الفرق العسكرية

الفصل العاشر : العصر المتأخر

في سوريا بالتحرك إلى مصر للقضاء على «تانوت أمون» فوصلتها عام ٦٦١ ق.م. وتمكنـت من هزيمة «تـانوت أـمون» بل وتعـقب جـيوـشه حتى طـيبة ولـهـذا إضـطـرـ الملـكـ التـوـبـيـ أنـ يـلـجـأـ إـلـىـ بـلـدـتـهـ نـيـاتـاـ حتـىـ يـنـجـوـ بـنـفـسـهـ وـظـلـ هـنـاكـ حتـىـ حـانـتـ مـنـيـتـهـ . وـيـخـرـوجـ «تـانـوتـ أـمـونـ» مـنـ مـصـرـ إـنـتـهـتـ فـتـرـةـ حـكـمـ الـأـسـرـةـ الخامـسـةـ وـالـعـشـرـينـ التـوـبـيـةـ .

النهضة في الأسرة السادسة والعشرين الصاوية

من ٦٦٤ إلى ٥٢٥ ق.م.

يطلق على عصر هذه الأسرة العصر الصاوي نسبة إلى مدينة صا (الحجر) التي كانت العاصمة في غرب الدلتا وهي المدينة التي عرفت لدى الإغريق باسم سايس . إستطاع أول ملوكها «بسماتيك» ابن الملك «نكاو» أن يتولى عرش مصر وذلك بعد إختفاء الملك النوبى «تانتوت آمون» من على مسرح الأحداث . وطبقاً لرواية مانيتون فالمملكة «بسماتيك» هو رابع ملوك هذه الأسرة التي استمرت - طبقاً لرواية أفريكانوس ١٥٠ سنة ، ويعطيها يوسيبيوس ١٦٣ سنة وأثبتت الأبحاث العلمية أن فترتها لا تزيد عن ١٣٩ سنة .

المملكة بسماتيك الأولى : من ٦٦٤ إلى ٦١٠ ق.م.

بهزيمة «تانتوت آمون» إستقر الحكم للأشوريين ولكن إلى حين ، إذ أن بسماتيك الأول قد حمل راية الجهاد وبدأ في جمع جيش لطرد الغزاة من أرض مصر وكان لتحالفه مع «جيجيس» ملك ليديا في آسيا الصغرى أكبر الأثر في طرد الغزاة من مصر . فقد أمدته بجنود مرتزقة من الأيونيين (الذين كانوا يحتلون الساحل الشرقي لليونان) والكاريين (الذين كانوا يحتلون الساحل الجنوبي الغربي لشبه جزيرة الأنضول) ساعدته في طرد الأشوريين من مصر بل وتعقبهم حتى فلسطين وظل محاصراً لمدينتهم المحصنة «أشدود» طبقاً لرواية هيرودوت - تسعه وعشرين عاماً حتى استولى عليها .

ويذكر هيرودوت أن البلاد كانت في قبضة إثنا عشر ملكاً وكانت هناك نبوءة تؤكد أن ملك مصر هو الذي سيصب ماء قربانه في معبد الآلهة بتاح من

إناء من البرونز «وابع الملوك الإثنى عشر العدل . . . وفيما هم يزمعون سكب القربان فى آخر أيام العيد ، أحضر لهم الكاهن الأكبر الأواني الذهبية التى اعتادوا استخدامها فى سكب القربان . ولكنه أخطأ فى العدد فاحضر إحدى عشر آية مع أنهم كانوا إثنى عشر ملكاً . ولما لم يكن بسماتيك ، الذى كان يقف آخرهم ، إناء نزع خوذته وكانت من البرونز ومدها ثم سكب بها القربان . وكان جميع الملوك يلبسونها . (ومعنى ذلك) أنه لم يجعل مطلقاً بخاطر «بسماتيك» أى تفكير خبيث عندما مد خوذته ولكن الآخرين فكروا فيما فعله ، وفي الوحي الذى كان قد أنبأهم بأن الذى يسبك منهم القربان من إناء برونزى سيكون وحده ملك مصر . ولما تذكروا النبوة ، اعتبروا أنه من الظلم قتل «بسماتيك» إذ اكتشفوا ، بعد سؤاله ، أنه أقدم على فعلته دون أى تفكير مقصود وقررروا بإبعاده إلى المستنقعات ، وألا تكون له صلات مع باقى أقاليم مصر» ثم يستمر هيردوفت فى روايته فيذكر «ولما أحس أنهم امتهنا كرامته فكر فى الانتقام ممن طردوه فأرسل إلى معبد «بوت» حيث يوجد وحى مصدق تمام التصديق عند المصريين ، وجاء الوحي بأن الانتقام سيأتى من البحر عند ظهور قوم برونزيين وداخله شك كبير فى مجيء رجال برونزيين لمساعدته . ولكن بعد مضى وقت غير طويل شاء القضاء المحتم أن يطرح إلى مصر بنفر من الإيونيين والكاريين ، كانوا قد أبحروا بغية السلب . ولما نزلوا إلى البر ، مدرعين بالبرونز ، ذهب أحد المصريين إلى المستنقعات إلى «بسماتيك» ولم يكن قد رأى من قبل رجالاً مدرعين بالبرونز ، فأبلغ «بسماتيك» أن رجالاً برونزيين قد وصلوا من البحر وأنهم ينهبون الأرض . فأدرك «بسماتيك» أن النبوة قد تحققت وعمل على مصادقة الإيونيين والكاريين وإغرائهم بوعود سخية لينضموا

إليه . فلما أقنعهم ، خلع الملوك بمساعدة هؤلاء المرتزقة والمصريين الذين رغبوا في تأييده» .

بعد أن أصبحت الدلتا في قبضة «بسماطيك» بدأ يوجه إهتمامه إلى الصعيد لكي يضمها إلى مملكته ، وتوصل إلى ذلك بأن أرسل عام ٦٥٦ ق.م. ابنته الكبرى «بيت اقرت» (نيتسوكريس) إلى طيبة لتصبح إبنة بالتبني للزوجة الألهية لأمون الكاهنة «أمنرديس» إبنة طاهرقا والتي تولت بعدها هذا المنصب تحت إسم ، «شب - ان - أو بت» وأصبحت الزوجة الثالثة لأمون التي تحمل هذا الإسم وكانت صاحبة هذا المنصب الدينى مساوية للفرعون من الناحية النظرية فكان يكتب إسمها داخل المخبطوش كما تتمتع بجانب نفوذها الدينى بشروة آمون الضخمة .

يتوحد مصر بدأ بسماطيك عصرًا جديداً ، فقام بإصلاحات عديدة وأنشأ جيشاً وأسطولاً كان قوامها الجنود المرتزقة من الأجانب والقليل من المصريين ، مما أثار الغيرة في نفوس الجنود الوطنيين ، إذ بدأ الإغريق يهيمون على التجارة فأسسوا مركزاً تجاريًا في مدينة «نقاراطيس» ووصل نفوذهم حتى مصر العليا . ولهذا نجد أن المصريين - في هذه الفترة - فضلوا العودة إلى حضارتهم القديمة والتصميم على الاحتفاظ بها ، فأخذوا يتعلقون بالتراث القديم من حيث النظم الإدارية والعقائد الدينية والتقاليد الجذرية للمحافظة على كيانهم الوطنى . وقد إتضحت مظاهر هذه الحضارة فيما خلفه هذا العصر من نصوص أدبية وأثار مختلفة تقوم على محاكاة الأساليب الفنية التي كانت متبرعة في الدولة القديمة والوسطى . مات بسماطيك بعد أن حكم - طبقاً لرواية هيرودوت - ٥٤ عاماً .

خلفاء بسماتيك الأول :

في رواية لهيرودوت أن بسماتيك أنجب ولداً هو «نكاو» حكم مصر . وهو أول من شرع في حفر القناة التي تؤدي إلى بحر «أروترى» (البحر الأحمر) ، والتي تم حفرها من بعده (دارا) الفارسي . . . وقد هلك من المصريين أثناء عملهم في عهد «نكاو» مائة وعشرون ألف عامل . وتوقف «نكاو» في متتصف عملية الحفر لأن نبوءة عاقبه بقولها أنه يعمل لصالح البربر ، والمصريون يسمون كل من لا يتكلم لغتهم بربرا .

إهتم «نكاو الثاني» بالخدمة العسكرية وتشييد الأساطيل البحرية ، كما إشترك في معركة مع السوريين عند «مجدو» وانتصر فيها ثم هزم في حربه مع الملك البابلي «نبوخذنصر» عند مدينة قرقميش على نهر الفرات . ولعل من مآثره أنه أرسل بعثة استكشافية للدوران حول أفريقيا ، فبدأت من البحر الأحمر ودارت حول رأس الرجاء الصالح وعادت عن طريق بوغاز جبل طارق محملة بخيرات أفريقيا وقد استمرت الرحلة ثلاثة سنوات وهي دليل على نية الكشف أولاً وفتح أسواق جديدة للتجارة ثانياً .

حكم «نكاو» الثاني مصر خمسة عشرة عاماً (من ٦٦١ إلى ٥٩٥ ق.م) ثم أتى بعده إبنه بسماتيك الثاني الذي حكم - طبقاً لرواية هيرودوت ست سنوات فقط (من ٥٩٥ إلى ٥٨٩ ق.م). وقد «قام بحملة إلى أثيوبيا ثم توفي بعد ذلك مباشرة» وقد استخدم جنوداً من المرتزقة من مختلف الشعوب . فقد سجل الجنود الكاريون عند وصولهم إلى النوبة نقشاً يخلدون فيه هذه المرحلة على أحد تماثيل رمسيس الثاني في معبد أبي سنبل .

تولى العرش بعد «بسماتيك» الثاني الملك «واح - أب رع» أبريس الذي حكم تسعه عشرة عاما (من ٥٨٩ - ٥٧٠ ق.م) هاجم في عهده الملك البابلي «نبوخذ نصر» مملكة أورشليم التي كانت موالية لمصر ، فقضى عليها وأسر العديد من رجالها وفر الباقون منهم إلى مصر فسهل لهم أبريس العيش فيها وسمح لبعض منهم بالاستقرار في الفتين . كذلك يستجد الليبيون به ليحميهم ضد التوسيع الأغريقى ، فأرسل جيشاً من المصريين - وليس من الجنود الأغريق المرتزقة لأنه كان على يقين بأنهم لن يحاربوا بلدتهم - بقيادة أحمس فوقع الجيش في كمين وأبيد أغلب جنوده من المصريين ونجا عدد قليل بأعجوبة وكانت النتيجة أن قام المصريون بثورة ضد أبريس وبaidu الجيش أحمس وقادت الحرب بين الملكين مات فيها أبريس . فأمر أحمس بدفنه بما يليق به . وتولى الحكم من بعده وعرف باسم أحمس الثاني واستمر حكمه ٤ سنة (من ٥٧٠ إلى ٥٢) وقابلته في البداية مشكلة التوفيق بين الجنود المصريين والأغريق وإستطاع بلاقته من أن يبقى على الجنود المرتزقة لحماية عرشه بل ويقطعهم مدينة نقرطيس لتصبح مدينة إغريقية بمعنى الكلمة ومركزاً هاماً للتجارة بين مصر واليونان . وفي نفس الوقت تمكّن من أن يرضي شعور المصريين وذلك بإحلالهم مكان الحاميات الإغريقية على حدود البلاد .. واستقرت البلاد في عهده حتى مات عام ٥٢٦ ق.م.

وتولى من بعده آخر ملوك هذه الأسرة وهو الملك بسماتيك الثالث الذي لم يزد حكمه عن عامين (من ٥٢٦ إلى ٢٢٥ ق.م) وفي عهده هجم الملك الفارسي «قمبیز» على مصر وهزم المصريين عند بلوزيم (تل الفرما) . وتعقبهم إلى منف وأسر بسماتيك الذي فضل الانتحار على الخضوع للغازي الفارسي وتتابع قمبیز سيره إلى طيبة . وإنّهت الأسرة السادسة والعشرون وأصبحت مصر تحت الحكم الفارسي .

مصر والغزو الفارسي الأسرة السابعة والعشرون من ٥٢٥ إلى ٤٠٤ ق. م.

يبدأ مانيتون الأسرة السابعة والعشرون بملك الفارسي «قمبيز» ومعه سبعة ملوك من الفرس ، تستمر فترة إحتلالهم لمصر - في رأيه - ١٢٤ عاما وأربعة شهور . أما يوسيبيوس فيذكر لهم ١٢٠ عاما وأربعة شهور . وتفيد الابحاث أن هذه الأسرة لم تستمر أكثر من ١٢١ عاما .

«وكمبيز» هو ابن «قورش» مؤسس دولة الفرس وهي الدولة التي يطلق الفرس عليها «الدولة الهاخمانية» بينما يطلق الإغريق عليها اسم «الدولة الأكمينية» . وقد استطاع «قورش» من أن يخلص بلاده من تبعية الآشوريين وأن يقضي على ملك المديتين في إيران ويتنزع الملك منه ويسوس دولة فارس ويسيطر سلطانه على بلاد الشام وفينيقيا وفلسطين بل وإمتد نفوذه إلى البحر الأبيض وبدأ يفكر في التوجه لمصر ولكن المنية عاجلته وكان ذلك عام ٥٢٩ ق. م.

قمبيز : من ٥٢٥ إلى ٥٢٢ ق. م.

بعد وفاة الملك قورش تولى العرش في دولة فارس ابنه الملك قمبیز الذي حقق حلم والده واستطاع أن يفتح مصر عام ٥٢٥ ق. م. واستولى على منف وتتابع مسيرته حتى طيبة . ويروى هيرودوت أنه اضطهد المصريين فكرهوا وكان متعمساً في معاملة الكهنة فنبذوه ، وتدخل في معتقدات المصريين فقتل معبودهم العجل «أبيس» .

وتذكر نصوص غثاث لأحد نبلاء سايس المدعو «وجا - حر - رست» وهو معروض الآن بمتحف الفاتيكان أنه يستطيع أن يقنع قمبيز بأن يحسن معاملة المصريين وألهتهم ؛ بل وإسترضاه بإضافة الألقاب الفرعونية إلى إسمه .

يستقر «قمبيز» ثلاث سنوات بمصر ، أرسل خلالها حملة إلى واحة سيبة للانتقام من كهنة معبد آمون هناك وهو المعبد الذي اشتهر بنبواته الصادقة التي أفادت بأن عمر قمبيز قصير وسيلاقنى سوء المصير في مصر . وقد أرسل جيشه لكي يثبت كذب هذه النبوة ولكن الجيش إبتلعته العواصف الرملية الكثيفة التي حدثت لكي تقضى على غرور قمبيز وما زالت للآن جنود قمبيز مطمورة هناك كما أصاب الفشل أيضاً حملته الثانية التي أرسلها إلى النوبة للحصول على خبراتها فإستطيع أمراء بنياتا من أن يلقنوه درساً قاسياً وكان نتيجة هذه الهزيمة أن أصابه - طبقاً لرواية هيرودوت - الجنون . وقد مات في سوريا وهو في طريق عودته إلى بلاده .

خلفاء قمبيز :

أتبى بعد قمبيز ابنه دارا الأول (من ٥٢٢ إلى ٤٨٦ ق.م) وبدأ يغير سياسته مع المصريين . فأعاد النظر في القوانين التي وضعها والده وألغى بعضها لقوساتها . وأمر بجمع القوانين المصرية في عهد الملك أحمس الثاني وذلك لكي يحكم المصريين بقوانين مصرية . ولهذا يعتبره «ديسودور» أنه من أحسن المشرعين في عصره . كما قام بإصلاح ما تهدم من المعابد والمنشآت وأمر بتقديم القرابين للألهة المصرية وللتعجل أبيس بالذات كما أمر بإعادة شق القناة التي لم

تستكمل في عهد الملك «نكاو» الثاني والموصولة للبحر الأحمر . وطلب تسجيل هذا على لوحات حجرية بالخطين المسماوي والهieroغليفي . وقد كان لهذا العمل أثره الكبير في تنمية تجارة العالم القديم .

وظلت نيران الحقد والكراءة تزداد ضد الفرس . فلم ينخدع المصريون بحسن معاملة المستعمر لهم . وبدأوا يستحيون الفرنس للتخلص من نفوذه . وقد واتتهم الفرصة عندما إنشغل الملك «دارا» بالاستعداد للقتال مع الأغريق الذين أنزلوا بجيشه هزيمة قاسية في «المارثون» ٤٩٠ ق.م. فهبت ثورة عاتية في الدلتا قضت على نفوذ الفرس وسبت لهم خسائر كبيرة . فصم «دارا» على الانتقام من المصريين ولكن المنية عاجلته .

وجاء بعده ابنه «اكسركس» الأول (من ٤٦٦ إلى ٤٦٦ ق.م) الذي جهز جيشاً قوياً وأسطولاً ضخماً لإخماد الثورة في مصر ، فقضى على الثورة إلى حين وعيه أخيه حاكماً على مصر حتى ينفذ سياساته فيها وكان رجالاً فظاً غليظ القلب ، نشر الإرهاب في كل مكان ، واستعمل كل أساليب العنف حتى يبيت روح المقاومة عند المصريين ولم يكن هذا إلا دافعاً للمصريين للتخلص من المستعمر في الاستعداد للقتال معه وإغتيال «اكسركس» الأول وخلفه «أرتاكسركس» (من ٤٦٥ إلى ٤٢٤ ق.م) الذي أعدم القاتل . وظلت مصر في عهده مشتعلة بالثورة وكانت هذه المرة أشد عنفاً فقد تجمع المصريون تحت راية زعيم من الدلتا يدعى «أناروس» الذي تمكّن ببناء مصر من القضاء على جزء من الحامية الفارسية وقتل قائدتها ، حاكم مصر شقيق الملك «اكسركس» الأول وتحالف أمير الدلتا مع أثينا للقضاء على الفرس - العدو

المشترك بينهما . ف Amendته بأسطول من السفن ذات الثلاث طبقات من المجاديف تمكن به من إسترجاع أغلب حصون مدينة منف والقضاء على من فيها من الجنود الفرس .

وما أن علم الملك الفارسي بهذا حتى أرسل جيشاً كبيراً أخمد به الثورة وحاصر المصريين في منف ، ففضل أسطول أثينا العودة إلى بلاده ومات أمير الدلتا ولكن الثورة في مصر لم تمت . فاستمرت الثورة تحت قيادة زعيم آخر هو «آمون حر» الذي جمع رجاله لمقاومة المستعمر وطلب معاونة أثينا في مقابل إمدادها بأعداد هائلة من أكيال الغلال ولكن أثينا خبيث ظنه .

أخيراً هدأت الأحوال نتيجة للصلح الذي تم في عام ٤٤٩ ق.م. بين اليونان والفرس ولكن مصر لم تهدأ وطلت نار الثورة مشتعلة فيها إلى أن تم تحريرها على يد أبناءها وطرد الغزو الفارسي .

﴿لِقْنَة﴾

﴿الصَّرْفَ﴾ ٤٨ - ٤٩

إِسْتَطَاعَ قَائِدُ الْشُّورَةِ ، أَمْبِرْ سَايِسْ ، «أَمْوَنْ حِرْ» أَنْ يَصْبِعَ مُلْكًا عَلَى مِصْرَ وَأَنْ يَجْبِرَ الْفَرْسَ عَلَى الْاعْتِرَافِ بِالْإِسْتِقْلَالِهَا . وَيُعْتَبِرُهُ مَانِيَّتُونَ الْمُزَسْ وَالْمَلْكُ الرَّوْحِيدُ لِلْأَسْرَةِ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ الْفَرْعَوْنِيَّةِ وَقَدْ إِتَّخَذَ سَايِسْ عَاصِمَةً لَهُ وَإِسْتَمْرَ حَكْمَهُ سَتَّ سَنَوَاتٍ فَقَطْ (مِنْ ٤٠٤ إِلَى ٣٩٩ ق.م.) وَعَلَى الرَّغْمِ مِنْ أَنَّ السُّوَاثِقَ الْمُكْتَوَبَةَ بِالْحُلْكَ الْهِيرُوْخِلِيفِيِّ لَمْ تَذَكِّرْ إِلَّا أَنَّ الْبَرِيدِيَّاتِ الْدِيمُوْطِيقِيَّةِ وَالْأَرْمِيَّةِ قَدْ أَخْبَرَتْهُ .

تَكَنْ بَعْدَ وَفَاتَهُ الْمَلْكُ «نَايِفَ - عَاوَ - رُودَ» (نَفَرِيَّسْ الْأَوَّل) مِنْ أَنَّ يَؤُسِّسَ اَسْرَةَ التَّاسِعَةِ وَالْعِشْرِينَ الَّتِي إِسْتَمْرَتْ - طَبِيعًا لِرِوَايَةِ مَانِيَّتُونَ - عَشْرِينَ عَامًا (مِنْ ٣٩٩ إِلَى ٣٨٠ ق.م.) وَهِيَ تَتَكَوَّنُ - فِي رَأْيِهِ - مِنْ أَرْبَعَةِ مُلُوكٍ إِتَّخَذُوهُمْ مَدِينَةً «مَنْدَسْ» (تَلُ الْأَمْدِيدُ وَتَلُ الرَّبِيعُ شَمَالُ شَرْقِ الْسَّبْلَاوِينَ) عَاصِمَةً لَهُمْ . وَكَانَ أَهْمَ مُلُوكَ هَذِهِ اَسْرَةِ هُوَ مَؤْسِسُهَا «نَايِفَ - عَاوَ - رُودَ» الَّذِي حَكَمَ سَتَّ سَنَوَاتٍ (مِنْ ٣٩٩ إِلَى ٣٩٣ ق.م.) وَتَحَالَّفَ مَعَ الْإِسْبِرِطِينَ ضَدَ الْفَرْسَ وَأَمْدَهُمْ بِالْقَمْعِ بِمَا يَكْفِي لِتَجهِيزِ أَسْطُولٍ مَكْوُنٍ مِنْ مَائَةِ سَفِينَةٍ مَقاِيلَةً وَلَكِنَّ الْمَدَدَ لَمْ يَصْلَهُمْ إِذَا اعْتَرَضَهُ الْقَائِدُ الْآثِينِيُّ (وَهُوَ قَائِدُ الْأَسْطُولِ الْفَارِسِ) وَحَطَمَهُ عَنْدَ رُودَسْ . وَتَوَلَّ بَعْدَهُ الْمَلْكُ هَكْرُ وَإِسْتَمْرَ حَكْمَهُ سَبْعَ سَنَوَاتٍ (مِنْ ٣٩٣ إِلَى ٣٨٠ ق.م.) حَاوَلَ فِيهَا الْقِيَامُ بِإِصْلَاحَاتٍ دَاخِلِيَّةٍ فِي الْبَلَادِ فَرَمَ الْمَعَابِدَ وَتَعَاوَنَ بِالْمَالِ وَالْمَؤْوَنَةِ مَعَ أَثِينَا ضَدَ الْفَرْسَ وَاتَّهَتْ أَيَّامُهُ .

وتولى بعده ملوك حكم كل منهما مصر بضع شهور ثم انتقل العرش إلى أسرة جديدة هي الأسرة الثلاثين .

إغتصب « نخت نب ف » (نختنبو) الأول عرض مصر وأسس الأسرة الثلاثين . ويدرك مانيتون أن هذه الأسرة من مدينة سمنود (وسط الدلتا) وتكون من ثلاثة ملوك استمر حكمهم ٣٧ سنة (من ٣٨٠ إلى ٣٤٣ ق.م) واستطاع نختنبو في فترة حكمه التي استمرت ١٧ عاماً (من ٣٨٠ إلى ٣٦٣ ق.م) من أن يوحد البلاد بعد فترة الأضطراب التي عاشت فيها وقد ترك آثاراً كبيرة ياسمه أغليها بالكرنك وجزيرة فيله . عاود الفرس في عهده غزو مصر للأحتفاظ بخيراتها ، فوصلوا إلى الدلتا بأعداد هائلة من الجنود الفرس والمرتزقة وتوغلوا فيها ولكن فيضان النيل أوقف تقدمهم ، وأنقذ مصر ، فإضطر الجيش الفارسي للعودة إلى آسيا .

أشرك نختنبو الأول ابنه « جد حر » (تيوس) في أواخر أيامه وما أن انفرد بالحكم (من ٣٦٢ إلى ٣٦١ ق.م) حتى أقحم نفسه في معركة مع ملك أسبرطة وملك أثينا ضد الفينيقيين وهزم فيها وكانت نتيجة التآمر عليه من العائلة المالكة أن جأ إلى فارس ليقضى بقية أيامه هناك .

وتولى من بعده ابنه الملك « نختنبو » الثاني وتميز عهده بالهدوء والطمأنينة واستمر ١٧ عاماً (من ٣٦٠ إلى ٣٤٣ ق.م) ولما كانت مصر بالنسبة للفرس حلم يجب تحقيقه بالاستيلاء عليها وذلك للحصول على خيراتها من غلال

(١) - Capart , Chronique d'Egypte, 29 , 1940 .

- سيد توفيق ، المرجع السابق ، ص ٢٣٨ - ٢٤٠ .

ومعادن . صمم الملك الفارسي «أرتاكسرس» الثالث المعروف باسم «أوخوس» عام ٣٤٣ ق.م. أن يهاجم مصر بجيش ضخم وأسطولى - بعد مقاومة - عليها وإلتجأ نختبو إلى النوبة . ويطلق بعض المؤرخين على الغزو الفارسي الثاني الأسرة الحادية والثلاثين التي استمرت عشر سنوات كاملة بعدها دخل الاسكندر - كما سُنِّي في الباب الثاني - مصر بدون مقاومة وإنعتبره المصريون منقذًا لهم من قسوة الاستعمار الفارسي .

بعض المراجع الهامة

- ١ - أحمد فخرى : مصر الفرعونية - الطبعة الثالثة - القاهرة ١٩٧١ .
- ٢ - آلن جاردنر : مصر الفراعنة - (مترجم عن الإنجليزية ، وقد نقله إلى العربية نجيب ميخائيل) - القاهرة ١٩٧٣ .
- ٣ - جان يويوت : مصر الفرعونية . (مترجم عن الفرنسية ، وقد نقله إلى العربية سعد زهران) - القاهرة سنة ١٩٦٦ .
- ٤ - جون ولسن : الحضارة المصرية (مترجم عن الإنجليزية ، وقد نقله إلى العربية أحمد فخرى) - القاهرة ١٩٥٦ .
- ٥ - عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة سنة ١٩٦٧ .
- ٦ - نجيب ميخائيل : مصر - الطبعة السادسة القاهرة ١٩٦٦ .

- 1 - Cambridge Ancient History, Vols . I-II, Cambridge 1973 - 1975 .
- 2- Fischer Weltgeschichte, Die Altorientalischen Reiche, I-II, Frankfurt, 1965 - 1967 .
- 3- Otto, E, Aegypten , Der Weg des pharaonerveiches , Stuttgart 1955 .
- 4- Wolf, W, Des alte Aegypten, Muenchen 1971 .

الباب الثاني

مصر في عصر البطالمة

الفصل الأول

الإسكندر الأكبر في مصر

الفصل الأول

الأسكندر الأكبر في مصر

تولى الأسكندر عرش Macedonia وكان أبوه قد أعدة طويلاً لهذا الغرض فاحضر له «أرسطو» الفيلسوف ليعلمه ويشذب من شخصيته المقدونية العنيفة ، كما إصطحبه معه في كثير من المعارك التي أبدى فيها الأسكندر شجاعة نادرة وأصبح له معجبون كثيرون من المقدونيون وبقية الجيش والفرسان والأسطول حتى كسب لقب «الأكبر» أو العظيم . لقد كان الأسكندر شديد الحب لأمه وقد ورث عنها الأنفعال الشديد والعنف الذي يصل في بعض لحظاته إلى حد الجنون ، والخيال الحالم ، والواقعية العلمية ، والتخطيط السليم ، والتصرف السريع الحاسم حتى لقبه مؤرخو العصر الحديث بنابليون العالم القديم .

صمم الأسكندر بعد قمع ثورات المدن الإغريقية على إكمال المشروع القديم وهو غزو آسيا الصغرى ولقد كان يحلم بأن تكون حملته عسكرية وحضارية وثقافية لنشر الحضارة الإغريقية في الشرق عن طريق بناء مدن تقوم بدور المنشآت المشعة للثقافة الإغريقية في الشرق ، ولذا إصطحب معه مجموعة من العلماء والباحثين ليرصدوا مصادر الطبيعة في بلدان الشرق وقد قلدته «نابليون بونابرت» في ذلك إبان حملته على مصر ، كما قصد من حملته فتح الشرق الذي كان مغلقاً في وجه الإغريق ولم يتدفقوا على بلدانه الشرقية في حركة إستيطان جديدة ، فبلاد اليونان كانت فقيرة وفي حاجة إلى حركات هجرة وإستيطان وبذلك يقدم للإغريق هدية .

تقدم في عام ٣٣٢ ق.م نحو غزة فاستسلمت ووجد الأسكندر نفسه يدق أبواب مصر ولم يجد أى مقاومة من المصريين ولا من الحامية الفارسية التي بها فتحها في سهولة وكأنه في نزهة عسكرية . وكان الأسكندر ذكياً عارقاً بأسباب تذكر المصريين من الفرس كما يعتبر مصر هي أرض أبيه «أمون رع» ولهذا حرص على معاملة المصريين معاملة طيبة للغاية بإعتباره وريث الفراعنة ، وأظهر احترامه الكامل للديانة المصرية ولعادات المصريين ، ثم وصل إلى منف فإستقبلته كمحرر بطل وحرص على أن يتوج فرعوناً في معبد «بتاح الكبير» ووضع على رأسه تاج من قرنى الكبش رمز أمون ومن ثم عرف في تاريخ الشرق باسم «ذو القرنين» ، ثم أقام مهرجاناً رياضياً ثقافياً ترفيهياً على الطريقة الإغريقية إذاناً بوصول الحضارة الإغريقية رسميًا إلى أرض النيل ، ثم زار آثار مصر وقبور ملوكها في سقارة كما زار منطقة الأهرام وأبو الهول وكانت حفاوة كهنة منف به باللغة خاصة وأنه قدم الأضاحي لالله هناك في خشوع الإبل التقى البار ، ولم يكتفى الأسكندر بذلك بل ذهب إلى معبد «رع» في هليوبوليس «المطيرية» وتوج مرة أخرى هناك بين حفاوة الشعب ومباركة الكهنة ، وقد أكسبه هذا السلوك المذهب إعجاب المصريين وإعتراف الكهنة بمحقه كفرعون مؤله ، فمنحوه الألقاب التقليدية المؤلهة وصوروه بالطريقة التقليدية وهو يرتدى تاج الوجهين ، ولا تزال صوره باقية ويمكن مشاهدتها في مقصورته بمعابد الكرنك .

أما الأغريق المقيمين في عواصم الأقاليم المصرية خاصة في منف وفي مدينة نقرطيس الأغريقية فقد تحمسوا له أشد الحماس لأنه يمثل عنصرهم الذي كان ثانياً وأصبح بمقادمة العنصر الحاكم صاحب السيادة . ومن الواضح أن

فتح مصر كان عملاً سياسياً ناجحاً موجهاً للإغريق الذين أعلناوا تأييدهم وولائهم له ، ولسيادة Macedonia عليهم ، كما كان ضرورة عسكرية في صراعه مع الفرس .

تأسیس مدينة الاسكندرية :

سار بعد ذلك بقواته متوجهًا إلى ساحل البحر المتوسط وراغعه الأهمية الاستراتيجية للشريط الضيق الممتد من الشرق إلى الغرب والمحصور بين بحيرة مریوط وساحل البحر المتوسط ورأى أنه عن طريق تأسیس مدينة ساحلية فوق هذا الشريط فإن تجارة البحرين سوف تلتقطى ، وهذا يعني خلق طريق تجاري جديد بين الشرق والغرب ، ومن ثم كلف الاسكندر أحد مهندسيه لكي يشرف على إكمال المدينة التي اختير لها إسماً مشتقاً من إسم الاسكندر وهو «الاسكندرية» . وبينما شهر المهندسون والعمال في تنفيذ المشروع سار الاسكندر إلى مقصدته الأساسية وهو ليبيا .

الزيارة المقدسة لمعبد أمون في سيوه :

كان الاسكندر يريد أن يشعّ إحساساً في نفسه وهو أنه بالفعل ابن «أمون رع» وبالفعل وصل إلى الواحة الجميلة ، ويروى لنا «بلوتوارخ» كيف أن الاسكندر راح يلاؤ عيناه بالرهبة المقدسة في كل مكان من الواحة ودخل معبد أمون حيث كان الكهنة يتظرون به بالترحيب ، وسمح له كضيف خاص بالدخول إلى قدس الأقدس في المعبد . وقد تركت هذه الزيارة أثراً كبيراً في نفس

الأسكندر وظل ذكرها عالقة بذهنه حتى مات بل وقيل أنه أوصى بأن يدفن بعد موته في هذه الواحة ليكون بجوار أبيه «أمون»^(١).

التنظيم الإداري والمالي والعسكري لمصر في عهد الأسكندر :

حرص الأسكندر على أن ينظم مصر تنظيمًا علميًّا دقيقًا وذكيًّا ينم عن دهائه فقد حرص على الإبقاء على النظم المصرية القديمة وتوسيع الحكم بين المصريين والأغريق الذين وضع بين أيديهم السلطة العسكرية والمالية ، وأبقى للمصريين السلطة الإدارية وبذلك يضمن عدم قيام الثورة الوطنية ويضمن رضا المصريين وينبع في نفس الوقت إحتمال قيام أحد الإغريق أو المقدونيين بالاستقلال بمصر ولذا لم يعين حاكماً مقدونياً أو إغريقياً بل ورع السلطات بتوازن دقيق يمنع مثل ذلك الأحتمال .

أبقى على منف العاصمة المصرية كعاصمة على الولاية وأبقى التقسيم التقليدي والإداري وهو الوجه القبلي والوجه البحري بل وعيّن على كل وجه حاكم مصرى وبذلك أرضى المصريين بإشرافهم في الحكم .

أما السلطة العسكرية فقد جعلها في أيدي المقدونيين فقد ترك حامية مقدونية عسكرية واحدة في سقارة وأخرى في الجنوب ، أما في الشمال فقد ترك أسطولاً لحماية السواحل المصرية ، كما ترك حامية في الشرق وأخرى في الغرب .

لم ينس الأسكندر النظم الإدارية والمالية التي كان الفراعنة قد أوجدوها في مصر والتي تقوم على نظام المقاطعات التي يحكمها محليون نيابة عن

(1) - Fakhry, Siwa Oasis, Cairo, 1944, pp. 35-44 ; 84 - 96 .

الفرعون ، ويجمعون ياسمه وله الضرائب والعواائد . وكل ما هناك أنه عزل السلطة الإدارية عن السلطة المالية بتعيين وزير مالية من أحد إغريق مصر ليشرف على المالية والخزانة وجمع الضرائب وعلى نفقات بناء مدينة الاسكندرية .

كما حرص الاسكندر على فتح أبواب مصر للمهاجرين الإغريق خاصة المقدونيين لأن مصر مستقبلاً كما تخيلها الاسكندر كانت ولاية مقدونية أو إغريقية حكماً وفكراً وثقافة ، وكان ذلك نقطة تحول في تاريخ مصر إذ دخلت عهداً جديداً من حضارتها المتعددة الخاصة بعد تأسيس أسرة البطالمة التي حققت إلى حد كبير هذا الحلم .

و قبل أن يغادر الاسكندر مصر إلى ميدان القتال يستعرض قواته للوداع وقدم القرابين مرة أخرى للألهة المصرية لكنه تشد ذرته في مهمته القادمة ، وأقام للشعب المصري والإغريقي مهرجاناً رياضياً وثقافياً وترفيهياً كرمز للتعاون بين الحضارتين العريقتين تماماً مثلما خلق حكومة مصرية إغريقية لحكم البلاد .

كما أوصى موظفيه ونوابه في مصر بالقيام ببعض الإصلاحات للمعابد المصرية وتجديد معبد الكرنك وإقامة مقصورة له بجوار مقصورة «تحتمس الثالث» ، ولا تزال هذه المقصورة موجودة في المعبد .

لقد كانت الفترة التي قضتها الاسكندر في مصر قصيرة لا تتعذر ستة شهور ولكنها كانت عامرة بالأحداث والإصلاحات التي حولت مصر إلى فلك الحضارة الإغريقية في البحر الأبيض ، وكان يتمنى أن يعود إليها مرة أخرى ليرى ثمار ما وضع ولكن القدر لم يحقق له هذا السرجاء إذ عاد إلى مصر محمولاً محنطاً في تابوت ليكون هذا البلد العظيم مثواه الأخير .

الفصل الثاني
قيام دولة البطالمة
عصر القوة والإزدهار

الفصل الثاني

قيام دولة البطالمة

عصر القوة والإزدهار

كان موت الاسكندر المفاجئ بلا وريث يعني صراعاً مريضاً دام ما يقرب من أربعين عاماً تحطمت في نهايتها الإمبراطورية المقدونية وتحولت إلى ممالك صغيرة حكمها الورثة ، وتم تعيين «بطليموس» على ولاية مصر ليؤسس حكم أسرته الذي استمر ما يقرب من ثلاثة قرون من الزمان إلى أن إستولى الرومان على مصر .

بطليموس الأول يرسي قواعد مملكته في مصر :

وصل بطليموس إلى مصر وأعاد إليها الكتب والتماثيل المقدسة التي كان الفرس قد نهبوا منها ولقي بذلك تأييد الكهنة والشعب ، كانت أحلام بطليموس هي حماية حدود مصر من الشرق والغرب وإقامة قاعدة بحرية للأسطول في قبرص تساعده على نشر نفوذه سواء في آسيا الصغرى أو بلاد اليونان .

فقد أحس «بطليموس» كقائد عسكري محظوظ أن صحراء سيناء في الشرق والصحراء الغربية في الغرب هما المنطقة التي يمكن أن تهاجم مصر من خلالها ، كما أنه في حاجة إلى تأمين الطرق التجارية عبر هذه الصحاري إلى مناطق الأسواق لدعم مركز الأسكندرية التجارى ، كما كان في حاجة إلى

الأخشاب التي تنمو في غابات الأرض في سوريا ولبنان من أجل بناء الأسطول القوى ، كما كان في حاجة إلى مناجم سيناء الغنية بالذهب والنحاس والفيروز ، كما كان يدرك أهمية طريق القوافل الذي كان يربط بين الخليج الفارسي وساحل البحر المتوسط .. ولهذا كلّه خطط بطليموس منذ الورقة الأولى للاستيلاء على فلسطين وجنوب سوريا وكذلك الاستيلاء على جزيرة قبرص لتحويلها إلى قاعدة بحرية للأسطول المصري ، كما بدأ يستعد للاستيلاء على «قورنيه» وتوابعها على حدود مصر الغربية .

بطليموس وجثمان الأسكندر :

طبقاً للسعادة والتقليد الملكي في مقدونيا كان على الملك الجديد أن يبدأ حكمه بالإشراف على جنازة الملك الراحل ودفنه في موكب كبير كرمز للولاء والتقوى ، وبالفعل إستعد «برديكاس» الوصي على الإمبراطورية في الإعداد لإقامة موكب جنائزى لنقل جثمان الأسكندر من بابل إلى عاصمة مقدونيا القدية «إيجه» لكي يدفن هناك ، ولكن بطليموس إستطاع أن يحول الموكب إلى مصر وسار أمامه في خشوع إلى منف ، ولقد أحدث دخول موكب جنازة الأسكندر إلى منف تأثيراً عاطفياً عميقاً لدى المصريين والمستوطنين الإغريق خاصة وأنهم كانوا يشهدون لأول مرة منذ نهاية عصر الفراعنة العظام موكب جنائزياً بهذه المهابة والفخامة .

فلقد كان جثمان الأسكندر مسجى في تابوت موضوع على عربة كبيرة تجرها أربعة مجموعات من البغال كل مجموعة تتكون من 16 بغلًا وكان كل بغل مزييناً باكليل من الأحجار الكريمة والنادرة ، وكان تابوت الأسكندر مصنوعاً

من الذهب الخالص المطروق وملفوقة في حرير وخمائل ذات لون أرجواني لامع ، وفوق التابوت وضع سيف الأسكندر الشهير وكذلك رمحه اللذان صاحباه في حربه ومغامراته ، وزينت العربية بأجراس من الذهب ، وعلى جوانبها من الخارج صور جوانب من أشهر معارك الأسكندر ، وداخل العربية خلف التابوت وضع كرسي العرش الذهبي المزين .

لقد كان هذا الموكب بالنسبة للمصريين مؤثراً وذكرهم بجنازة فراعتهم العظام وبعث فيهم حزناً قومياً خاصة أنهم تذكروا الأسكندر الذي كان من وقت قريب بينهم خاشعاً يقدم الطقوس والشعائر والقرابين لآلهتهم ، ولما دخل الموكب منف يتقدمه بطليموس أحسن المصريون استقبال الجثمان وأثنوا على تقوى بطليموس الذي نجح في تحقيق رغبة الأسكندر ووصيته بأن يدفن في مصر ، وتم إعداد ضريح يليق بالقاهر الراحل في قلب مدينة الأسكندرية التي لم يكن قد انتهى بعد من بنائها .

لقد كان بطليموس على صواب في ذلك لأن دفن الأسكندر أكب الأسكندرية شهرة مقدسة بين أجزاء العالم حيث تدفق الزوار والحجاج فيما بعد للتبرك بالمقام الظاهر . ولا نعرف على وجه التحديد أين يقع الضريح ، إلا أن وصف الزوار القدماء يجعلنا نعتقد أنه يقع في شارع النبي دانياel أقدم شارع طولى في الأسكندرية القديمة وربما بالقرب من الكاتدرائية المرقسية الحالية ، ولقد حاول بعض علماء الآثار التنقيب عليه بجوار تمثال سعد زغلول دون جدوى ، وأغلب الظن أن رطوبة أرض الأسكندرية أدى إلى تحليل الموئيء كما أن الأحداث والدمار التي حاقت بالأسكندرية بعد إنتصار المسيحية على الوثنية بعد إضطهاد مريور لا إنساني لاتخلو من المسئولية في تدمير هذا المقام العظيم حيث دمروا كل أثر للوثنية ومن بينها معبد السيرابيوم العظيم .

هكذا يضرية سياسية ماهرة سرق بطليموس الأضواء من غريم «برديكاس» وحظى بمكانة مقدسة كملك على أرض مقدسة .

بطليموس يدعم حكمه في مصر :

في الحقيقة وقع العباء الأكبر في تأسيس وضع دعائم الأسرة على بطليموس الأول ، فقد وجد شعباً وأرضاً وبلا إدارة منظمة وبلا سلطة قائمة ، وقد حرص على إحترام المصريين الوطنيين ونصب نفسه فرعوناً عليهم فقد أعاد إليهم تراثهم المسروق ، كما أبقى على نظام الإدارة الفرعوني القديم الذي كان يقسم مصر إلى ٤٢ مقاطعة ، وأبقى الإدارة في أيدي المصريين كذلك أبقى على تقسيم كل مقاطعة إلى مراكز ، وتقسيم كل مركز إلى عدد من القرى ، كما أبقى على نظام العمد في القرى ، وألقى مسؤولية جمع الضرائب على موظفين مصريين من أهالي المناطق المحلية ، وإحترم حقوق طبقة الكهنة وإمتيازها . وبهذا نجح بطليموس في خلق إدارة فعالة ومنظمة ومقننة ومركزية فرضت النظام . وقد ركز الملك في يده السياسة الخارجية والعسكرية وإدارة الاقتصاد ، أما الإدارة في الأقاليم فقد تركها للموظفين من الإغريق ، وترك السواد الأعظم من المصريين الوطنيين للعمل في الأرض والإنتاج لصالح الدولة التي أقامت نظاماً إحتكارياً إشتراكياً يتحكم فيه الملك وحده بصفته المالك لمصر وما فيها وما عليها بحق الحرية وحق السيف .

أما بالنسبة لمدينة الإسكندرية العاصمة المثالية مقر حكم البطالة وعاصمتهم فقد جعل لها بطليموس وضعًا خاصًا وأعطى سكانها الحاصلين على حق المواطنة فيها دوراً في إدارتها ، وبالنسبة لحقوق المواطنات فيها فقد أصبح لكل

مقدوني وإغريقي مهاجر من مدينة إغريقية الحق في الحصول على الجنسية السكندرية أى له الحق في حمل السلاح داخل المدينة والحق في حرية الرأي والحديث وله حق عضوية المجلس البلدي الشعبي ، ولكن ليس له الحق في مناقشة أو رسم السياسة الخارجية أو العسكرية أو الاقتصادية لأن شخصية بطليموس كملك لم تسمح بأن تقاد بل كان عليها أن تقرد .

وعلى طريقة الأسكندر قام بطليموس بإنشاء مدينة جديدة في صعيد مصر ليوطن فيها الجنود المسرحين المقدونيين وذلك في إقليم طيبة وسماها «بطلمية» ومكانتها الآن المنشأة بمحافظة سوهاج بالقرب من مركز البلينا ، وقد أقام هذه المدينة لكي تكون مركزاً لنشر الحضارة الهيلينية في قلب الحضارة والزعامة المصرية .

وقد حرص بطليموس على الحفاظ على الدم الإغريقي نقياً حتى لا يضيع في بحر المصريين ولهذا رغم إحترامه لشاعر المصريين حرم الزواج بين الشعرين وكأنه أراد أن يبقى لمصر وجهان ، وجه مصرى يحكمه هو كوريث للفراعنة وحامى للمعابد المصرية ، ووجه إغريقي كملك على الإغريق وراع لثقافتهم فى مصر . لكن هذه القوانين التي تمنع الزواج المختلط لم تمنع الزواج العرفي بين الشعرين ، وإزدادت هذه الظاهرة تدريجياً رغم معارضة قوانين الدولة من الناحية الرسمية ، وكان على هذا الجيل المهجن أن يحمل رسالات الحضارة الإغريقية التي قادت إلى حضارة مصر القبطية فيما بعد وكان على الدولة البطلمية أن تعلق هذه القوانين وترضخ للأعتراف بالأمر الواقع .

تنشيط التجارة :

إهتم بطليموس بدعم وتوطيد تجارة مصر في شرق البحر المتوسط خاصة وأن المتاجات المصرية الزراعية مثل القمح وورق البرد والكتان كانت سلعاً رائجة في الخارج بل أنه أراد مدينة الإسكندرية أن تتحقق الهدف الأول من بناءها وهي أن تكون المدينة الأولى في تجارة البحر المتوسط ، ووجد بطليموس أنه لا يستطيع تنشيط التجارة داخلياً وخارجياً إلا عن طريق عمله قوية ، ولدهشته لم يجد في مصر عملة نقدية رسمية ففي السريف المصري ظل المصريون يتعاملون بمبدأ المقايسة منذ القرن السابع ق . م ، ولما كانت الإسكندرية في نظر بطليموس مدينة إغريقية فقد سارع في سك عملة بعلمية لمدينة الإسكندرية وكانت تحمل رأس الإسكندر وعلى ظهر العملة تمثال زيوس أمون ، ولما تولى بطليموس كملك في عام ٣٠٥ ق . م . وضع صورته وتحته عبارة «بطليموس ملكاً» وعلى الناحية الأخرى صورة النسر الذي يحمل قاذف الصواعق ، وقد انتشرت هذه العملة في قبرص وبرقه وفينيقيا وأسيا الصغرى .

تأليه الإسكندر ووضع ديانة مشتركة بين الإغريق والمصريين :

فكراً بطليموس في مشروعين أولهما تأله الإسكندر الذي كان يلقى الأحترام والعبادة من المصريين الذين سمحوا بوضع صورته كابن أمون في معابدهم ولهذا فكر في خلق شعائر وكهنوت من أجل عبادة الإسكندر ، والثاني وضع أساس ديانة مقبولة للإغريق والمصريين على السواء لتوحيد الشعبين روحياً من أجل السلام والتعايش السلمي .

حرص بطليموس على تجفيف طيبة (الأقصر) على نفقته الخاصة وبنى في الكرنك مقصورة لفيليپ أرهيدايوس وهو يتبع إلى «جحوثى» رب العلم والمعرفة ، وأقام في بهو الأعمدة تمثلاً للإسكندر ابن روكسانا ، وصور نفسه على البوابة وهو يتبع أمام ثالوث طيبة (أمون وموت وخونسو) . كل هذا من أجل تعلق الكهنة ومشاعر المصريين الدينية ، كما حرص على حضور الأحتفالات الدينية ، ورمم المعابد الشهيرة في صعيد مصر وفي الدلتا والتي كانت تعرضت للنهب أو الدمار ، ووصف بطليموس نفسه بأنه محظوظ أمون وحمل الألقاب الملكية الفرعونية .

وبالرغم من هذا كله حرص بطليموس على إيجاد عبادة جديدة تلقي الأعتراف من المصريين والإغريق على السواء ، وقد أدرك بطليموس أن «أوزيريس» المحبوب عند المصريين لأنّه يرتبط بالفيضان وبالزراعة وبالعالم الآخر ، وهو زوج «إيزيس» المحبوبة التي ترمز إلى الأرض الطيبة ، وهو والد «حورس» الذي يحمي الملوك ويرعاهم وكانت عبادة الآلهة الرئيسية قد أهملت منذ زمن ، عندئذ أدرك بطليموس لماذا لا يتزعم حركة بعث أوزيريس وإيزيس وحورس من جديد في شكل له صوره وملامح إغريقيه تتناسب مع الوضع الجديد ؟ وهذا هو ما فعله بالضبط فجمع صورة «زيوس» و «هاديس» الإغريقيين وبين صورة «أوزيريس» و «آمون رع» في ملامح واحدة ، فال فكرة الدينية مصرية والتنفيذ الفني إغريقي وخلق منها ربياً مشتركاً إشتق اسمه من أوزيريس أبيس العجل المقدس ليتحول إلى «سيرايس» وبنى له المعابد مثل السيرابيوم . ومع «سيرايس» ظهرت إيزيس الهلنلنيستيه في الزى الإغريقي جالسة على العرش ترضع طفلها الذي أصبح بعد التأغرق «هربوقراتيس» .

وهكذا ظهر الثالوث السكندرى الهلينستى بصورة جذابة لشعوب البحر المتوسط المتاغرة أكثر مما هي جذابة للمصريين أنفسهم وأصبحت الأسكندرية هي مقر الثالوث الجديد .

مشروعات بطليموس الثقافية والفكرية في الأسكندرية :

كذلك حرص على إحداث نهضة فكرية وفنية وعلمية في الأسكندرية لكي تجتمع بين عرش التجارة والثقافة ، ففتح أبواب القصر الملكي أمام الأدباء وال فلاسفة وبسط بطليموس الذهب أمام هؤلاء العلماء والمفكرين واعدا إليهم بحياة كلها رغد ، فتدفق على الأسكندرية العلماء من كل فروع المعرفة ، وشجع التشاحن والمناظرات بين العلماء ، وقد أغري بطليموس هؤلاء العلماء بتسهيل إتصالهم بالعلماء وتطوير ماوصلوا إليه في الفلك والرياضيات والطب بصورة إغريقية .

ولما تزايد عدد العلماء والفنانين وال فلاسفة في الأسكندرية قرر بطليموس بناء أكاديمية لهم أو جامعة ، أطلق عليها «الموسيون» أي بيت ربات الفنون والأداب التسع ، وجعله كالجنة محاطا بالحدائق وله أبنية فخمة وحجرات وأبهية لراحة العلماء والوافدين وكانت المعيشة فيه جماعية ومجانية للأساتذة والطلاب حيث يتباخثون ويتناظرون ويتأملون ويكتبون في هدوء تام . وهكذا فإن المشروع بداية لنهضة علمية راقية .

وتلى ذلك التفكير في بناء مكتبة عظمى ملحقة بالمسيون أحضر لها الكتب والمخطوطات النادرة من كل مكان وخاصة من آثينا وغيرها من بلاد اليونان ، وقد حرص خلفاء بطليموس على مضاعفة أعداد الكتب والمخطوطات .

هكذا بذل البطالمة الأموال يبذخ وسخاء من أجل جعل عاصمتهم المركز الأول للإشعاع الحضاري في الشرق الهلنستي لدرجة أن البعض يسمى هذه الفترة بالعصر السكندرى ، وبذلك نجح البطالمة في جمع السياسة الاقتصادية بالنفوذ السياسي والتفوق الأدبي والثقافي .

نهاية بطليموس الأول سوتيروس :

ظل بطليموس الأول «سوتيروس» يعمل بنشاط لا يكل وبعزيمة لا تلين حتى بلغ الثمانين من عمره ومن ثم آثر أن يختار من أبنائه لكي يرث العرش من بعده فاختار إبنته من «بيرنيكى» الذي كان قد أعده للعرش وحرص على تعليمه وتنقيفه على يد الفلاسفة والأدباء ، وبدأ بإشرافه تدريجياً معه في الحكم . وبعد عام ٢٨٥ ق.م. أعلن تنازله عن العرش معلناً «أنه خير له أن يكون أبياً ملكاً على أن يكون ملكاً» ونعم بالراحة والوقار حتى موته .

بطليموس الثاني (فيلادلوفوس) (٢٤٦ - ٢٨٥ ق.م)

هكذا تولى بطليموس الثاني وهو في الخامسة والعشرين من عمره عرش مملكة هادئة بلا صراع ولا مجهد ، وقد نشأ محباً للترف والنعم غير مبال للحروب والقتال ، إذ لم يخرج على رأس جيشه أبداً وإنما يترك لقواده مهمة القتال ولكنه كان داهية في السياسة .

وكان من أكثر الناس تأثيراً عليه أخته «أرسينوى» الذي تزوجها وقد إنصاع إلى نفوذها وسحرها بدرجة أنه لقب باسم «فيلادلوفوس» أي المحب

لآخرته ، ولما ماتت رفعها إلى مرتبة الآلهة وخلد إسمها بأن أطلقه على إقليم الفيوم الذي كان قد أتم إصلاحه .

سياسة الداخلية :

بدأ بتنشيط الحياة الاجتماعية والثقافية في الإسكندرية بالاحتفال بعيد جلوسه على العرش حيث تجرى الاستعراضات العسكرية والدينية وتقام الألعاب الرياضية والعروض الترفيهية التي دعى إليها وفود من كل مدن بلاد اليونان .

لقد كان حكم «فيلاطفوس» أغنى عصور البطالة إذ لم تشهد البلاد رخاءً وبذخاً مثلما شهدت في عصره ، كما حرص على دعم مكتبة الإسكندرية بالخطوطالات النادرة ، وكان ولوغاً بالجغرافيا والتاريخ الطبيعي ، وحرص على جلب مشاهير الشعراء إلى «الموسيون» كما حرص على إقامة حديقة حيوانات جمع فيها كل ما هو غريب من الحيوانات والطيور من السنوبه ومن آسيا وجزر بحر إيجه .

وإذا كان بطليموس «سوتيروس» هو الذي وضع أساس الدولة فإن ابنه «فلادلفوس» هو الذي إستكمله وزاد عليها ودعم قواعد الإدارة ومن الصعب أن نفصل بين العصرتين ، ولقد سار «فيلاطفوس» على سياسة والده في تنظيم وبناء جهاز الدولة الإداري والأقتصادي والمالي وتطبيق قواعد ثابتة خاصة بالضرائب والموظفين والدولة وكل أجهزتها ، كما إهتم بالتجارة والتوسيع التجاري ، وبالتالي بالأسطول المصري ، وثبت قواعد النقد وطبق احتكار الدولة للمصادر الطبيعية والثروات .

وزاد إهتمامه بتطوير الزراعة وأكمل مشروع تعمير الفيوم ، كما قام بإنشاء الترع والمصارف والقنوات وتطهيرها من الرواسب ، وشجع كبار الزراع على تصدير منتجاتهم ، وبالطبع كانت الدولة تفرض ضرائب باهظة على المشروعات ، كما أدخل الكثير من النباتات والحبوب والحيوانات التي لم تكن تعرفها مصر في عصورها القديمة ، كذلك دعم جهاز القضاء والبولييس لتأمين الملاحة النيلية والبرية ولم يتردد في إنزال العقاب بالخارجين على اللوائح . ومن الأسكندرية أدار الملك الدولة بجهاز إداري بيروقراطي فعال .

وكانت سياسة «فيلادلوفوس» الخارجية تسير على نفس المسار الذي سار عليه أبوه وهو الاستيلاء على سوريا وفيتنقيا شرقاً ، وقبرص وبعض جزر بحر إيجة ومدن آسيا الصغرى شمالاً ، وبرقة غرباً ، وقد دخل «فيلادلوفوس» في صراعات عدّة من أجل ذلك .

بطليموس الثالث «بورجتيس»، ٢٤٦ - ٢٢١ ق. م.

يعتبر من أعظم البطاللة إعتدالاً واتزانًا كما كان ذكيًا مثقفًا مصلحًا ، بذل قصارى جهده لدعم مركز الأسكندرية الأدبى والعلمى لتصبح كعبة النور والثقافة ، كما كان محباً للحضارة المصرية كينسبوع جديد لتنمية الحضارة الهللينستية ، وكان على علاقة طيبة بالكهنة المصريين الذين أحبوه كما أنه تصرف بحكمة للقضاء على المجاعة التي حدثت في البلاد عندما إنخفض منسوب مياه الفيضان فأعلن تنازله عن الضرائب والتأخرات سواء كانت عيناً أو نقداً ، وإستورد كميات كبيرة من القمح فأنقذ المصريين من هلاك المجاعة ، وأطلق عليه «بورجتيس» أى «الرحيم» لذلك كله .

لقد كان بطليموس الثالث شديد الاحترام لل المعبد المصري و عبر عن هذا الاحترام ببناء عدد كبير من المعابد ، فقد بنى صرحاً في الكرنك عرف بإسمه على غرار ملوك الفراعنة ، كما بدأ في المشروع الكبير وهو بناء معبد ضخم على غرار معبد الكرنك وذلك في إدفو و خصه «لخورس الأدفوري» وربما كان هدفه جلب الأنطوار بعيداً عن معبد آمون في طيبة التي كانت دائماً معادية لحكم البطالة ، وقد بلغ ضخامة المشروع أنه لم يكتمل إلا في عهد «بطليموس الزمار» أى أن العمل استمر ١٨٠ عاماً و يذكرنا ذلك ببناء معبد الكرنك لأن ملوك البطالة صاروا يضيفون إليه على غرار طريقة الفراعنة .

كان بطليموس الثالث محباً للتاريخ وهذا واضح من إهتمامه بوضع تقويم لبداية حكم الأسرة كما حاول تطوير التقويم المصري الشمسي و ضبطه بإضافة يوم كل أربعة سنوات إلى أيام السنين الخمس التي كانت تضاف إلى نهاية السنة المصرية فأصبحت ٣٦٦ يوماً كل أربعة سنوات وهو ما نعرفه بالسنة الكبيسة و بذلك تم ضبط التقويم الشمسي المصري والحفظ عليه حتى جعله «بوليوس قيصر» أساس إصلاحه الجديد للتقويم الروماني فيما بعد والذي أصبح بعد ذلك أساساً للتقويم الأفريقي .

كان بطليموس الثالث محظياً من الإغريق والمصريين على السواء فقد حقق السلام في الداخل والخارج الذي في ظلاله إزدهرت التجارة والزراعة كما كان باراً بأسرته كما يبتعد عن اللهو والفسق الذي اتصف به حكم ملوك الأسرة لهذا فقد أعلن عن تأليهه في حياته هو وزوجته تحت اسم «الربان الرحيمان» .

ولكن العيب الوحيد الذى يؤخذ عليه أن أيام السلام الأخيرة فى حياته جعلته يهمل إعداد الجيش القوى المستعد للطوارئ، وذلك لأنه إكتفى بالدبلوماسية الذكية ، كما أن إنشغال أعدائه والملوک فى سوريا ومقدونيا بالمشاكل الداخلية شجعه على الاستكانة والسلام وبالتالي أهمل الجيش ، وهو لا يعلم أن الهدوء قد يتحول في الغد إلى صراع وأن سياسة الهجوم قد تتحول إلى سياسة للدفاع التي لابد أن يكون قوامها الجيش المستعد المدرّب ، هكذا كان الحال عندما مات «بورجتيس» في عام ٢٢١ ق. م . وتولى بعده بطليموس الرابع .

٣٧٦ ٣٧٧ ٣٧٨

الفصل الثالث
عصر الضعف والانهيار

الفصل الثالث

عصر الضعف والانهيار

بطليموس الرابع «فيليوباتور» :

يعتبر عصره نقطة تحول في تاريخ أسرة البطالمة أو بمعنى آخر بداية العد التنازلي لحكم هذه الأسرة . كما أن شخصية الملك الجديد كانت ضعيفة و منحلة مما جعله يقع فريسة لرجال القصر الذين سيطروا على الملك سيطرة كاملة ، وفي نفس الوقت الذي تولى في سوريا أعظم وأقوى الملوك وهو «أنطيوخوس الثالث» وكذلك تولى ملك قوى عرش مقدونيا وهو الملك «فيليب الخامس» وهو شعلة من النشاط والطموح ، فتحالف الملكان معاً للقضاء على أسرة البطالمة الضعيفة ، في نفس الوقت كانت روما مستقرة في حروبيها .

ويعتقد المؤرخون أن عام ٢١٧ ق.م. هو نقطة التحول في تاريخ دولة البطالمة وذلك بعد إستخدامهم المصريين الوطنيين لأول مرة في تاريخ الحكم البطلמי لمصر في الحروب وما تلى ذلك من إحراز النصر وارتفاع روح المصريين المعنوية و حينيهم للكفاح لأيام الفراعنة العظام ، وانتشرت حركات التمرد الوطنية ضد الحكم البطلמי بل ظهرت النبوّات الدينية التي تبشر المصريين باليقظة والتحرير ، وكان على بطليموس الرابع أن يواجه ثورات المصريين العنيفة بعد أن عادت الثقة لأنفسهم لأول مرة بعد ركود قرون ، كما

أن الاقتصاد البطلmi تدهور نتيجة الفساد والرشوة والبيروقراطية وإستزاف الحروب لقوى البشرية العاملة في مجال الزراعة بعد تجنيد المصريين في الجيش البطلmi .

وقد حاول بطليموس الرابع التقرير إلى الناس بتأليه لنفسه تحت إسم «فيلوباتور» أي (المحب لأبيه) بطليموس الثالث الذي كان محبوباً من قبل الشعب المصري لأعماله العظيمة ، ولكن «فيلوباتور» عاد إلى إغراق نفسه في المجون والعبادة الماجنة وغير ذلك من السلوك غير السوى تاركاً شئون الحكم وظل على هذا الحال حتى عام ٢٠٥ ق.م.

بطليموس الخامس «إييفانيس» ٢٠٥ - ١٨٠ ق.م.

فقدت مصر ممتلكاتها الخارجية بامتناع قبرص وبرقة ، وإذا ذلك الخطر اضطربت تجاراتها الخارجية في البحر الأحمر وصاحب ذلك الثورات من جانب المصريين ، وتدهورت الزراعة وضعفت السلطة المركزية وفشلت في السيطرة على البلاد ، وبدأ بطليموس يشتري ود الكهنة المصريين فمثلاً عندما توج ملكاً على البلاد عام ١٩٧ ق.م. اختار منف العاصمة المصرية القديمة وليس الأسكندرية كما عين بعض المصريين في المناصب العليا سواء في الجيش أو في الإداره ، وهو يسمى «إييفانيس» أي (الإله المتجلى) .

حجر (شيد :

ومن أهم الوثائق التي تعبر عن إمتنان الكهنة المصريين لسياسة التجنيد والتودد إلى المصريين الذي اتبعها بطليموس الخامس هو صدور قرار المجمع

الكهنوتي المصري الذي عقد في منف لشكر الملك وتأييده والتعبير عن مجهوذاته في القضاء على الثوار ، وقد كتب القرار باللغة المصرية القديمة بخطيها الهieroغليفى والديموطيقى ، وباللغة اليونانية ، وقد عشر أحد جنود الحملة الفرنسية على مصر على هذا الحجر المنقوش قرب رشيد ، وللهذا عرف باسم حجر رشيد ، وهو الحجر الذى توصل العالمى资料 french عن طريقه إلى حل رموز الكتابة المصرية القديمة وكان بداية فعلية لعلم الدراسات المصرية وبعد هزيمة الحملة الفرنسية على يد نلسون إشترط الانجليز تسليم هذا الحجر إليهم وهو لايزال موجود حتى الآن فى المتحف البريطانى بلندن . على أى حال نلحظ من قرار كهنة منف إرتفاع روحهم المعنوية وإزدياد الثقة فى أنفسهم .

ثورة طيبة ضد الحكم الباطلمنى :

كانت طيبة هي قلعة المقاومة المصرية لأنها كانت المركز الدينى لأمون وعاصمة الفراعنة الأولى والتى خرج منها الأبطال المحررون ضد الهاكسوس بل أنها رفعت لواء المقاومة ضد الأشوريين . وقد أدى سوء الأحوال فى عهد بطليموس الرابع «فيلوباتور» إلى إندلاع الثورة التى طالبت بالاستقلال عن سلطة الملك فى الإسكندرية .

ولما تولى بطليموس الخامس وأبدى تودداً كبيراً للمصريين هدأت الثورات خاصة وأن الفيوضان فى ذلك العام كان عالياً فأضعف مركز الثوار مما دفعهم إلى الإسلام ، وقد ساء الملك معاملة الثوار المسلمين حيث أعدمهم بطريقة وحشية فعادت الثورة من جديد تنتشر فى طيبة وبلغ من عنف الثورة فى

الجنوب أن أعلنت طيبة الاستقلال عن سلطة العرش البطلمي في الأسكندرية عام ١٨٧ ق.م. ولم يستطع القائد العسكري البطلمي في إقليم طيبة القضاء عليه إلا بشق الأنفس وإستولى على المنطقة الواقعة جنوب الشلال الثاني وجعلها حزاماً يفصل بين النوبة ومصر ليمعن تحريض ملوك النوبة للثوار وسار على هذه السياسة بطليموس السادس ، وما أن قضى على الثورة في الجنوب حتى هبت ثورة في الشمال أى في الدلتا ضد الحكم البطلمي .

ولم يكن القضاء على الثورات بالأمر السهل إذ اضطر القصر الملكي إلى إلغاء الضرائب القائمة بل وصدر عفو شامل عن الجنود المصريين الذين انضموا إلى الثورة ، ومنح كهنة أمون امتيازات جديدة ، وأعطى بعض زعماء المصريين مناصب عليا في الجيش والإدارة ، وخلاصة القول أن القومية المصرية بدأت تكتسح وتتحدى لأول مرة الوجود الإغريقي سياسياً وحضارياً في وادي النيل وهكذا بدأت دولة البطالة تحصر بين شقى الرحمى ففى الشمال تدخل الرومان يزداد تدريجياً تحت شعار حماية المصريين من الأطماع وفي الجنوب بدأ تيار القومية المصرية في الأزدياد وبدأ يطغى على تيار الحضارة الإغريقية ويصبح قوة مؤثرة يتودد الملوك إليها ، بل وبدأ الإغريق يتمصرون علينا وفكراً ولم يبقى من الحضارة سوى اللغة الإغريقية التي لم تنفع هي الأخرى من التمتص .

وفي ظل هذه الظروف يتوفى بطليموس الخامس «إيفانيس» في عام ١٨٠ ق.م. فجأة .

بطليموس السادس «فيلوميتور» : ١٨٠ - ١٤٥ ق.م.

هكذا تولى أكبر الأبناء تحت وصاية أمه وعرف باسم «فيلوميتور»، أى (المحب لأمه) كليوباترا الأولى إبنة أنطيوخوس الثالث ولم تكن الأم من دماء مقدونية خالصة بل النصف شرقية وبذلك أدخل على العنصر الملكي البطلمى دماء شرقية . إنفرد بعد ذلك بطليموس السادس وتوج ملكاً عام ١٧٢ ق.م. وإنげ إلى معحابة الرومان ومعاداة سوريا من أجل إنتزاع جوف سوريا وفلسطين منها . وأصبح هو وأخوه الشقيق ملكان يحكمان مصر ، واحد يحكم من منف وهو بطليموس السادس «فيلوميتور» وأخر يحكم من الأسكندرية وهو بطليموس الثامن «يورجيس الثاني» . ولكن إزاء الخطر السوري إتفق الأخوان على أن يحكما معاً . ثم إنفرد بطليموس السادس بحكم مصر ، وزاد من علاقته بالرومان الذى كان يشعر بأنه مدین لهم بمساعدته فى الجلوس على العرش ، وهكذا إستفادت روما من خلق أخرين كل منهما يتمنى إنتزاع حبه وتودده لها ، وزاد تدخل الرومان لفرض الحماية الرومانية على مصر .

وفي مجال الإصلاح الداخلى فقد كانت إستمرار سياسة التودد إلى المصريين التى بدأها أجداده ومنح الكهنة إمتيازات خاصة وإقطاعيات حتى يشتري سكوت الشعب .. وتوفي بطليموس السادس خلال حروبہ فى جوف سوريا عام ١٤٥ ق.م ، بعد أن إستعاد مصر جوف سوريا .

بطرليموس الثامن «يورجتيس الثاني»: ١١٦ - ١٨٢ ق.م

ترك بطرليموس السادس ابنًا تحت وصية كليوباترا الثانية ورث العرش بعد موته وأيه وعرف باسم بطرليموس السابع «نيوس فيلوباتور» وكان أبوه قد أشركه في الحكم وقد أيد حكم الطفل الجالية اليهودية المقيمة في الإسكندرية وقد غضب الشعب السكندري لتدخل اليهود وكانت أن تحدث حرب أهلية لولا تدخل الرومان الذين أقرروا عودة «يورجتيس الثاني» من برقة وتوليه العرش حسب رغبة الشعب السكندري ، وبسرعة نفذ «يورجتيس» هذا المخطط واستولى على العرش وقتل ابن أخيه الطفل «بطرليموس السابع» ليعلن نفسه بطرليموس الثامن عام ١٤٤ ق.م ، ولم يكن الملك على وفاق مع أرملة أخيه التي قادت ضده ثورة شاركها فيها الساخطون عليه من أهل الإسكندرية ، ثم امتدت تلك الثورة إلى سائر أنحاء مصر وكانت الثورة ضد الملك عنيفة سادت البلاد كلها وشلت الإدارة والنظام ، كما أن الثورة عادت من جديد في طيبة ، ولكن بتأييد من الرومان فجع في فرض سيطرته على البلاد .

بعد ذلك بدأ «يورجتيس الثاني» بإعادة تنظيم البلاد وأعلن عفو للناس عرف باسم «وثيقة العفو التام» الذي حاول فيها تحقيق الأمن والنظام وفرض عقوبات صارمة على المخالفين والمنحرفين واللصوص معلنًا عفوه التام عن جميع الجرائم التي إرتكبت من قبل ، وليهدأ الفلاحين ويعوضهم عن الكوارث التي لحقت بهم أعلن تنازل الدولة عن معظم الضرائب والتأخرات وحصر على عاملى الضرائب استخدام العنف ضد الفلاحين أو استغلالهم بغير حق ، كما أعلن تشجيعه لاستزراع الأراضى البور ، كما شملت الوثيقة محاولات لإرضاء

الثوار المصريين مثل إعفاءهم من بعض الخدمات الإجبارية وتحديد ملكيتهم للإقليميات العسكرية .

لقد كان على بطليموس الثامن ومستشاريه أن يفعل ذلك لأن الأحوال كانت قد ساءت لدرجة التدهور كما أن الاقتصاد أصيب بالدمار الشديد ، والإنتاج الزراعي هبط هبوطاً حاداً ، وتجارة مصر الخارجية التي كانت تعتمد على القمح تأثرت وتعرضت للكساد ، ولكن هذه الإصلاحات جاءت متأخرة كما أنه لم تكن جذرية ومن ثم فلم توقف التدهور والانهيار الذي صاحبه إزدياد الاهتمام الروماني بمصر تمهيداً لاحتلالها .

وأخيراً توفي «يورجتيس الثاني» تاركاً وصية يمنح فيها العرش والتصرف فيه لزوجته كليوباترا الثالثة لتخيار من تشاء من أولاده الثلاثة .

بطليموس التاسع «سوتيروس الثاني»: ١١٤ - ٨١ ق.م.

وهو أكبر أبناء بطليموس الثامن وكان يشغل من قبل وظيفة كاهن الأسكندر ، وتولى العرش بالاشتراك مع أخيه التي لم تسكن على وفاق معه فأثارت عليه شعب الأسكندرية واستدعت إبنتها الثانية «الأسكندر الأول» ليتولى عرش البلاد والذي عرف باسم بطليموس العاشر ، وفر «سوتيروس الثاني» إلى قبرص . ولكن بطليموس العاشر كان ضعيفاً فثار عليه شعب الأسكندرية فاضطر إلى السهرب واستدعى الشعب «بطليموس التاسع» ليتولى العرش مرة أخرى وظل يحكم مصر حتى مات في عام ٨٠ ق.م.

وظلت الأحوال في حالة تدهور شديد من كافة النواحي خاصة إزدياد

التيار الوطني المصري فتجددت الثورات في طيبة ، وحاول «سوتيروس الثاني» كسب ولد المصريين ببناء المعابد والتقارب إلى الكهنة ومنحهم الإمتيازات وزار إدفو ومعابد أسوان . وفي عهده دخلت العلاقات المصرية الرومانية مرحلة جديدة هي الابتزاز المالي والاقتصادي .

بطليموس الحادى عشر : الملقب بـ «الاسكندر الثانى» :

مات «سوتيروس الثاني» تاركاً وصية أن ينتقل العرش من بعده إلى ابنته «بيرينيكى» التي تولت العرش دون معارضة شعب الإسكندرية ولكن هناك مشكلة البحث عن زوج لها من سلالة الأسرة البطلمية ، وأخيراً عثر على ابن بطليموس التاسع الذي تربى في روما ، وبالفعل تولى بطليموس الحادى عشر ولقب «بالاسكندر الثانى» ولكنه بعد فترة وجيزة قتل زوجته غدراً ، فلانتقم السكندريون من هذه الجريمة بأن تجمهروا حول الملك القاتل في «الجمنازيوم» وركلوه حتى قتلوه في نفس اليوم الذي قتل فيه زوجته عام 80 ق.م.

وبذلك قتل آخر وريث شرعى للعرش البطلمى وقد أشاعت روما فيما بعد أنه أودع وصية لديها بأن تؤول مصر إلى روما بعد وفاته ، ولكن هناك شكوك كبيرة حول هذه الوصية ويقال أنه زورت من قبل العناصر الرومانية الطامحة فى إحتلال مصر .

كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة : 51 = 30 ق.م.

شاء القدر أن تكون آخر سلالة البطالمة في مصر ملكة فاقت أسلافها ذكاء ودهاء وطموحاً ، وقد أرست قواعد حكمها قوياً ، واهتمت بالزراعة

والأقتصاد ، و تقربت إلى المصريين فراحت تتكلم المصرية و ترتدي زي «إيزيس» وأعلنت أنها سليلة الآلهة الفرعونية أملأ في توحيد المصريين و رائتها ، وكان نتيجة ذلك أن دب الاستقرار و تحسنت أحوال مصر بشكل ملحوظ و تدفق الثراء على خزانتها و عادت لمصر أهميتها الدولية كمصدر غنى لانتاج القمح .

ونعلم أنها تزوجت من أنطونيوس ، ثم إنتحرا ، ودخل إكتافيوس مصر من حدودها الشرقية بقواته وذلك في أغسطس حيث أعلن ضم مصر إلى إمبراطورية الشعب الرومانى .

وهكذا سقطت مصر وأسدل الستار عن حكم أسرة البطالمة والذي استمر أكثر من ثلاثة قرون من الزمان إمتزجت خلاله الحضارة الإغريقية فكراً و فناً ودينًا بل و عنصراً مع الحضارة المصرية ، وأصبح في مصر طبقات طبقة مصرية خالصة قابعة في أعماق الصعيد والريف البعيد ، وطبقة إغريقية تمصرت تماماً وكانت تعتبر نفسها إغريقية - مصرية إنعزلت عن العالم الإغريقي الخارجي وتفاعلـت مع الحضارة المصرية التي بدأت تطفى على الحضارة الإغريقية ^(١) .

وبدخول الرومان مصر وضمها إلى إمبراطوريتهم يبدأ عهد جديد من تاريخ مصر .



(١) سيد الناصري ، مصر ، القاهرة ١٩٧٧ ، ص ١ - ١٤٩ .

الباب الثالث
مصر
في عهد الرومان

الفصل الأول
وضع مصر كولاية رومانية
في عصر الإمبراطور أغسطس

الفصل الأول

وضع مصر كولاية رومانية في عصر الامبراطور أغسطس

أكتافيوس أغسطس في مصر :

وبموت أنطونيوس وكليوپاترا أصبح أغسطس الوريث الشرعي لملك مصر بعد الفراعنة والبطالمة وذلك بعد سقوط الأسكندرية في يده في أغسطس عام ٣٠ ق.م. وهو التاريخ الرسمي لفتح مصر . والحق يقال أن أغسطس كان معتدلاً في سلوكه مع السكندريين فلم ينتقم من المدينة التي قادت منها كلليوپاترا وعشيقها أنطونيوس الحرب ضده ، وعفا عن شعب هذه المدينة ومن تاحية أخرى يبدو أن شعب الأسكندرية لم يقاوم الفاتح الروماني لأن الشعب رأى أنه حكم الرومان لن يكن أسوأ من حكم البطالمة ، ولكنه نهب خزانة الأسكندرية المليئة بالذهب وأنفق الأموال على جنده ثم على المشروعات العامة وحمل معه الكثير من الكنوز والآثار عندما عاد إلى روما .

قام «أكتافيوس» بتوزيع فرق الجيش الروماني في مصر ولم تقتصر مهمة الجيش الروماني على الأعمال العسكرية والخربية بل كثيراً ما قام بأعمال الشرطة وحفظ النظام ومساعدة الإداره في جمع الضرائب بل وفي أعمال السخرة والخدمة العامة مثل إصلاح الطرق وبناء المرافق وشق الترع وتنظيف القنوات .

كانت مشاكل الرومان مثلما كانت مشاكل البطالمة من قبل تقع في الصعيد

حيث القرية المصرية والعواطف التاريخية والمقاومة الدينية ولكن أدرك الثوار المصريين أن الرومان غير البطلة وأنهم أمام مستعمر قاسي جاد لا يسمح بأى تساهل .

الإصلاح الاقتصادي والزراعي لمصر :

كان تدعيم مركز مصر التجارى جزءاً من خطة متكاملة هدفها تقوية مصر إقتصادياً لأن الرومان يطمعون في جنى ثمارها من أجل رخاء الامبراطورية وكان إعتماد روما كبيراً على القمح المصري ومن ثم كان على «أغسطس» أن يقوم بإصلاحات عاجلة لتحسين الدخل الزراعي الذي كان قد إنهاه إبان عصر الفوضى البطلمية فعملوا على تطهير القنوات وشق الترع ، وعودة نظام الرى القديم ، وقد عاد ذلك على البلاد برخاء إقتصادي زراعي كبير بالإضافة إلى ذلك فقد عنوا بتأمين صهاريج المياه والآبار على طريق القوافل في مدن وموانئ البحر الأحمر مما أدى إلى إنعاش إقتصادي لمصر لم يشهد له مثيل ، وقد أدى ذلك إلى استباب الأمن والسلام في ربوع البلاد ، وأحسن المصريون أن حكم الرومان أفضل كثيراً من حكم البطلة .

السياسة الرومانية إزاء المعابد والكهنة المصرية :

وإذا كانوا قد أرضوا الفلاحين إلا أنهم أغضبوا الكهنة المصريين لأنهم صادروا ممتلكات المعابد المصرية من الأراضي ونقلوا ملكيتها إلى الدولة ، ومن الجديد بالذكر أن طبقة الكهنة من المصريين قد أثرت على حساب ضعف ملوك البطلة المتأخرین والذين إضطروا إلى تملق طبقة الكهنة حيث أصبح للمعبود المصرية ضياع معفاة من الضرائب وأصبح للمعبد الفرعونية سطوة لأن المعب

تحول إلى مؤسسة وطنية لها ضياعها وصناعاتها المحلية ومن ثم أصبحت قوة سياسية خطب ودها ملوك البطالة الضعاف طمعاً في تأييد المصريين ضد الإغريق والمتاغرقيين أنفسهم . وقد أدرك الحاكم الروماني مدى خطورة إزدياد سطوة الكهنة والمعبد وتزايد إمتيازاته وإقطاعياته وعلاقة ذلك باشتعال نار الوطنية المصرية ، ومن ثم قاموا بتأمين أراضي المعبد وضمها إلى أراضي الأمبراطورية في مصر ، وفي نفس الوقت سمح للكهنة بفلاحة بعض مساحات الأرض الموقوفة للمعابد بدلًا من المعونة التي كانت تقدمها الدولة للمعبد .

وجدير بالقول أن الرومان لم يتدخلوا في الشعائر والعبادات المصرية بل تركوها وشأنها ، وعلى العكس كذلك إذ أولى الأمبراطور الروماني إحتراماً وتبجيلاً للآلهة الوطنية بعد غزو مصر وأنشأ العديد من المعابد الضخمة والتي لا تزال أطلالها وبقاياها قائمة في صعيد مصر في دندرة ، وفيله (قصر أنس الوجود) تقف بقايا معابد ضخمة من عصر أغسطس ، وكذلك على حدود النوبة في دبوبت وكلابشة ودندور أقيمت معابد سجل عليها أغسطس إسمه .

ولكن رغم ذلك كله فكان «أغسطس» يحتقر العبادات الوطنية المصرية بكثيرائه الروماني فقد رفض أن يزور عجل أبيس في منف مبدياً إمتعاضه من تلك العبادة وذلك في أثناء تواجده في مصر بعد فتحها .

لقد كان الحكم الروماني في مصر يتشابه مع الفراعنة والبطالمة وهو يستغلل هذه البلد وإعتبراه ضيعة خاصة سواء لفرعون أو للبطليموس أو

للإمبراطور الروماني ، ولكن هناك فرق كبير بين حكم الفراعنة والبطالة وبين حكم الرومان ، ففي الحالتين السابقتين كان ثراء مصر يبقى داخلها بالرغم من أنه يذهب إلى خزانة الفرعون أو البطليموس ، أما في العصر الروماني فإن خيراتها كانت تنقل إلى الخارج إلى روما ليتمتع بها الشعب الروماني ، وما يذهب لا يعود أى أن الحكم الروماني بدأ نهب مصر .



**الفصل الثاني
مصر تحت حكم
خلفاء أغسطس**

الفصل الثاني

مصر تحت حكم خلفاء أغسطس

الأمبراطور تيبريوس: (٤ - ٣٧ م)

إنتهت حسابات الأمبراطور أغسطس بعد أن عاش عمراً مديدةً بتبني ابن زوجته «تيبريوس» وكان في الخامسة والخمسين من عمره عندما وصل إلى العرش ، ولهذا لم يكن متلهفاً على حب الحكم بل زاهداً عنه وكان كثير الشك والهواجس حازماً في الإدارة ، شحيحاً في سياساته المالية ، والحق يقال أن بداية حكم الأمبراطورية الفعلية يبدأ منذ قドومه . وقد كان حريصاً على الإنفاق والعدل حازماً في التعامل مع الولاة وجباة الضرائب وكل من أثروا عن طريق التفاق ، وقد ساد في عهده هدوء وسلام مما أدى إلى سحب إحدى الفرق من مصر وإنخفض عدد قوات الجيش الروماني في مصر .

ومن أسباب إستباب السلام حرص «تيبريوس» على التتحقق في أي شكوى ضد الأبتزاز أو التعسف من جانب الحكام والفصل فيها بحزم وقسوة وصراحة ، وكان هدفه عدم إثارة الشعب المصري والسكان الإغريق مما قد يتبع عنه حركات تذمر وأعمال شغب ولهذا لانسمع في عهده عن أي تذمر .

غير أنه سمح بنظام السخرة أو الخدمة الإلزامية وهو فرض نوع من العمل على السكان سواء بالمجان أو بأجر رمزي من أجل تنفيذ المشروعات الحيوية في

الباب الثالث : مصر في عهد الرومان

الدولة مثل شق الترع وبناء الجسور ، ولم تقف السخرة عند الإنسان بل شملت دواب الحمل .

زيارة جرمانيكوس ولـى العهد لمصر : (١٨ - ١٩ ميلادية) :

يستدعي تيبريوس ابن أخيه ولـى العهد «جرمانيكوس» إلى مصر الذي زار فيها الإسكندرية ومنف والفيوم والريف المصري حتى أسوان جنوبًا حيث استقبل بالترحاب من جانب الإغريق المصريين ، وكان «جرمانيكوس» قد قام بأعمال تصد بها زيادة شعبيته بين أغريق مصر مثل تخفيض الأسعار وفتح صوامع الغلال للقضاء على أزمة القمح والمجاعات التي نتجت عن إنخفاض الفيضان وعمل على تخفيض ثمن القمح ، وسار في الطرقات مرتديةً الذي الإغريقي ، وقد ألهمت هذه التصرفات عواطف الناس فطفقاً يستقبلونه بالترحاب والتهليل ، ونظمت المراكب والمظاهرات الشعبية في القرى والمدن وقد طلب من الناس لا يستجيبوا لأحد ووصف الأعمال الإبتزازية بأنها من أعمال اللصوصية الفاضحة .

أثارت هذه الزوجة من العواطف المخزونة في قلوب المصريين غضب الامبراطور «تيبريوس» وانتقد ابن أخيه علـى واتهـمـه بـخـرـقـ القـاـعـدـةـ التـىـ إـسـتـهـاـ أـغـسـطـسـ العـظـيمـ وبـالـفـعـلـ غـادـرـ «جرـمانـسـكـوسـ» مصر على عجل قاصداً سورياً .

وعندما جاء الامبراطور «أغسطس» كان طبيعياً أن يلغى سك العملة البطلمية ، بينما سك عدداً كبيراً من العملات البرونزية الحالصة ، وتلعب النقود دوراً هاماً في الكشف عن عصور الرخاء أو الإفلاس في مجال الاقتصاد وتعطينا صورة صادقة لتاريخ مصر الاقتصادي تحت حكم البطالة والرومان .

الإمبراطور جايوس الشهير بـ كاليجولا : (٣٧ - ٤١ ميلادية) :

بدأ كاليجولا ابن جرمانيكوس حكمه معتدلاً واستبشر الناس به خيراً لأنه ابن جرمانيكوس المحبوب ، ولكن سرعان ما وقع كاليجولا فريسة لمرض شديد ترك بصماته على تفكيره فخرج منه مجنوناً يعتقد أنه إله في صورة بشر ، ولذا فهو القانون والعدالة بعينها وكل ما يراه الإمبراطور حق وعدل حتى ولو اعتبر الناس ذلك ظلماً ، وقد انحرف إلى حكم الإرهاب وتلفيق التهم .

وازاء ذلك إهتزت قواعد الحكم الراسخ الذي أقامه أغسطس ودعمه تيبريوس وإنفلت الانضباط الروماني وتخلخل نظام المركزية الصارم في الإمبراطورية وظهر بوضوح في مدينة الإسكندرية حيث إندلعت الحرب الأهلية بين أهل الإسكندرية والجالية اليهودية .

الإمبراطور كليوديوس : (٤١ - ٥٤ ميلادية) :

وهو عم كاليجولا وكان رجلاً عاقلاً متعمقاً في دراسة التاريخ والفلسفة ولهذا حاول تصحيح الأخطاء الجسمانية التي تردى فيها الأباطرة من قبله والعودة إلى سياسة الطموح والتجارة العالمية التي بشر بها يوليوس قيصر . وهنا تفرض مسألة الصراع بين السكندرية والأغريق نفسها على السياسة الرومانية في مصر .

ورغم كل ذلك فقد تميزت تلك الفترة بالأزدهار التجارى بين مصر وشبة القارة الهندية وشهد البحر الأحمر أعظم أيامه ، وحرصاً على الاستقرار التجارى أولى الرومان عناية كبيرة بنشر السلام في مياه البحر الأحمر .

الأمبراطور نيرون: (٥٤ - ٦٨ ميلادية) :

وقد كان شديد الولع بالثقافة الإغريقية وبالشرق الهلينيستى ولذا أبى
عقب توليه مباشرة إهتماماً عظيماً بعاصمة الأسكندرية خاصة فيما يختص بتنظيم
مواطنيها الأحرار وقبائلها الإغريقية وأحياناً الإدارية التي أطلق عليها أسماء
جديدة وأنشأ قبائل إغريقية جديدة ، وتنى أن يزور الأسكندرية ضمن رحلته
السياحية الكبرى في رحاب الحضارة والآثار الإغريقية العريقة وقد باذله الشرق
الهلينيستى هذا الحب بالحب ، فوصفوه بأنه الروح المباركة في العالم بل
الأمبراطور المخلص المتظر مفجر البركات على الناس ، كما ظهر على نقود
الاسكندرية بصفته منقذاً للحضارة والعمان .

هذا هو الجانب الشرقي من شخصية نيرون في الشرق الهلينيستى بينما
كانت صورته كثيبة ومرعبة في الغرب الروماني .

وقام بيارسال ببعثة لتقضي أحوال النوبة وجمعت البعثة معلومات قيمة عن
تضاريس المنطقة ومناخها وحيواناتها ونباتاتها ، ووضعت خريطة توضح معالمها
وقد عكست هذه التقارير إنها يار مملكة «مروي» وفقرها ونضوب مصادرها
وسكانها ، وذكروا أن الهدف من هذه البعثة هو محاولة إكتشاف منابع النيل ،
غير أن الهدف الاستراتيجي كان هو الإعداد لجعل مروي دولة رادعة
للعدوان .

الأمبراطور دوميتیاتوس: (٩٦ - ٨١ م) :

شهد عصره تغييراً كبيراً في نظرة الرومان إلى الديانة المصرية ومعابدها

وذلك بعد سياسة إطلاق السراح للآلهة الصغرى الوطنية والتي كانت قد أجبرت على البقاء في الظل ، سجلت النقوش إنشاء معبد «أفرو狄ت هاتور» في كوم امبو ، والربة «هيرا» في جزيرة فيله ، ورسم صور للآلهة المصرية على النقود السكندرية والتي كانت وفقاً قبل ذلك على الآلهة الإغريقية أو السكندرية مثل سيرابيس وإيزيس وغير ذلك ، كما شيد معابد للآلهة المصرية - الإغريقية مثل إيزيس وسيرابيس في روما نفسها ووصلت حتى شمال بريطانيا ، وهذه الآلهة المصرية في صورتها الإغريقية تقليداً وبذلة جديدة من الرومان حيث وجدت إيزيس بالذات من بين الرومان عباداً مخلصين لها .

الإمبراطور هادريانوس: (117-138 م):

ولعل أبرز شيء في عصره غير الصراع بين الإغريق واليهود هو رحلته النيلية إلى صعيد مصر فقد وصل عبر النيل هو وزوجته وإبنته حتى وصلوا إلى مصبه وتجوّل بين معابد ملوك مصر الغابرين وبينما كان اليخت يتساهدي على ضفاف النيل وبالقرب من الأشمونيين (مركز ملوى - محافظة المنيا) ، روى التراث أن غلام الإمبراطور المفضل «أنطينوس» غرق في النيل فحزن عليه الإمبراطور حزناً شديداً وناح عليه ومن ثم قرر الإمبراطور أن يخلد موت غلامه ببناء حاضرة إغريقية في نفس المكان الذي غرق فيه الصبي وهو مكان على الضفة الشرقية للنيل قرب قرية الشيخ عبادة وأطلق على المدينة إسم أنطينوس .

ولعل هادريانوس قد اختار منطقة مصر الوسطى لأنّه وجدها في حاجة إلى حاضرة إغريقية تشع الفكر الإغريقي بين حشود السكان المصريين ، لأنّ في

الصعيد كانت «بطلمية» تقوم بذلك الدور ، وفي مصر السفلی كان «نقاراطيس» و «الاسكندرية» تقومان بإشعاع الفكر الإغريقي في مصر السفلی .

نظرة عامة على أحوال مصر الاقتصادية بيان هذه الفترة :

تدل كل المصادر الأثرية والأدبية على استتباب الأمن وإضطراد الرخاء في وضع مصر الاقتصادي ، وقد يقال أن الاسكندرية قد فقدت وزنها السياسي القديم ولكن في الواقع أنه فقدته قبل مجيء الرومان في عهود ملوك البطالمة المتأخرین ، ولكن الاسكندرية لم تفقد شخصيتها الحضارية أو الاقتصادية .

كان التغيير من حكم البطالمة إلى حكم الرومان غريباً في بدايته ولم يتقبله الناس بسهولة إلى أن تعودوا عليه وعلى ظروفه وعقليته وعن طريق الحكم المستقر المنظم والإدارة الخارمة فتمكن ولاة مصر الأول في عصر الرومان من إعادة تنظيم البلاد إدارياً ، وحظى الريف بالقدر الكافي لأن هدف الرومان كان ضمان وصول القمح المصري لإطعام سكان العاصمة الإمبراطورية ، وسرعان ما دبت الحياة من جديد في قطاع الزراعة بسبب مشروعات الري وشق القنوات وحماية المزارعين من جشع جامعى الضرائب ، كما أن إستقرار الأمن والاستقرار ساعد على الازدهار السريع للريف المصري .

وإلى جانب العناية بالزراعة أبدى أباطرة الرومان إهتماماً كبيراً بثروات مصر الطبيعية مثل إستغلال المناجم المصرية في الصحراء الشرقية وسيناء ، كما ازدهرت الصناعة التي تقوم على الزراعة مثل صناعة ورق البردي ، وصناعة النسيج ، وشهدت تلك الفترة تقدماً في صناعة الزجاج .

كما إزدهرت التجارة في مدينة الإسكندرية عالمياً وجعلوا مصر نقطة المرور التجارى بين الشرق الأوسط وأوروبا الغربية وطريق البحر الأبيض ، وجعلوا البحر الأحمر بحيرة نشطة تعج بالسفن التجارية ، وبدأ الاتصال التجارى بين الهند والإسكندرية لأول مرة ، كل هذا عاد بالرخاء الاقتصادي والأزدهار على الإسكندرية وعلى تجاراتها .

وينعكس هذا الاستقرار في نوعية وكمية النقود التي تسک فرآينا عملاتفضية تسک من سبيكة الفضة والنحاس والقصدير .

.... تلك هي نظرة سريعة و شاملة على الأحوال السياسية والاقتصادية لصر إبان عصر خلفاء أغسطس حتى موت نيرون عام 68 ميلادية .

ويستمر تدفق وتولى الولاه الرومان على مصر ولعل ملامح مصر الرومانية في القرن الثالث الميلادي هو إنتشار الفقر إذ إزداد عدد المعدمين حتى الطبقة الوسطى بدأت تتدحرج وتحول إلى طبقة دنيا معدمة غير قادرة على العطاء ، أما الفلاحين فقد كان حظهم أشد قسوة إذ فقدوا حيازتهم الصغيرة التي كانوا يزرعونها وتحولوا إلى أجراء يعملون لقاء قروض زهيدة .

وبالرغم من هذا فقد كان عهد الامبراطور «سيقليوس» وأسرته إذا ما قورن ببعض الأباطرة والمؤاخرين في منتصف القرن الثالث الميلادي عصر إزدهار عندما إشتد إزدياد الفقر الاقتصادي وأنقلت الضرائب كواهل الفلاحين فهربوا ، بالإضافة إلى ارتفاع الأسعار وإنخفاض قيمة النقود وبدت القرى التي كانت عامرة يوماً تبدو كما لو كانت مهجورة .

لم تعد مصر بالوطن المؤثر على الامبراطورية الرومانية لأن مواردها كانت قد نضبت ولم تعد مكمن الخطر ، حيث يستطيع رجل طموح إعلان الثورة منها ضد الامبراطور في روما لأنها لم تعد البلد البعيد الذي تعتمد عليها روما في طعامها ، وأكثر من هذا فإن مصر أصبحت منفى المغضوب عليهم من رجال البلاط . وبانهيار مركز مصر الاقتصادي أهمل الجيش الروماني فيها ولأن مناطق نهب أخرى جديدة جذبت إهتمام الرومان فسحبوا القوات تدريجياً ولم يحل محلها جنود مدربون بل أن المستوى القتالي للقوات قد انهار وتحولوا إلى مجرد حرس داخليين مهمتهم القمع وحفظ النظام وجمع الضرائب ، وأهملت الحكومة الاهتمام بالرى وتحولت الأراضي المهجورة إلى أرض بور .

وتتميز هذه الفترة بالأضمحلال السياسي والاقتصادي والاجتماعي للأمبراطورية الرومانية وتولى سلسلة من الأباطرة الذين إغتصبوا العرش . ويجد المؤرخون صعوبة أحياناً في تتبع سياسة وأعمال هؤلاء الأباطرة .

لقد أرهقت الأرض المصرية ولم تعد تنتج وتحمل الفلاح المصري ولم يعد يصبر ، كما أن ثلاثة قرون ونصف من الإدارة الظالمه قضت على الطبقة المتوسطة التي كانت تعتمد عليها روما في حكم البلاد ، وإزدادت رقعة الأرض المهجورة وإكتسحت الصحراء الأرض الخضراء ، وضاعت كل مجاهدات البطالة وأباطرة الرومان المبكرين . كل هذا من جراء الفكرة الخاطئة وهو وجوب استغلال مصر بقدر الإمكhan لصالح الشعب الروماني . وفي أثناء إزدياد التدهور والأضمحلال الاقتصادي بُرِز خطر سياسي عقائدي مصدره الشرق الأوسط ألا وهو إنتشار المسيحية في مصر بين أواسط الفقراء والمعوزين المصريين إيماناً بفكرة «الخلاص» من الظلم والجحود وتحطيمًا لتلك الفروق

الاجتماعية لأن الجميع أبناء الله في نظر المسيحية وأن السعادة الكبرى هي سعادة الروح والرب ، كما أن مبادئ المسيحية التي تدعو المظلوم إلى ترك الظالم لعقاب الله وعدم منازعته حتى ولو نازع الإنسان ثوبه لاقت صدى في نفوس المصريين المضطهددين والذين لا يستطيعون مقاومة الرومان ، وأقبل كثيراً من المثقفين المصريين على هذه الديانة الجديدة .

ظلت المسيحية تنشر في هدوء في مصر منذ عصر «نيرون» ومنذ زيارة مرقص الرسول للإسكندرية ولكنها كانت محدودة بين الطبقات الفقيرة التي مارست شعائرها ، ولكن ما أن حل القرن الثالث الميلادي حتى كان المسيحيون في مصر قد أصبحوا نسبة لا يأس بها مما دعى السلطات الحاكمة في مصر إلى الاعتراف بوجودها بل أن الأباطرة الصالحين قد أغمضوا أعينهم عن هذه التيارات الفكرية الروحية .



الفصل الثالث

**من ديوقدل يانوس حتى الفتح العربي
الإضطهاد الديني وتطور
الحضارة القبطية**

الفصل الثالث

من ديوقد يانوس حتى الفتح العربي الإضطهاد الديني وتطور الحياة القبطية

ديوقد يانوس وإصلاحاته الجذرية : (٢٨٤ - ٣٠٥) :

يعتبر «ديوقد يانوس» آخر وأعظم الأباطرة الذين وصلوا إلى عرش الإمبراطورية وقد شخص المرض الذي كانت تعاني منه الإمبراطورية وبالتالي مصر ليس من الناحية العسكرية فحسب بل من نواحي شتى مثل النواحي الإدارية والاقتصادية ومشكلة الحكم ، ووضع تلك المشاكل العلاج الحاسم وال سريع . فنجد في مصر تفشي الفقر وعباء الحياة والأمية وعدم الاستقرار والأمن .

ويبدو أن إحساساً بالندم إنتاب «ديوقد يانوس» عندما تفقد أحوال الناس وليس الفقر والتدهور الذي تردد فيه الأسكندرية درة الإمبراطورية إبان النصف الأخير من القرن الثالث الميلادي فقد دمرت مبانيها ومرافقها نتيجة للثورات وأعمال الشغب ، وإيان قمعه هو نفسه والثورة التي قامت ضده ، وساعه أن يرى الأوبئة والحمى تفتكت بالسكان وأسف لانتشار الفقر والمجاعة بعد أن فقدت الأسكندرية مصدراً غنياً كقاعدة تجارية بين الشرق والغرب ، حتى التجارة الداخلية كانت قد انهارت بسبب ضعف المحصول الزراعي ، وهجر

ال فلاحين الأراضي بسبب قسوة الضرائب فضلاً عن إهمال أعمال الصرف والرى مما أدى إلى إنكماش المساحة المزروعة .

وربما حاول «ديوقدل يانوس» شراء صبر السكندرية وولاهم حفاظاً على هيكل الإمبراطورية الآيل للسقوط عندما أصدر قراراً بأن تخصص نسبة من حيازة القمع لرفع الجوع عن أهل المدينة فأقام الوالى الروماني أثراً ضخماً لشكر الإمبراطور ، وهو ما يعرف حالياً بـ :

عمود ديوقدل يانوس (عمود السوارى) :

أقام الوالى نصبه التذكاري لشكر الإمبراطور داخل معبد السرایيوم الموجود بقایاه حالياً في منطقة كرموز (كوم الشقاقة حالياً) وهو المعبد المخصص لعبادة الآله سيرابيس . والعمود تم نحته من قطعة واحدة من حجر الجرانيت المجلوب من محاجر أسوان وبلغ ارتفاعه حوالي ٢٠,٧٥ مترًا وله قاعدة ضخمة وفي قمتها وضع تاج مما جعل طول الأثر ٢٦,٨٥ مترًا .

وقد أطلق شعب الإسكندرية عليه إسم عمود السوارى ربما نسبة إلى الكلمة «سارية» التي هي القلع المرتفع في السفن ، ومهما كان الغرض من هذا العمود ومهما كانت ظروف إقامته إلا أنه كان ولايزال أهم معالم الإسكندرية .

ولعل اختيار الوالى لإقامة هذا النصب التذكاري هو إعتراف منه - بقصد أو بغير قصد - بأن القوة المؤثرة في مصر الرومانية خلال القرن الثالث لم تعد القوة الإغريقية بل القوة المصرية الوطنية ، وهو دليل قاطع على إنتشار القومية المصرية على الثقافة والفكر الإغريقي .

قرر «ديوقدل يانوس» أن يشمل إصلاحه المالي إصلاح النقد المحلي السكندرى وإلغاء العزل الذى كان قائماً منذ الفتح الرومانى وإدماج النقد المصرى فى النقد الرومانى بحيث لا يسود في الأمبراطورية كلها سوى عملة رومانية رسمية واحدة .

إن إصلاحات «ديوقدل يانوس» كانت نقطة تحول في تاريخ الاستعمار الرومانى لمصر إذ إنجهت مصر نحو العصر البيزنطى ، نعم لقد كانت إصلاحات حازمة وعاقلة تبتغي إنقاذ وضع هذا البلد الاقتصادى المنهاج ونتج عنها تغيراً جذرياً في الإدارة والاقتصاد وأحوال الناس مخالفًا لما كان قبل ذلك .

إن إصلاحات «ديوقدل يانوس» لم تقضى على العوائق الإدارية والأقتصادية المجرحة في مصر الرومانية بل أضعفـت الثقافة واللغة الإغريقية التي سادـت في وادـي النيل ، ولأول مرـة بدأـت اللغة الـلاتـينـية تفرض نفسها فوق الـبـقـاع الـهـلـلـيـنـيـ فـي مصر ، فـي نفس الـوقـت الـذـي كـانـتـ فـيـ لـغـةـ جـدـيدـةـ تـبـعـثـ مـنـ الـمـاضـيـ وـهـيـ الـلـغـةـ الـقـبـطـيـةـ^(١) .

ديوقدل يانوس والمسيحيين المصريين :

غير أن إصلاحاته تعرضت مرة أخرى لهزة مريرة عندما بدأ سياسة إستصال المسيحية والمسيحيين لأنـهـ كانـ يـرىـ أنـ نـهـضةـ الـأـمـرـاطـورـيـةـ هـيـ نـهـضةـ تـرـاثـهاـ الـدـينـيـ الـعـرـيقـ الـذـيـ يـتـسـمـ بـالـكـبـرـيـاءـ الـقـومـيـ وـرـوحـ التـسـامـيـ وـالـسـيـاسـةـ وـبـنـظـرـتـهـ الـإـيجـابـيـةـ إـلـىـ الدـوـلـةـ ، وـبـالتـالـىـ كـانـ يـنـظـرـ إـلـىـ الـمـسـيـحـيـةـ بـأـفـكارـهاـ

(١) سيد الناصري ، المرجع السابق ، ص ١٥٣ - ٢٢١ .

الإنسانية العالمية ودعوتها للمساواة بين أبناء الله مهما كان لونهم أو عنصرهم أو لسانهم وبدعوتها إلى ترك العنف وتبني المحبة والسلام ، بأنها مذهب فرضى هدام يبغى هدم السيادة الامبراطورية ويناصر الشعوب الغير رومانية على الرومان ، إلى جانب التهمة التقليدية بـالصاق الحرائق التي كانت تُشبّه من آن لآخر بالسيحيين وذلك منذ حريق روما الكبير في عصر نيرون عام ٦٤ ميلادية .

وكانت دلتا النيل من المناطق التي انتشرت فيها المسيحية كمذهب ثورى سلبي ووسيلة أيضاً سلبية لمقاومة الظلم الظبئي الرومانى وإثبات القومية والوجود المصرى بل أن الإغريق التمتصرين وجدوا أن الحل الأمثل لهم هو قبول مذهب ديني جديد ، كما أن إخلاص المؤمنين للعقيدة حتى وجه الموت جذب الآلاف من المصريين والإغريق مصرىن لهذا المذهب الجديد ، وأصبح الإتجاه سائداً نحو ميلاد كنيسة فى الإسكندرية نسبت نفسها إلى القديس مرقص أحد تلاميذ المسيح الذى جاء ليبشر بالمذهب الجديد إبان عصر نيرون وهلك فى إحدى الإضطرابات عندما هاجم الوثنيون عام ١٨ م كنيسة شرق الإسكندرية وقتلوا القديس مرقص الرسول .

وكان من الطبيعي أن تكون الإسكندرية هدفاً من أهداف «ديوقلس يانوس» من أجل ضرب مناطق المسيحيين لأنه يعتبر إنتشار المسيحية ومبادئها تحد سافر لسلطانه المؤله على الامبراطورية وشعوبها ، وقابل إصرار المسيحيين المصريين إصرار وتعصب الامبراطور ورجاله فى فرض قداسة الدولة فى شخص الامبراطور عن طريق العنف البشع المجرد من كل معانى الإنسانية وقامت المذابح التى هلك فيها الآلاف من المسيحيين كانوا يمثلون كافة فئات

الشعب المصرى وطبقاته . وبلغ هول الجريمة أن المسيحيين المصريين رغم مرور أكثر من خمس عشر قرناً من الزمان على ذلك إلا أن ذكرها لم تخبو في نفوسهم ، ولهذا بدأت الكنيسة المرقسية القبطية تقويها فيما بعد بتاريخ اعتلاء «ديوقدل يانوس» عرش الامبراطورية عام ٢٨٤ ميلادية حيث أطلقوا على هذا التاريخ «عام الشهداء» ، واستمرت عمليات الإضطهاد والقتل الجماعي والتعذيب للآلاف من المسيحيين في عهد خلفاء ديوقدل يانوس .

إلى أن نصل إلى «قسطنطينوس» ويصبح الامبراطور الأوحد للأمبراطورية ويصدر قراراً باعتبار المسيحية ديناً رسمياً معترفاً به وذلك عام ٣٢٣ ميلادية ، وكسب المسيحيين إلى جانبه ، ومن الناحية الفعلية كان ذلك سياسة عملية وواقعية لأن فلسفة الاستئصال قد فشلت بل لم تؤد إلى شيء سوى إزدياد عناد المسيحيين وثبات قاعدة الكنيسة الجماهيرية ، وكان كل ذلك خسارة على الأمبراطورية التي كانت تعاني نقصاً بشرياً نتج عنه تدهور الزراعة وتدهور في الاقتصاد ، وتراث الكنيسة الكفاح والتمرد ضد الرومان وأصبحت قوية ومسطرة .

بداية العصر البيزنطي وازدهار الحضارة القبطية (٦٤١ - ٣٣٧ م) :

وبموت «قسطنطينوس» تغيرت الأمور فالإمبراطورية إنقسمت فعلياً وإدارياً إلى الشرق البيزنطي والغرب الروماني ثم إنهار الغرب بينما إزدهرت حضارة مسيحية إغريقية جديدة بيزنطية لها شخصيتها ولاهوتها وفنونها لدرجة أن المؤرخين والآثريين فضلوا أن يعرفوها بالحضارة البيزنطية .

وكانت مصر تابعة لهذا الشطر الشرقي ، وتنمي الأحوال في مصر إبان هذه الفترة التي استمرت حتى الفتح العربي لمصر بازدياد سلطة الكنيسة وبانتصار المسيحية وإنتشارها بين غالبية السكان ، ثم تبلورت شخصية جديدة للحضارة المصرية الإغريقية المسيحية تعرف بالحضارة القبطية نسبة إلى «إيجوبتوس» الإغريقية وتعنى المصرية ، وهي حضارة لها معالمها وفنونها الخاصة وفكرها المتميز خاصة بعد أن كونت لغة وكتابة من أسلاء الماضي وهي اللغة القبطية والتي هي مزيج من بقايا اللغة المصرية القدية مكتوبة بالأبجدية الإغريقية بعد إضافة عدد من الحروف الخاصة الغير موجودة في الأبجدية اليونانية .

وأستمر تعرض الأقباط المصريون للإضطهاد والثورات الدموية والمذابح البشعة والتي فاقت تلك التي قام بها الأباطرة الوثنيون ، وهرب الرهبان والقساوسة إلى الجبال والأديرة والكهوف هرباً من القتل والسجن والاضطهاد .. واستمر ذلك الحال حتى شاء الله أن ينقذ المصريين على أيدي جيوش عمرو بن العاص الذي اقتحم بجيشه حدود مصر عام ٦٤١ م في عهد عمر بن الخطاب ، وهلل الرهبان والأساقفة المصريون الهاربون في الصحاري والكهوف وأعطاهم عمرو الأمان ، وسلم الرومان حصن بابلion ، وأخيراً سقطت الإسكندرية ودخل مصر في عام دور جديد وحضارة جديدة وهي حضارة مصر الإسلامية .

الخاتمة

لقد مررنا بتاريخ مصر مراً سريعاً ووقفنا في سرد قصتها عند بعض الحوادث ، ولم نشر إلى البعض الآخر . وبين الحين والحين تكلمنا بإيجاز عن بعض مظاهر حضارتها وحاولنا أن نشير إشارات عابرة إلى ما توصل إليه المصريون القدماء في بعض نواحي مدنיהם ، على قدر مايسمح به النطاق الضيق لهذا الكتاب .

وتبقى بعد ذلك كله نقطة أخرى وهي فضل الحضارة المصرية على غيرها من الأمم ، فما من شك في أن المصريين القدماء قد حققوا الكثير من التقدم في مختلف ميادين الفكر والفن والعلم والأدب والصناعة ، ولا شك في أن ثقافتهم قد وصلت إلى غيرهم من الشعوب ولكن ماهو الدين الذي تدين به الإنسانية لمصر ؟ وما هو الدور الذي قامت به مصر في تقدم الجنس البشري ؟ وما هو أثرها المباشر على الحضارة الغربية بوجه عام ؟ الجواب على هذه الأسئلة يحتاج إلى كتاب كامل بل ولاكثر من كتاب ويكتفي أن نشير فقط إلى بعض تلك الأفضال . ففي ميدان الكتابة توصل المصريون القدماء إلى إختراعها قبيل الأسرة الأولى أي قبل أكثر من خمسة آلاف سنة ، واستخدموها في حياتهم اليومية وتركوا وراءهم الكثير مما ساعدنا على معرفة الحياة التي يحيونها في ذلك العهد بعيد ، فعلى جدران مقابرهم نرى ما كانوا يستجرونه من مصنوعات مختلفة ، كما نقرأ في القاب رجالهم الكبير الذي يدلنا على تقدم فن الإدارة في البلاد والإهتمام بشكل خاص بنظم الري وحفر القنوات وكل ما

من شأنه تقدم الزراعة وأساليبها ، وقسموا السنة الشمسية إلى ثلاثة فصول وقسموا هذه الفصول إلى اثنى عشر شهراً وقسموا كل يوم إلى أربعة وعشرين ساعة وكانوا أول من اخترع المزولة والساعة المائية لتقسيم ساعات النهار وساعات الليل .

وكانت هناك أيضاً ميادين أخرى كالطبع الذي تقدم فيه المصريون منذ عهد بعيد ، وكان هناك أطباء متخصصون بالعيون وأخرون ببعض العمليات الدقيقة في الأسنان ، وأخرون متخصصون بالأمراض الباطنية . وقد لعب البردي دوراً كبيراً في نشر العلوم والأداب في العالم القديم ، وإن إسمه لمشتق من كلمة «بابirus» اليونانية ، ومنها إشتق الاسم الحالى للورق في اللغات الأجنبية .

ويقف الزائر أمام الهرم الأكبر وغيره من الآثار ويتعطّل بإعجاب إلى عظمته ودقة بنائه وسيطرة القدماء على نحت الأحجار ونقلها ، ولكن قلما يذهب تفكيره إلى أبعد من ذلك ، فلو لم يتقدم المصريون القدماء في فنون الرياضيات والهندسة والفلك واستخدام المعادن منذ أجيال عديدة لما تمكن المعماريون من تشييد مثل هذه الآثار الحالية ، وقد عثر على كثير من البرديات وفيها مسائل رياضية وهندسية مختلفة وحلولها .

أسست مصر إمبراطوريتها وإتصلت بجميع مدنیات الشرق القديم وجهاً لوجه ، فأعطت ما أعطته وأخذت ما أخذته ، لقد تركت الديانة المصرية ، والحكم والعادات والفنون المصرية ، أثراً كبيراً في تلك البلاد وإستمر هذا الأثر قروناً عديدة بعد زوال نفوذ مصر السياسي من تلك الأقطار ، وكان نفوذ مصر الثقافي والتجاري في فلسطين والشاطئ الفينيقي كبيراً منذ أقدم العصور ،

وكان للديانة المصرية والأدب المصري والغناء والموسيقى أثر مرموق في جميع الأزمنة ، وعندما قام «إختناتون» بدعوه الدينية ودعا إلى عبادة إله واحد وهو الآله «آتون» كانت تلك الدعوة هي الصيحة الأولى المعروفة في تاريخ البشرية ، والتي تقرب من التوحيد الذي جاءت به الكتب السماوية فيما بعد .

لم يقتصر فضل مصر على نشر الثقافة والعمaran في البلاد المجاورة لها بل تعدتها إلى آفاق أبعد ، وكان الفينيقيون يذهبون إلى أقصى بلاد العالم المعروف وي gioibون بحاره بسفنهم المحملة بالسلع التجارية وأكثرها من المنتجات المصرية وهذا يفسر لنا العثور على كثير من الآثار المصرية في بلاد كثيرة في أواسط آسيا وفي أوروبا ، كما يفسر لنا أيضاً انتشار بعض مظاهر وأوضاع الفن المصري في بلاد بعيدة عن مصر مثل الساحل الشرقي من الهند وبعض جزر الملايو ، بل وربما أبعد من ذلك .

ويعتقد المتعلمون في الغرب أنهم مدينون بالشيء الكثير في مدنיהם الحالية للليونان والرومان ، أما عن اليونان فقد تعلموا الكثير من مصر وإعترف الكثيرون منهم أنهم تعلموا من الكهنة المصريين مختلف فروع الحضارة كالقانون والطب والرياضيات والفلك والموسيقى والمسرح والفلسفة . . . إلخ ، ولم يقتصر فضل مصر على ذلك بل أن روما تعلمت من أئتها كما تعلمت من مصر الشيء الكثير .

لقد قام المصريون منذ نشأة حضارتهم بدور هام في تاريخ البشرية فقد إخترعوا الكثير من المخترعات التي ساعدت على تقدم المدينة ، وقاموا بدورهم في نشر حضارتهم بين من جاورهم من الشعوب . لقد أعطى المصريون لغيرهم

وأخذوا منهم الكثير أيضًا ، ومرت عليهم أيام عز وسؤدد كما مرت عليهم أيام ضعف وهوان ، ولكن الروح المصرية بقيت دائمةً سليمة في جوهرها .

وإذا كان المصريون اليوم يحتفون بتاريخ بلادهم بصفة عامة ويتعززون بتاريخ مصر الفرعونية بصفة خاصة ، فما ذلك إلا لأنهم بأن أجدادهم القدماء قد حققوا الكثير من معجزات المدنية في ذلك الوقت المبكر من تاريخ البشرية ، وأنهم ساهموا في تشييد صرحها ، وهذا مما يدعوا إلى الفخر والإعزاز .

كم من أسرات حكمت وزالت ، وكم من غزاة جاءوا وذهبوا ، وكم من عتاه حكموا ثم اختفوا مشيعين باللعنات ، وكم من حكماء وفنانين عاشوا فقراء ولكنهم تركوا ثروات خالدة بعد موتهم . لقد أصبحت المعابد الكبيرة آثاراً يزورها الناس ونقلت أكثر تماثيل آلهتها إلى المتاحف المختلفة في أرجاء العالم ، ولكن بالرغم من هذا كله فإن من يزورها يتعلم الشيء الكثير . لقد سكت صوت التاريخ ولكن مازال يتردد بين أبهاء هذه المعابد وحجراتها بل وبين خرائطها يهتف بيمجده مصر ، وكل حجر نراه فيها ليس إلا كلمة أو سطرًا أو صفحة في ذلك الكتاب الكبير الضخم الذي سطره المصريون أنفسهم .

إن روح مصر القومية سليمة قوية ، وستظل دائمةً وزالت الدول وزال الغزاء وبقي الشعب المخلص لتقاليده وتاريخه منذ آلاف السنين ، وستظل للمصريين تقاليدهم المجيدة طالما بقى النيل جارياً بين شاطئيه يفيض بالخير والبركات ، وهو باق بإذن الله إلى أبد الأبدية .

تم بعون الله وتوفيقه .

محتويات الكتاب

الصفحة

الموضوع

٣

مقدمة :

الفصل الأول

مصر في العصور الفرعونية

الفصل الأول

٩

عصور ما قبل التاريخ

العصر الحجري القديم - العصر الحجري الوسيط - العصر
الحجري الحديث - العصر الحجري الحديث الصرف - مرمرة بنى
سلامة - دير تاسا - العصر الحجري النحاسي أو عصر بداية المعادن
- حضارة البدارى - هضر ما قبل الأسرات - حضارة نقاده الأولى -
حضارة نقاده الثانية - حضارة المعادى

الفصل الثاني

أقسام التاريخ المصري القديم ومصادره

٢٣

أولاً : أقسام التاريخ المصري القديم

٢٨

ثانياً : مصادر التاريخ المصري القديم
حجر بالرمي - قائمة الكرنك - قائمة أبيدوس - قائمة سقارة -
نصوص الأنساب - تاريخ مانيتون - كتابات المؤرخين اليونان
والرومان - المصادر الأجنبية المعاصرة .

الصفحة	الموضوع
	الفصل الثالث
	العصر العتيق
٤٥	أو عصر الآسرات المبكر
٤٦	الأسرة الأولى : الملك مينا ومشكلة الفرعون الأول
٥٢	الأسرة الثانية : نظرة عامة - التقويم المصري القديم
	الفصل الرابع
	الدولة القديمة
	الأسرة الثالثة : الملك جسر نترخت (زوسر) - إيمحوب - خلفاء
٦٠	زوسر
	الأسرة الرابعة : الملك سنفرو - الأميرة حتب حرس - الملك خوفو
	هرم الجيزة الأكبر - قصة السخرة فى بناء
	الآهرامات - مراكب الشمس - الملك خفرع
	وهرمته - قتال أبو الهول - الملك منكاورع وهرمه
٦٧	- السنوات الأخيرة من حكم الأسرة الرابعة
	الأسرة الخامسة : الملك وسر كاف - ساحورع نفر إير كارع - نى
	وسر رع - جد كارع إسيسى - الملك ونيس
٨٦	(أوناس)
	الأسرة السادسة : الملك بيبي الأول - مرنسع الأول - الملك بيبي
٩٤	الثاني

الصفحة	الموضوع
٩٨	أهم رجال الدولة في الأسرة السادسة : القائد وني - حرخوف - بيبى نخت

الفصل الخامس

١٠٣	الفترة الانتقالية الأولى أو عصر الامركزية الأولى او ثورة الاجتماعية
	الثورة الاجتماعية - الأسرة السابعة والثامنة - الأسرة التاسعة - الأسرة العاشرة - أسباب قيام الثورة الاجتماعية الأولى : (الأسباب الاقتصادية - الاجتماعية - السياسية - النفسية - الخارجية) - الأدب في الفترة الانتقالية الأولى بجريدة القرى الفصيح - وصايا الملك «خيتي» لإبنه «أمريكارع»

الفصل السادس

الدلة الوسطى

١٢١	الأسرة الحادية عشرة : الملك «متورحب - نب - جبت - رع» الثاني - الثالث - الرابع
١٢٦	الأسرة الثانية عشرة : الملك أمنمحات الأول - سنوسرت الأول - أمنمحات الثاني - سنوسرت الثاني - الملك سنوسرت الثالث - أمنمحات الثالث

الصفحة	الموضوع
	الفصل السابع
	الفترة الانتقالية الثانية أو عصر اللامركزية الثاني
١٤١	الهكسوس
	مقدمة - من هم الهكسوس - حكم الهكسوس - طرد الهكسوس وتحرير مصر .
	الفصل الثامن
	الدولة الحديثة أو عصر الامبراطورية
	الأسرة الثامنة عشرة : الملك أحمس الأول - أمنحوتب الأول - تحتمس الأول - تحتمس الثاني - الملكة حتشبسوت - تحتمس الثالث - أمنحوتب الثاني - تحتمس الرابع - الملك أمنحوتب الثالث - الملك أمنحوتب الرابع (إخناتون) - ديانة آتون - نشيد إخناتون - الملك توت عنخ آمون - الملك حورمحب ١٥٣
	الأسرة التاسعة عشرة : الملك رمسيس الأول - سيتي الأول - الملك رمسيس الثاني - الملك مرنبيتاح - مشكلة فرعون الخروج ١٩٩

الصفحة	الموضوع
٢١٣	الأسرة العشرون : الملك رمسيس الثالث - حروبه - أعماله ونظرية عامة على عصره - خلفاء رمسيس الثالث - خبيثة الدير البحري

الفصل التاسع

٢٢٥	العصر المتأخر أو عصر الفترة الثالثة
.	الأسرة الحادية والعشرون - ون آمون - الأسرات ٢٢ ، ٢٤ الليبيون .

الفصل العاشر

٢٣٧	الأسرة الخامسة والعشرون التوبية (الكوشية)
.	نباتا - الملك بعنخي - خلفاء بعنخي - النهضة في عصر الأسرة السادسة والعشرين الصاويه - الملك بسماتيك الأول - خلفاء بسماتيك الأول - مصر والغزو الفارسي والأسرة السابعة والعشرين - قمبيز - خلفاء قمبيز - نهاية المطاف - الأسرات من ٢٨ - ٣٠ .
٢٥٦	بعض المراجع الهامة

الصفحة الموضع

الباب الثاني

مصر في عصر البطالمية

الفصل الأول

الاسكندر الأكبر في مصر

٢٥٩

تأسيس مدينة الإسكندرية - الزيارة المقدسة لمعبد آمون في سيوه
- التنظيم الإداري والمالي والعسكري لمصر في عهد الإسكندر .

الفصل الثاني

قيام دولة البطالمية - مصر القوية والإزدهار

٢٦٧

بطليموس الأول يرسى قواعد مملكته في مصر - بطليموس وجثمان الإسكندر - بطليموس يدعم حكمه في مصر - تنشيط التجارة - تأليف الإسكندر ووضع ديانة مشتركة بين الإغريق والمصريين - مشروعات بطليموس الثقافية والفنية في الإسكندرية - نهاية بطليموس الأول سوتيروس - بطليموس الثاني (فيلادلفوس) سياساته الداخلية - بطليموس الثالث (يورجتيس) .

الفصل الثالث

عصر الضعف والانهيار

٢٨٣

بطليموس الرابع «فيلوباتور» - بطليموس الخامس «إيسفانيس» ثورة طيبة ضد الحكم البطلمي - بطليموس السادس «فيلوميتور» -

٣٢٨

الصفحة

الموضوع

بطليموس الثامن «يورجتيس الثاني» - بطليموس التاسع «يوتيروس الثاني» - بطليموس الحادى عشر الملقب بـ «الأسكندر الثاني» - كليوباترا السابعة آخر ملوك البطالمة .

الباب الثالث

مصر في عهد الرومان

الفصل الأول

وضع مصر كولاية رومانية في عصر الامبراطور أغسطس ٢٩٥

أكتافيوس أغسطس في مصر - الإصلاح الاقتصادي والزراعي لمصر - السياسة الرومانية إزاء المعابد والألهة المصرية .

الفصل الثاني

مصر تحت حكم خلفاء أغسطس ٣٠١

الامبراطور تيريوس - زيارة جرمانيكوس ولی العهد لمصر - الامبراطور كلوديوس - الامبراطور نيرون - الامبراطور دوميتيانوس - الامبراطور هادريانوس - نظرة عامة على أحوال مصر الاقتصادية إبان هذه الفترة .

الصفحة

الموضوع

الفصل الثالث

من ديوقد يانوس حتى الفتح العربي

الاضطهاد الديني وتطور الحضارة القبطية ٣١٣

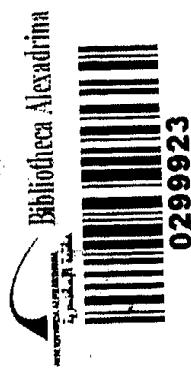
ديوقد يانوس وإصلاحاته الجذرية - عمود ديوقد

يانوس (عمود السوارى) - ديوقد يانوس والسيحيين المصريين -

بداية العصر البيزنطي وازدهار الحضارة القبطية .

خاتمة ٣١٩

محفوظات الكتاب ٣٢٣



0299923

To: www.al-mostafa.com